
العفة
بين
المؤامرة وسبل المواجهة
تأليف
محمود رفعت أبو نعمة
تقديم
الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن عبد الحميد البر
مؤسسة
شروق

العفــــة

بين المؤامرة وسبل المواجهة

الموضوع : الإسلام... منهج حياة

اسم الكتاب : العفة بين المؤامرة وسبل المواجهة

عدد الصفحات: ٣٠٤

قياس الصفحة: ١٧ × ٢٤

الإيداع القانوني : ٢٣٠٨٧ / ٢٠١٠



الطبعة الأولى
١٤٣١هـ
٢٠١٠م



النشر والتوزيع

مُؤسَسة شُـروُق للنَّشـر وَالتَوزيـع

مصر - المنصورة : ش جيهان - أمام مستشفى الطوارئ

ت / ف : ٢٢٥٢٨٦٠ / ٠٥٠ / ٠٠٢

بريد إلكتروني elshroq2006@yahoo.com

إهـــداء

- إلى أمي وأبي اللذين كانا سببا في وجودي ، واللذين لهما فضل عظيم عليَّ بعد ربي.

- إلى زهرة حياتي وزوجتي الحبيبة التي عانت في صبرها على حياتي .

- إلى أبنائي رميساء ونور الدين وأبناء المسلمين الذين يحتاجون عطفنا وحبنا وعوننا بالليل والنهار .

- **إلى كل شاب وشابة** : التزم طريق الله ، وثبت على طريق الفضيلة على الرغم من كل المثيرات والإغراءات التى يموج بها المجتمع من حوله .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] .

- **إلى كل شاب وشابة** : لم يصبر أمام دعوات الانحلال ، وإغراءات الفساد فغرق فى ظلمات الرذيلة ، أدعوه إلى الإنابة إلى الله عز وجل .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣ ، ٥٤] .

- **إلى كل بلد إسلامى** : يسمح للفساد والانحلال الأخلاقى أن يطل برأسه من خلال وسائل إعلامه وثقافته ، فأصبح على شفا جرف هار يكاد ينهار به فى الدنيا وفى نار جهنم البدار البدار قبل العقوبة .

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر : ٤] .

- **إلى كل بلد آخر** : ضاع فى متاهات المادية ، وانحرفت به الإباحية ، واستغرقته الملذات والشهوات بحجة إطلاق الحريات حتى لا تصيبهم لعنة السماء أو تكاد .

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه . وبعد ؛

فلا يخفى على العقلاء فى هذه الأمة ما يكاد لشبابنا من مكائد ، وما يدبر له من مؤمرات بمكر الليل والنهار ؛ لإلهائه عن قضايا أمته ، وصرفه عن أداء رسالته ، وإغراقه فى الشهوات ، وتجريده من الأخلاق السامية ، حتى يسهل قهر الأمة ، واستلاب خيراتها ، واستعبادها من قبل أعدائها .

ويدرك العقلاء أن الهزيمة فى ميدان النفس أشق ألف مرة من الهزيمة فى ميدان القتال ، بل هى مقدمة للهزائم المتتالية فى كل الميادين ، ومن أهم السبل لإنزال الهزيمة النفسية إشعال الغرائز الحسية بكل طريق ، وتيسير الفواحش وعرضها بصورة مغرية تهون من حرمتها فى النفوس ، ثم تعين على الوقوع فيها بلا حرج ، وذلك عين ما خطط له الأعداء وتضمنته بروتوكلات حكماء صهيون التى جاء فيها : «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان ، فتسهل سيطرتنا .

إن « فرويد» منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس ؛ لكى لا يبقى فى نظر الشباب شىء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » .

ومع وضوح المؤامرة الخبيثة فإن نفراً من بنى جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا يشاركون فى الترويج لهذا الفساد الأخلاقى ، ويضعون له عناوين براقة من أمثال (الإبداع ـ الفن الراقى . . . إلخ)، ويتخذون لإقراره فى مجتمعاتنا وسائل عديدة من الفنون والآداب ، بل وترصد جوائز سخية لكل من يبالغ فى الجرأة على الأخلاق ويشتط فى الدعوة للتخلص من قيم العفة والطهارة والحياء .

ولا ريب أن هذا يفرض على المخلصين لدينهم ولأمتهم ، والغيورين على الفضيلة القيام بواجب رد هذه الهجمة الشرسة على أخلاقنا وقيمنا ومبادئنا ، وعلى

رأس من يجب أن يقوم بذلك : الدعاة إلى الله ، ليكشفوا هذه المؤامرة ، ويبينوا سبيل مواجهتها ، ويظهروا قيمة الأخلاق الفاضلة فى بناء الأمة ، ومنهج الإسلام العظيم فى تنظيم الغريزة ، حتى يتبين الرشد من الغي ، ويتميز الهدى من الضلال.

وهذا ما اجتهد فيه أخونا الكريم الشيخ / محمود رفعت أبو نعمه فى هذا الكتاب الذى أشرف بالتقديم له ، والذى جمع فيه خيراً كثيراً مما تناثر فى بطون الأسفار ؛ إذ تكلم عن الغريزة الجنسية باعتبار الجنس وسيلة لتحقيق رسالة الإنسان فى الحياة ، وتعرض لذكر أبواب الانحراف الجنسى كالتبرج والموضة والحفلات المختلفة والعلاقات المحرمة والفكر المنحرف .

كما تعرض للحرب الأخلاقية التى يشنها النظام العالمى الجديد ضمن ما يعرف بالعولمة التى تسعى لفرض القيم الغربية الفاسدة الداعية إلى التخلص مما يدعونه: (قيود الدين والأخلاق) من خلال قوانين دولية تحت مبرر التحرر والمساواة وغيرها .

وكذلك كشف أثر الإعلام والأدب الإباحى فى الدفع نحو الانهيار الأخلاقى ، وكشف عن اليد الصهيونية من وراء ذلك .

وتعرض الكتاب كذلك للآثار الحضارية للانحـراف الجنسى ، من انهيار أخلاقى واقتصادى واجتماعى للفرد وللأسرة بحيث تفقد الأمة مناعتها ، ويسهل استلابها .

ولم يفوت الكتاب بيان الآثار المرضية لهذا الانحراف ، وأشار إلى الأمراض التى يطلق عليها (الأمراض الجنسية أو السرية) الناتجة عن الممارسة المنحرفة للجنس بعيداً عن إطار الدين والأخلاق .

ثم تحدث عما يؤدى إليه هذا الانحراف من زيادة فى الجرائم المجتمعية المفزعة، وعلى رأسها جريمة الاغتصاب التى باتت أشبه بظاهرة تهدد مجتمعنا .

وبعد هذا العرض للانحراف وآثاره أخذ الأخ الكريم فى توضيح العلاج الإسلامى من خلال بيان منهج العفة والاستعفاف فى الإسلام القائم على تقوية الوازع الدينى ، وقيام الأسرة المسلمة بدورها التشريعى والتنفيذى فى محاربة الانحراف ومحاصرة أسبابه ومواجهة آثاره فى الأمة .

وقد أراد الكاتب الكريم بذلك أن يوصل رسالة مهمة للأفراد والأسر والهيئات

والمؤسسات الرسمية والشعبية مفادها أن الجميع مطالبون بالقيام بدورهم فى التوعية والتوجيه والتربية ؛ لحماية شباب الأمة ، وصيانة القيم والأخلاق التى هى أساس النهضة والتقدم.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولعل هذه الرسالة تصل إلى الجميع فتتضافر الجهود ، وتتكامل الأدوار ، ويتحقق الأمل بإذن الله .

وأسأل الله أن يجزى أخانا الشيخ محموداً على بحثه هذا خيراً ، وأن يوفقه ليكون من الدعاة النابهين والهداة المصلحين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الأستاذ الدكتور

أبو محمد / **عبد الرحمـــن عبد الحميد البر**

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حق حمده ، حمدًا وشكرًا ، نسأل ربنا عز وجل أن يتقبلهما بفضله وكرمه ، وأن يجعلهما خالصين لوجهه الكريم ، ونرجو أن نستوجب بهما المزيد من فضله ونعمائه ، إنه الجواد الكريم ، البر الرحيم ، لا نحصى ثناء عليه ، هو سبحانه كما أثنى على نفسه ، إنه العلى الأعلى ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبى الأمى ، سيد المرسلين وإمام المهتدين وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد :

إن الإسلام لم يعتبر الدافع الجنسي في نفس الذكر أو الأنثى من الشيطان، ولم يعتبره قذرًا ينبغي أن يستخبثه ويستهجنه الإنسان، لا ؛ إنه دافع فطري ركبه الله تعالى في البشر لحكمة بالغة.

ليس في هذا الدافع الفطري قذارة ولا نجاسة، لا، إنه يكون قذارة ونجاسة حينما يتعدى به حدود الله تعالى، حينما يتجاوز ما أراد به الشرع، فلا حرج على الإنسان أن يطلب تصريف هذه الطاقة أو يلبي نداء هذا الدافع الجنسي بما أمر الله به عز وجل، وقد أحل الله النكاح وحرم السفاح.

وخطورة الانحراف الجنسى تكمن في أنه يخاطب جانبًا خطيرًا في النفس البشرية وهو الغريزة، مما يجعل قابلية السقوط في مهاويه واردة بشكل كبير لمن لم يعتصم بتقوى الله تعالى، ونهج رسوله ﷺ ، كما أن مسببات هذا الانحراف ودواعيه آخذة بالتعدد والتنوع والانتشار .

وقد تجمع فى عصرنا بمجتمع المسلمين فسادان : فساد لتصوير الإسلام ومفاهيمه الأصلية ، وفساد لسلوك المسلمين ، وكلا الفسادين تغذيه عوامل ، وتثريه توجهات ومقاصد داخلية وخارجية .

وإن أخطر ما يخاف منه على الشباب هو الميوعة والتخنث والانحراف، فلذا أردنا

في هذا الكتاب أن نضع الأطر العامة التي تحفظ الشباب وكل من له نهم من المنزلقات، وما يقيه كافة المخاطر والمهلكات، فالنتيجة المحتومة لانطلاق الغرائز هي انعدام الفضائل، والأخلاق، وانهيار الشعوب والأمم، وهذه ماتؤكده الحركة الصهيونية التي تعمل على تقويض الشعوب ـ كل الشعوب ـ غير اليهودية ـ بالجنس .

مؤامرة على العفاف :

«يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا. . إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس؛ لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه».

وجاء فيها أيضًا :

«لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم، وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد» [١] .

يقول الأستاذ فتحي يكن :

«إن هذا المفهوم من شأنه أن يكشف كثيرًا من الأسرار والملابسات الكامنة وراء الهزائم المتلاحقة التي منيت بها أمتنا، وبخاصة هزيمة ١٩٦٧، حيث لعب الجنس الدور الأساسي في حبك المؤامرة وفي إنزال الضربة القاضية بسلاح الجو المصري»[٢].

قوة الإسلام فى أخلاقه وقيمه :

والقيم الإسلامية من واقع القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة هى وحدها التى نستطيع أن نواجه بها أعداءنا ، ونحاور بها سلوكنا ، ونناقش أفكارنا ، ونرسى سفننا على أرصفة السكينة والاطمئنان ؛ لأنها تمنح الإنسان صوت الحق ، وجرس العدل .

وقوة الإسلام تكمن فى قيمه وأخلاقه ، وهذه القيم وتلك الأخلاق يبرزها القرآن وتوضحها السنة ، وبفضل هذه القيم والأخلاق نما مجتمع الصحابة وترعرع من شتات متناحر ، لا يكاد يلتقى على غير الصراع ، فإذا به أمة صلبة قوية تفتح وتغزو، تبنى وتعمر ، تنشر الهدى والسلام لتحطم أعتى القوى فى عصرها .

ونحن هنا نتكلم عن الأخلاق من جانب ارتباطها ؛ وعلاقتها بموضوع الكتاب،

---

(١) انظر: البروتوكول الثاني.

(٢) الإسلام والجنس ، فتحي يكن، ص٢٠، مؤسسة الرسالة، ط ١٦، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

فالأخلاق كما يقول الأستاذ محمد قطب : «ليست شيئًا منفصلاً عن الواقع ، ليست نظريات تدرس فى الأبراج العاجية مستقلة بذاتها ، وليس لها قوانين خاصة غير قوانين الحياة الواقعية ولا يمكن أن يوجد فساد خلقى مع استقامة فى حياة الواقعية .. إنما هما شيء واحد .. والفساد فى واقع الحياة معناه فى الأخلاق .. الفساد فى الأخلاق معناه فساد فى واقع الحياة معناه فى الأخلاق ... الفساد فى الأخلاق معناه فساد فى واقع الحياة ؛ لأنهما قانون مستمد من الوجود البشرى المتكامل والفطرة البشرية الشاملة » (١) .

الرذيلة سبب الذل والمهانة :

والإسلام يدرك أن الرذيلة سبب الذل والمهانة ، وأن العزة لا تكون إلا بالطاعة والتعفف والطهر ، ونظرة سريعة إلى التاريخ الإسلامى وإلى الأسباب التى مكنت الجيوش الإسلامية من اجتياج امبراطوريتى فارس والروم والسيطرة على أكثر من نصف المعمورة فى أقل من ربع قرن تؤكد مدى اهتمام الإسلام بأخلاقية الفرد والمجتمع فى حالتى السلم والحرب ، والتى عبر عنها رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٢) .

يقول اللواء الركن / محمود شيت خطاب : «الذى أعلمه علم اليقين ولا شك فيه أبدا ، هو أن الملوث جنسيا أو الملوث جيبيا لا يمكن أن يقاتل فى الحرب كما يقاتل الرجال .

وأريد بالملوث جنسيًا الذى تردى فى مهاوى الرذيلة فسقا وفجوراً ، يقضى أيامه مفكرًا في البغايا ، ويقضى لياليه في معاشرتهن، ويكشف ذيله على ما حرم الله ويطمع فى أعراض الناس .

وأقصد بالملوث جيبيا الذى دخل جيبه المال الحرام رشوة وغشا وجمعا للمال من غير طريق مشروع ..

---

(١) جاهلية القرن العشرين ، نقلا عن : الإسلام والجنس ، فتحى يكن ، ص١٩ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٧٠) ، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الكبرى (١٠ / ١٩٢) ، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١/ ٤٤) برقم (٤٥) .

وأقرر هذا المبدأ اعتمادا على تجربتى العملية فى الحروب ، واستناد إلى دراساتى لتاريخ الفتح الإسلامى العظيم ، وإلى ما قرره القادة العظام الأقدمون والمحدثون على حد سواء » [١] .

والقضية التربوية دائمًا تعتمد على إحلال الخير محل الشر ، وإن الفراغ بحد ذاته ضرب من الشر ؛ لأن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية ، وينبغى على الشباب أن يتعود فى أول عمره على أن يكون فكره وتطلعاته وطموحاته ترقى إلى رقى الإسلام ، وإلى الآفاق الواسعة التى صنعها لأتباعه، ومسألة العفاف من أهم ركائز النهوض لدى الشباب ، وهى تحتاج إلى رعاية صادقة ، وعناية تامة .

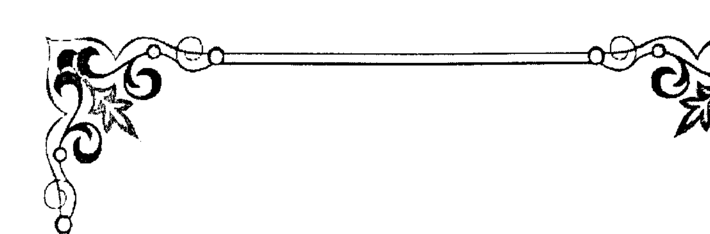
وصدق الشاعر حيث يقول:

إنما الأمـــم الأخلاق ما بـــقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والله ولي التوفيق

* * *

(١) طريق النصر فى معركة الثأر ، نقلا عن : الإسلام والجنس ، ص٦٦ ، ٦٧ .



الباب الأول

الجنس

وأهم عوامل الانحراف

الفصل الأول: فطرية الدافع الجنسي.

الفصل الثاني : غياب العقلية الإسلامية وأبواب الانحراف الجنسى .

الفصل الثالث: المؤامرات الخارجية والغربية.

الفصل الرابع : وسائل الإعلام وأثرها في الانحراف الجنسي

الفصل الأول

فطرية الدافع الجنسي

يقول أ/ محمد قطب: «الجنس ـ بجميع أحواله وجميع مستوياته ـ حقيقة عميقة في حياة البشر، بل في كل كيان الحياة»[(١)] .

فالإسلام لا يغفل هذه الحقيقة ولا يطالب الإنسان أن يتناسى هذا التجاذب الفطري بين شقيه.

«إنه لا ينكر الجنس، وما يرف حوله من مشاعر وأفكار، لأن منهجه الذي يسير عليه في معالجة النفس هو الاعتراف بالطاقات البشرية كلها، نظيفة في معرض النور، لا مستقذرة ولا مختلسة في الظلام.

إن الله هو خالق الفطرة، بكل ما تشتمل عليه من ميول ودوافع وطاقات، وقد خلقها لحكمة ـ وغاية لتؤدي دورها في بنية الكون ونظامه. . . ولكن في الوقت ذاته يطلب من هذه الفطرة أن ترتفع وتتهذب؛ لأن هدف الوجود كله ـ كما يعبر عنه الإسلام ، وكما تقرره كل حقائق الوجود ـ ليس مجرد استمرار الحياة، ولكن رفعها وتجميلها ، والوصول بها إلى مرتبة الجمال والكمال. . .

. . . فكل ما يؤدي منها (مشاعر الجنس) إلى الصعود والرفعة، كل ما يؤدي إلى القوة والتماسك ، كل ما يؤدي إلى التوازي، كل ما يؤدي إلى جمال المشاعر وصفاء النفوس وطلاقة الأرواح فهو جميل ومباح ومطلوب.

وكل ما يؤدي إلى الهبوط والنكسة إلى عالم الحيوان والضعف والانحلال والتفكك ،والانحراف الذي يفقد التوازن ، وغلظ المشاعر، وعرامة الشهوة التي تخنق طلاقة الروح . . فهو قبيح ومنكر وحرام»[(٢)] .

ويمكن الاستدلال على فطرية الدافع الجنسي في النفس الإنسانية عن طريق تطبيق معيار وضُعَ للاستدلال على فطرية الدوافع الموجودة لدى الإنسان، ويسمى هذا المعيار

---

(١) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص ٦٧، دار الشرق ، الطبعة السادسة، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) نفس المرجع ص ٧٢ .

بالمعيار الثلاثي لأنه يتشعب إلى ثلاث شُعب وهي:

١ ـ وجود أساس فسيولوجي (أو كيمائي) للدافع في الجسم، أو وجود شرط يهيئ سلفًا إثارة فعالية الدافع.

٢ ـ وجود الدافع لدى كل من الإنسان والحيوان، وخاصة الحيوانات القريبة الشبه بيولوجيًا بالإنسان مثل القردة.

٣ ـ عموم الدافع لدى كل من الإنسان البدائي والإنسان المتمدن.

وعند تطبيق هذا المعيار على الدافع الجنسي لدى الإنسان نجدُ ما يلي:

أولاً: بالنسبة للشعبة الأولى من المعيار نجد أنه يوجد للدافع الجنسي لدى الإنسان أساس فسيولوجي في الجسم، وهو الغدد الجنسية التي تفرز هرمونات الذكورة عند الذكور، وهرمونات الأنوثة عند الإناث.

لقد أثبتت الأبحاث الفسيولوجية أنه عندما تتوافر هرمونات الذكورة لدى الرجل تُكسبه صفات الذكورة التي يتميز بها عن الأنثى، مثل: خشونة الصوت، وظهور الشعر في الوجه، وغير ذلك من صفات الذكورة. وكذلك عندما تتوفر هرمونات الأنوثة في دم الأنثى فإنها تكسبها صفات الأنوثة التي تتميز بها عن الرجال مثل: نعومة الصوت، ونعومة البشرة، وغير ذلك من صفات الأنوثة.

وقد تبين أنه إذا ما وجد المزيد من هرمونات الذكورة لدى الأنثى، فإنها تكتسب بعضًا من صفات الذكورة، وذلك بالقدر الذي يتناسب مع زيادة هرمونات الذكورة لديها، فتظهر لديها صفات مثل: خشونة الصوت، وظهور الشعر في الوجه وغير ذلك من صفات الذكورة التي تتأثر بهذه الهرمونات.

وكذلك أثبتت الأبحاث الفسيولوجية أنه إذا وجد المزيد من هرمونات الأنوثة لدى الرجل تظهر لديه صفات من صفات الأنوثة، وذلك بالقدر الذي يتناسب مع زيادة هذه الهرمونات، مثل نعومة الصوت، وضعف ظهور الشعر في الوجه وانعدام ظهوره أحيانًا، وغير ذلك من صفات الأنوثة المتأثرة بهذه الهرمونات.

ثانيًا: وبالنسبة لاشتراك الإنسان والحيوان في الدافع الجنسي، فإن مثل هذا الاشتراك ليس بحاجة إلى تدليل؛ لظهوره الواضح، إذ تكفي الملاحظة البسيطة لدورة حياة الحيوانات لإثبات ذلك.

ومن الحيوانات ما تُثار دوافعها الجنسية في مواسم معينة، ولذا نجد أنها تتناسل في مواسم معينة ملائمة لحياتها، مثل: بعض الطيور، والأسماك ، وبعض الحيوانات الثديية ، ومنها ما يمكن أن يثار دافعها الجنسي على مدار السنة.

ثالثًا: وأما بالنسبة لعموم الدافع الجنسي عند جميع بني الإنسان سواء أكانوا متمدنين أم بدائيين ، فهو أيضًا ثابت بشكل قاطع، إذ إنه بدون هذا الدافع لا يمكن أن يحدث توالد على الإطلاق لدى الإنسان.

والدراسات (الأنثروبولوجية) مليئة بالبحوث الخاصة بالدافع الجنسي، وبالسلوك الجنسي النابع عن هذا الدافع لدى القبائل البدائية.

وقد ينعدم هذا الدافع لدى بعض الأفراد ، ويرجع هذا إلى أسباب خَلْقية بأن يُخْلَق الجسم بدون أن يكون مزودًا بالهرمونات التي تثير السلوك الجنسي مثل الرجل العنين، أو المرأة العاقر، وقد يرجع انعدام الدافع الجنسي إلى أسباب مرضية، وذلك بأن يقضي المرض على الهرمونات الجنسية لدى الذكر أو الأنثى(١) .

الفقهاء وتقدير الغريزة الجنسية :

الجنس: بمعنى الاتصال الجنسي بين الذكر والأنثى، فيه بذرة الحياة، ونواة الأجناس الكونية جميعًا، في كل بذرة كمون النوع المنشئ لها، ومن حق كل إنسان مفكر أن يطرق حديث الجنس، إذا كان يسلك المسلك الذي اختص به قانون الخلق الإلهي، كما بينه القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان، وبين أن أصل الخلق مادة ، وبين كيفية وجود الإنسان ، وأطوار خلقه في رحم الأم قبل الولادة.

إن الله خلق الإنسان من مادة الأرض ، التي يسكن إليها بعد موته، لتكون ملائمة لاستقراره على أساس أنها أصل نوعه .

قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] .

---

(١) انظر: عوامل الانحراف الجنسي ومنهج الإسلام في الوقاية منها وعلاجها، عبد الرحيم صالح عبد الله، ص ١٧ ـ ٢٠ ، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

فالمراد هـا هنا بالخلق مـن الطين ـ خلق آدم ـ أبـو البشر ، وقد بين الـقرآن هذه الحقيقة في التدليـل على قدرة الله، واستحقاقه وحده للعبادة، بـتذكيره الناس أنه عز شأنه خلقهم من نفس واحدة وهو: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام: ٩٨] ، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦] ثم جاء نسل آدم عليه الـسلام، قال تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٨].

وقال تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٦].

فخلق آدم ـ كـما بينت الآيات، من طين أمـا نسل آدم فمن ماء مهـين، من مني الرجل يوضع في رحم المرأة.

ولقد بين التنزيل الحكيم أطوار الإنسان ، قال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [الحج: ٥] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٣ ـ ١٤].

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

وتنظيم الإسلام للجنس يدخل ضمن الدائرة التعبدية لأسباب يحرص الدين على أن يجعلـها غايات، فإن الإسلام لا يـلغي حق المسلـم في التلذذ ، ولكـن بشرط أن يكون خـاضعًا لفـروض تشريعيـة ، أي في زواج صحيـح، عند ذلك يـكون الزواج تمتعًا، ويكون امتثـالاً في الوقت نفسه لأوامر المشرع الأعظم . وعليـه فقد نظر فقهاء الإسلام إلى الزواج الصحيح على أن فيه عبادة قـال ابن عابدين رحمه الله: «ليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم إلى الآن ثم تستمر في الجنة إلا النكاح والإيمان»(١) .

وفقهاء المسلمين الذي يقدرون للغرائز قـدرها، وتملكها من الإنسان وتمكنها منه، لم ينظروا إلـيها على أنها شر يجب قـتله، بل هي لذة تباح بالزواج ، تـساعد البدن على إفراغ شواغل النفـس من الهم، ولقد رأى الإمام الغزالي فيها حكـمة إلهية فقال

---

(١) الدر المختار ٣ / ٣ .

في إحياء علوم الدين: «وفي الشهوة حكمة.. وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة، ليكون باعثًا على عبادة الله، فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعبية الإلهية، كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان، حياة ظاهرة، وحياة باطنة، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله، فإنه نوع دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية، فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام، تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام، فيستحث على العبادة الموصلة إليها»(١).

ولقد خلق الله تعالى شهوة الفرج، وجعلها مستحثًا للتناسل، ولهذا كان لابد من إفراغها في وعاء حلال، فإن حيل دون استفراغها، أرهقت القلب، وأوقعته في مهالك كثيرة، ذلك لأن تملك الشهوة للإنسان تزداد حتى تسيطر عليه، وتتصرف فيه، وعند ذلك لابد من تدبير العلاج بإفراغ شهوته بالجماع. فإن الجماع يشغل قلبه، ويسلبه عما يجده، ويصرف قلبه عما هو متوجه إليه، والشيء إذا عولج قبل تمكنه زال ضرره بأدنى سعي.

ولهذا جاء الأمر بالزواج من رب العزة جل شأنه: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]. وقضت الشريعة الإسلامية السمحاء أن يقترن الزوج بالزوجة ليكونا أسرة واحدة يظلها الود والرحمة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. وروى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: **«أنتم قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**(٢).

وفي الحديث أصل من أصول التربية، ففيه يربي الرسول ﷺ أمته على الاعتدال

---

(١) إحياء علوم الدين، مرجع سابق ٢ / ٤٥، دار الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣).

في الشهوة ، لأن المتشدد لا يأمن الملل من تشدده فيقع في الرذيلة ، بخلاف المقتصد الذي يأمن الزلل. ولكن في الوعاء الحلال لقوله تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] ، ولكل مسلم في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، فهو كما يقول ابن القيم رحمه الله: «وأكمل الناس لذة من جمع بين لذة القلب والروح، ولذة البدن، وهي اللذة التي بينها الرسول ﷺ في حديثه للذين يتشددون في العبادة، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه» (١) .

هذا ما فهمه فقهاء المسلمين وعلماؤهم كالإمام الغزالي والراغب الأصفهاني، وابن القيم والمناوى رحمهم الله، لعلمهم بأن الشهوات المباحة موصلة إلى اكتساب الفضائل، كالسؤدد والغنى ، والرغبة في المغالبة والجاه، ولا تذم إلا إذا أفرط فيها، وشغلت الإنسان عن الفضائل والمروءات .

يقول عبد الرءوف المناوى : «إن الشهوة إنما تكون مذمومة إذا كانت مفرطة وأهملها صاحبها حتى ملكت القوى، فأما إذا أديت فهي المبلغة إلى السعادة في الدنيا، وجوار رب العزة في الآخرة، حتى لو تصورت مرتفعة لما أمكن الوصول إلى الآخرة، وذلك لأن الوصول إلى الآخرة بالعبادة، ولا سبيل إلى العبادة إلا بالحياة الدنيوية ، ولا سبيل إلى الحياة الدنيوية إلا بحفظ البدن، ولا سبيل إلى حفظ البدن إلا بإعادة ما يتحلل منه، ولا يمكن إعادة ذلك إلا بتناول الأغذية ، ولا يمكن تناول الأغذية إلا بالشهوة ، فإذن الشهوة محتاج إليها، ومرغوب فيها، وتقتضي الحكمة الإلهية إيجادها وزينتها»(٢) .

فالإسلام لم يتجاهل حق الإنسان في التمتع بالشهوة، ولكنه يدعوه إلى الاعتدال فيها، وإلى أن يكون إفراغها في وعاء حلال، حتى لا تشغل الإنسان عن أمور معاشه ومعاده.

لماذا الغريزة الجنسية؟

١ ـ يرى الإسلام في الغرائز البشرية جميعها ومنها غريزة النوع، أمرًا طبيعيًا

---

(١) الفوائد ص ١٥٠ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية.

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/ ٢٠٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ، طبعة ١٣٥٦م .

جعله الله ـ سبحانه ـ في الإنسان لحكمة سامية تتصل باستمرار الحياة وبقاء الأجيال.

والقرآن يتحدث عن غريزة النوع على أنها نزوع فطري لا ذنب للإنسان في الشعور به؛ إذ هي عنصر من عناصر الطبيعة البشرية لا يد للإنسان في وجوده:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

فهذه غرائز فطرية عند الإنسان يجد نفسه مدفوعًا إلى الرغبة فيما تتعلق به.

ولا يلام الإنسان على شعوره بالرغبة في شيء منها أو إحساسه لتحقيق نزوعه نحوها، ما دام مرتبطًا بالقوانين التي شرعها الله ـ سبحانه ـ لإجابة هذه الغرائز، وليس على المرء من حرج إذا شعر بإلحاح الغريزة على نفسه، وليس اتجاهه المشروع لتلبيتها مكروهًا، بل فريضة في بعض الأحيان...»[1].

فالإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة، ينظر إليه جسمًا وعقلاً وروحًا، وينظر إليه من خلال تكوينه الفطري ثم هو ينظم حياته ويعالجه على أساس هذه النظرة.

«وحين يقول إنسان لنفسه: إنني أحس في أعماقي بحنين إلى الجنس الآخر ورغبة قوية في اللقاء بأحد أفراده، والامتزاج معه والإفضاء إليه، والاتحاد الكامل معه حتى كأننا شخص واحد لا شخصان منفصلان، هذا الإحساس ليس عيبًا في ذاته ولا قذارة، إنه فطرة الله التي فطر عليها، كل الرجال وكل النساء يشعرون بهذا الحنين وهذه الرغبة، ولابد أن يشعروا بها ليحققوا غاية الحياة ويحفظوا النوع على وجه الأرض، والتركيب الجسمي يشير إلى هذه الوظيفة ففسيولوجياته وبيولوجياته، وكيماوياته كلها مهيأة للقيام بهذه الوظيفة على وجهها الأكمل لتنتج أجيالاً جديدة من الحياة، وهذ أمر لا يتم بغير لقاء زوجين.

وحين أحس بهذا الإحساس وهذا الميل، فأنا سائر مع الفطرة في اتجاهها السليم»[2].

---

(١) الإسلام والمشكلة الجنسية، د/ مصطفى عبد الواحد، ص ١٥، دار الاعتصام، ط ٣، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ١ / ١١٥، الطبعة الحادية عشرة، دار الشروق ١٩٨٨م.

أهمية الغريزة الجنسية

ومن خلال هذا الإحساس وهذا الميل تكمن أهمية الغريزة الجنسية، والحكمة الإلهية في خلقها لدى الأحياء، والإنسان خاصة.

«إن الفاطر قد خلق النوع الإنساني ـ كسائر الأنواع ـ أزواجًا، أي جعلهم صنفين اثنين يميل أحدهما إلى الآخر بدافع طبعه، ولكن الذي يدل عليه ما علم من أحوال سائر الأنواع الحيوانية، هو أن الغاية من وراء التقسيم الصنفي والميلان الطبيعي فيها هي مجرد بقاء أنواعها»(١) .

ولذلك أودع في فطر الحيوانات ما يحافظ على بقاء الأنواع، وييسر الحياة للإنسان، ولذا نشاهد من الحيوانات ما يتكاثر في فصل من فصول السنة دون فصل، وما يتكاثر في وقت دون وقت آخر.

والإنسان على خلاف ذلك فكما يقول أبو الأعلى المودودي: «الرجل والمرأة يميل أحدهما إلى الآخر ميلانًا دائمًا أبديًا، وقد ركب فيهما ما لا يعد ولا يحصى من أسباب الجذب والانجذاب الصنفي، وأشربا في قلوبهما حب الجنس الآخر والولع به، ووضعت في تركيب أجسامهما وفي تناسبها وألوانها وهيئتها وملمسها ، وفي كل جزء من أجزائها جاذبية الجنسين بعضهما لبعض. . ثم قد بث القدر فيما حولهما ما لا يحد من الأسباب التي تحرك فيهما النزعات الجنسية، وتميل أحدهما إلى الآخر؛ فرفيف الريح، وجريان الماء، وخضرة النبات، وعبير الرياحين، ورفرفة الطيور، وعارض السماء، ونعومة الليل والقمر، كل هذه المظاهر لجمال الفطرة وبهاء الكون، إن منها شيء إلا يحرك فيهما العواطف بنفسه أو بواسطته»(٢) .

تباين الجنس في الإنسان والحيوان:

يذكر الأستاذ محمد قطب أن هناك اختلافًا جذريًا في عالم الجنس بين الإنسان والحيوان، فهو إن كان عند الحيوان عرامة شهوة، وقضاء وطر، فعند الإنسان أداء رسالة وتحقيق هدف، فيقول:

«في عالم الحيوان تهيج الذكور والإناث للإخصاب في موسمها الجنسي، لا

---

(١) الحجاب، أبو الأعلى المودودي ، ص ١٣٦ ، دار الأنصار.

(٢) الحجاب، أبو الأعلى المودودي ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

اختيار لها في تحديد الموعد، وتهيج جماعات ، لا اختيار في التميز الشخصي، وتهيج في حركات محددة تصل في نهايتها إلى اللقاء الجنسي، لا اختيار في هذه الحركات.

وأهم من ذلك أن كل أنثى مباحة لكل ذكر، وكل ذكر في اشتياق لكل أنثى، لا يقف دون تحقيق هذه الشيوعية الكاملة إلا عراك الذكور واقتتالهم على الإناث، وهلاك الكثيرين منهم، في المعركة واستيلاء من بقي منهم حيًا على قطيع الإناث.

وفي عالم الإنسان توجد ضرورة الجنس، ولكنه حين يكون إنسانًا، يقضيها على غير طريقة الحيوان.

فقد تحرر الإنسان ـ بادئ ذي بدء ـ من قيد الموعد المحدد، وصارت السنة كلها بالنسبة إليه موسمًا صالحًا للإخصاب، ولكنه في مقابل ذلك يلتزم ـ لصالح نفسه قبل كل شيء آخر ـ بتحديد القدر الذي ينغمس فيه في هذه الضرورة، وقد زود بالأداة اللازمة لذلك: أداة الضبط والتقدير.

وقد تحرر من صورة القطيع في شؤون الجنس ـ كما في كل شأن آخر ـ فأصبحت له ذاتيته المتفردة، التي تختار لنفسها سلوكها وطرائقها ، ومواعيدها، وإقبالها وامتناعها.

ولم يعد في عالم الإنسان كل أنثى مباحة لكل ذكر، وكل ذكر في اشتياق لكل أنثى؛ لأن الجنس في عالم الإنسان ليس أداء ميكانيكيًا لهدف غير واع»[(١)] .

الجنس وسيلة لتحقيق رسالة الإنسان:

ويتساءل المودودي عن سبب تواصل هذه الجاذبية الجنسية أهي لمجرد بقاء النوع؟

والإجابة بالنفي لأن النوع الإنساني لا يحتاج لبقائه إلى كل ذاك التناسل الذي يحتاج إليه السمك والمعز وما إليها من الأنواع. . .

أم أن ذلك لتوفير اللذة والمتعة للإنسان؟ ولكن الفطرة لم تجعل اللذة والمتعة شيئًا مقصودًا بذاته في حال من الأحوال، وإنما هي تضع اللذة في عمل من الأعمال حفزًا للإنسان والحيوان عليه؛ لتحقيق مقصود أسمى وأجل. . ويهتدي المودودي إلى أن

---

(١) منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب، ص ٣٥، دار الشروق، ط ٦ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

الفطرة تريد للإنسان بخلاف سائر الأنواع أن يتحضر ويتمدن، فيقول عن هذا الميلان الجنسي وحكمته :

«يراد به وصل الرجل والمرأة بهذا السبب القوي، وجعل علاقة ما بينهما ثابتة مطردة»[١] .

فالأمر يتطلب عشرة دائمة، وصلة قلبية، وتعلقًا روحيًا قويًا.

ويقول: «ولهذا السبب قد خلق الطفل الإنساني - بخلاف الحيوانات الأخرى - يحتاج إلى رعاية والديه، وتربيتهما مدة بضع سنين، ويتأخر فيه نشوء القوة والأهلية لكسب قوته، والاستقلال بنفسه في المعاش ، وهذا كذلك مما يراد به ألا ينحصر اتصال الرجل والمرأة في التعلق الجنسي بينهما؛ بل تحملهما نتيجة هذا التعلق على التعاون والتعامل في الحياة»[٢] .

ويقول: «والإنسان يظل مأسور الفؤاد بحب أولاده حتى بعد انقضاء مدة التربية، ثم يمتد حبه هذا من أولاده إلى أولاد أولاده، ويبلغ من سلطان هذا الحب. . . أنه يحب لأولاده أكثر مما يحب لنفسه، ويود من قرارة نفسه أن يهيئ لخلفه أحسن ما يكون من أسباب العيش، ويورثهم كل ثمرات أعماله ومجهوداته في الحياة، فما كانت الفطرة لترمي من وراء هذه العاطفة الشديدة من الحب إلا أن تحول التعلق بالجنس بين الرجل والمرأة إلى رابطة أبدية»[٣] .

وعلامة التمدن والحضارة أن تتكامل مجهودات المجتمع متكاتفة صوب الكمال، وتتناسق أشكال الجمال في تشابك الإنسان مع أخيه الإنسان، وأن تتحول أنانية الفرد إلى روح الجماعة.

وإذا كان المودودي أرجع هذه الجاذبية الجنسية لتواصل العشرة، والألفة، والاتصال القلبي والروحي بين الزوجين وذلك لعمارة الحياة، فالغزالي أضاف أمرًا مهمًا وهو عمارة الآخرة لترتفع المسألة الجنسية بطهارتها وسموها لتكون حافزًا للإنسان في التواصل الإيماني بأن يحافظ على سلوك سبيل الصواب إليها فيحيا حياة ناعمة، تحثه هذه الحياة إلى حياة أطيب منها وهي حياة الآخرة.

---

(١) الحجاب، أبو الأعلى المودودي ، مرجع سابق، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
(٢) نفس المرجع ص ١٤٠ .
(٣) نفس المرجع ص ١٤٠ .

يقول الغزالي في إحيائه:

«اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين:

إحداهما: أن يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة، فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد، كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد، والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم، وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة، فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق.

الفائدة الثانية: إبقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها، ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال»[(١)] .

فالطاقة الجنسية في الإنسان الذكر والأنثى خلقت لتحقيق غاية جليلة هي: التناسل والتوالد والتكاثر بغرض استمرار الجنس البشري، والإسلام لا ينظر إلى هذه الطاقة كمجرد أمر واقع، ولكنه يعاملها بالتقدير باعتبارها وسيلة لغاية جليلة، ويرفع بها إلى عالم الطهر فيجعلها من وسائل التحفيز والتشمير عن ساعد الجد في طاعة الله ـ سبحانه ـ وتعالى.

* * *

---

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ١٤٣ ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ط ١ ، ١٤١٧ هـ.

الفصل الثاني

غياب العقلية الإسلامية وأبواب الانحراف الجنسى

الثغرة التي نفذت منها الشياطين:

كان غياب العقلية الإسلامية ، وغياب المجتمع عن حقيقة الإسلام وتوجيهاته هو الذي فتح الثغرة للغزو الفكري، وهو الذي استغله الشياطين؛ لينفذوا منه إلى المجتمع الإسلامي ـ في كل بلاد الإسلام ـ وينفذوا مخططاتهم فيه.

وفي وقت مبكر نسبيًا ـ عام ١٩٢٩ م ـ كتب (ول ديورانت]، الكاتب الأمريكي، في كتابه [مباهج الفلسفة] هذه الكلمات:

«فحياة المدينة تفضي إلى كل مثبط عن الزواج، في الوقت الذي تقدم فيه إلى الناس كل باعث على الصلة الجنسية، وكل سبيل يسهل أداءها . ولكن النمو الجنسي يتم مبكرًا عما كان من قبل، كما يتأخر النمو الاقتصادي . . ولا مفرّ من أن يأخذ الجسم في الثورة، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعًا للسخرية ، ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال جمالاً، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم ، وتطالب النساء بحقها في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمرًا مألوفًا، وتختفي البغايا من الشوارع بمنافسة الهاويات لا برقابة البوليس. . ».

« . . . وما يحدث في إباحة الزواج فهو في الغالب ثمرة التعود قبله، وقد نحاول فهم العلل الحيوية والاجتماعية في هذه الصناعة المزدهرة[١] وقد نتجاوز عنها باعتبار أنها أمر لا مفر منه في عالم خلقه الإنسان، وهذا هو الرأي الشائع لمعظم المفكرين في الوقت الحاضر ، غير أنه من المخجل أن نرضى في سرور عن صورة نصف ميلون فتاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذبح الإباحية، وهي تعرض علينا في المسارح وكتب الأدب المكشوف، تلك التي تحاول كسب المال باستثارة الرغبة الجنسية في

(١) يقصد صناعة البغاء ، ويلاحظ أنه يلتمس لها المبررات علي الرغم من الأسى الذي يحسه على الفتاة الأمريكية! .

الرجال والنساء المحرومين - وهم في حُمى الفوضى الصناعية - من حِمَى الزواج ورعايته للصحة».

«. . . حتى إذا سئمت فتاة المدينة الانتظار، اندفعت بما لم يسبق له مثيل في تيار المغامرات الواهية. فهي واقعة تحت تأثير إغراء مخيف من الغزل والتسلية وهدايا من الجوارب وحفلات من الشمبانيا في نظير الاستمتاع بالمباهج الجنسية، وقد ترجع حرية سلوكها في بعض الأحيان إلى انعكاس حريتها الاقتصادية، فلم تعد تعتمد على الرجل في معاشها . وقد لا يقبل الرجل على الزواج من امرأة برعت مثله في فنون الحب، فقدرتها على كسب دخل حسن هو الذي يجعل الزوج المنتظر مترددًا ؛ إذ كيف يمكن أن يكفي أجره المتواضع للإنفاق عليهما معًا في مستواهما الحاضر من المعيشة؟»[١] .

«. . . ولندع غيرنا من الذين يعرفون يخبرونا عن نتائج تجاربنا. . أكبر الظن أنها لن تكون شيئًا نرغب فيه أو نريده ، فنحن غارقون في تيار من التغيير ، سيحملنا بلا ريب إلى نهايات محتومة لا حيلة لنا في اختيارها ، وأي شيء قد يحدث مع هذا الفيضان الجارف من العادات والتقاليد والنظم. . »[٢] .

فإذا كان هذا قد كان واضحًا عند رجل غير مسلم - بل رجل ملحد ساخر بكل القيم الدينية والأخلاقية - مثل ول ديورانت، قبل أكثر من نصف قرن من الزمان، فقد كان الأحرى أن يكون واضحًا تمامًا عند المجتمع المسلم، الذي يهتدي ببصيرته الإيمانية، المستمدة من إيمانه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والذي يرى حتمية السنن الربانية في الحياة البشرية حين يقدم الناس لها الأسباب ، ويؤمن بالنتائج السيئة المترتبة على فساد الأخلاق في حياة الأمم وحياة الأفراد .

ولكن القضية أن المجتمع الإسلامي كان بعيدًا عن حقيقة الإسلام.

ومن هنا وُجدت الثغرة التي ينفُذ منها الشياطين.

---

(١) يقصد أن الرجل قد يرفض الزواج من الفتاة الفاسدة الأخلاق، ولكن الضغط الاقتصادي يجعله يقبل في النهاية بعد تردد !.

(٢) مقتطفات سريعة من كتاب [مباهج الفلسفة] لول ديورانت، ترجمة عبد العزيز جاويد وفي الأصل توسع في هذا الموضع استغرق ما بين ص ١٢٦ وص ٢٣٦ من الترجمة العربية.

وحين نفذوا فإنهم لم يقولوا: إن المجتمع قد بعد عن الإسلام الصحيح وينبغي أن يعود إليه . . فما لهذا جاءوا، وما لهذا أطلقوا صيحاتهم! إنما هم كانوا يعملون ـ بجهدهم كله ـ ليخرجوا هذه الأمة من الإسلام ، وليرسموا لها الطريق الذي يبعدها نهائيًا عنه، ويمنعها ـ بكل سبيل ـ من العودة إليه.

ولئن كانوا قد استخدموا الإسلام في مبادئ حركتهم: كما استخدمه قاسم أمين وغيره ـ ليتترسوا به من قذائف المعارضين، الذين سيرمونهم ـ ولا شك ـ بالمروق من الدين، فإن هذه المرحلة سرعان ما استنفدت أغراضها، ووقفوا موقفهم الحقيقي من الإسلام، وهو موقف النبذ والمعارضة والهجوم، على مرحلتين متتابعتين ـ بحكم الظروف ـ الأولى هي مهاجمة التقاليد . . والأخرى هي مهاجمة الدين باسمه الصريح.

في مرحلة الهجوم الأولى هاجموا التقاليد التي كانت ظالمة بالفعل، من تأثير الردة الجاهلية التي كان المجتمع الإسلامي قد ارتد إليها نتيجة تخلفه العقدي، وعدم تطبيقه الإسلام على صورته الحقيقة، ولكنهم حرصوا على أن يدخلوا في دائرة الهجوم التقاليد الإسلامية الحقيقية التي قررها الله ورسوله، جنبًا إلى جنب مع التقاليد الفاسدة ، ويطلقوا عليها جميعًا أنها تقاليد بالية ينبغي أن تحطم وأن تغير، كما حرصوا على أن يسموها كلها بأنها من تراث العصور الوسطى المظلمة ، التي ينبغي لها أن تمحى من الوجود في العصر الحديث. . عصر النور. . والتحرر . . والانطلاق!

وكان في هذا الهجوم ـ على هذا النحو ـ خبث ماكر ولا شك . فحقيقة إن كلا النوعين من التقاليد ـ الصحيح والفاسد كان قائمًا في الحياة الإسلامية، بعضه إلى جانب بعض، ولكن كان من السهل ـ لو خلصت النيات ـ فرز هذه من تلك، والإبقاء على التقاليد الحقة، المستمدة بالفعل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومحاربة التقاليد الفاسدة، التي جاءت من الردة الجاهلية في شأن المرأة، حتى لو اقتضى الأمر خوض معركة مع المتمسكين بها، فإنما برز العلماء في حياة هذه الأمة بالمعارك الحادة التي خاضوها ضد انحرافات المجتمع، ولو كان المجتمع كله غارقًا فيها، وتركوا بصماتهم الإصلاحية بمقدار ما بذلوا من جهد، وبمقدار ما كان هذا

الجهد مخلصًا متجرداً لله.

لكن الخبثاء استغلوا ما غشي الإسلام من غبش في نفوس معتنقيه، فلم يعودوا يميزون بين الحق والباطل ، واستغلوا بصفة خاصة جهالة المثقفين فهاجموا الظلم البين الذي يأباه الله ورسوله، وأدخلوا معه تقاليد الإسلام الحقيقية على أنها من الظلم الذي ينبغي إزالته، وزعموا ـ في بادئ الأمر ـ أنها ليست من الدين، إنما هي من وضع رجال متزمتين، اخترعوها من عند أنفسهم وألصقوها بالدين ! حتى إذا زرعوا كرهها والنفور منها في قلوب المثقفين ، وضمنوا لهذا النفور الثبات والرسوخ في قلوبهم، صارحوهم في المرحلة الأخيرة أنها من الدين! وقالوا لهم جهرة: إن الدين ذاته هو البلاء الذي ينبغي التخلص منه ونبذه وراء الظهور[١] .

والذي فتح أوسع الأبواب للانحراف الجنسي، وأدى إلى انتشار جميع أنواع الفساد والشذوذ، والانحراف في المجتمع الإسلامي، هو غياب تطبيق أحكام الإسلام في واقع حياة المسلمين، وغياب العقلية الإسلامية ؛ إذ إن مجرد تلقي العلوم والأحكام الإسلامية لمجرد العلم بها دون الاهتمام بتطبيقها في واقع الحياة لا قيمة له، مهما كانت الإحاطة واسعة بهذه الأحكام والعلوم الإسلامية ، وشأن المسلم في الإحاطة بها هو شأن المستشرق الذي يدرس الإسلام، فمجرد التثقف بالثقافة الإسلامية لا قيمة له في واقع الحياة إن لم يكن للمفاهيم الإسلامية تأثير في توجيه سلوك المسلم وتصرفاته في حياته اليومية.

والعقلية الإسلامية التي تقوم على الإسلام ، ويتلقاها المسلم من أجل تطبيقها في واقع الحياة، إنما تحتم عليه أن يقيس كل فكر بالإسلام ، ويكشف عن زيف كل فكر زائغ يجد سبيله إلى عقل المسلم، فيحكم ببطلانه، ويرفضه بشكل نهائي، ويستبعده من حياته والتأثير في تصرفاته، وهذا هو الضمان الوحيد الذي يضمن ضبط دوافع المسلم بأحكام الإسلام، فتدفعه للعمل على إشباع حاجاته وميوله بحسب أحكام الإسلام ، وبذلك تكون نفسية المسلم نفسية إسلامية، فتكون تصرفاته وهواه تبعًا لما جاء به الإسلام، وبذلك تتكون الشخصية الإسلامية في تفكيرها، وتصرفاتها، وأهوائها، وغياب مثل هذه الشخصية الإسلامية من المجتمع الإسلامي هو الذي يَسَّرَ

---

(١) انظر: قضية تحرير المرأة ، محمد قطب، ص ٦٥ ـ ٧٠، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٩١م.

للغزو الفكري مهمته، بترويج المفاهيم المخالفة للمفاهيم الإسلامية في المجتمع الإسلامي، والحكم ببطلانها، ورفضها رفضًا باتًا، وتطهير عقول المسلمين منها، وحماية دوافعهم من التأثر بها.

ومع تزايد ابتعاد المسلمين عن إسلامهم، وعدم اتخاذه القاعدة الأساسية، والوحيدة التي تقوم عليها عقلياتهم ، ازداد أخذهم للمفاهيم المخالفة للإسلام، والتي حاول دعاة الضلال والانحراف إلباسها لباسًا إسلاميًا على أساس أن لها صلة بالإسلام، ومستمدة منه، ولا يملك الجاهل بالإسلام، والفاقد للعقلية الإسلامية إلا أن يسلم بهذه المفاهيم الزائفة المغلوطة، ويروج لها على أنها فكر جديد ويتشدق بترديدها ليعلن تثقفه بها، ولجهله بإسلامه يزداد تمسكه بها، ويقلده غيره بترديدها، فيزداد تأثيرها في الدوافع المسيرة لتصرفات حملتها ، وسلوكهم ، فيزدادون بذلك شذوذًا وانحرافًا عن الإسلام، ومن هذه المفاهيم المغلوطة التبرج، والتغير الذي يعتمد على النظرة الجنسية للسلوك الإنساني.

من مظاهر غياب العقلية الإسلامية :

أولاً ـ التبرج :

ماذا يفعل المراهق أو الشاب أمام هذا التيار الجارف من المفاسد ؟!

إنه لا يستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ببصره فضلاً عما يندفع بغريزته إلى ما وراء ذلك.

إن ذلك يرهق الأعصاب، ويفسد الأخلاق، ويصرف عن الجد والعمل والبناء. من الذي يخترع هذه الأزياء؟

إنهم حفنة من التجار أكثرهم من اليهود الذين يريدون أن تعمَّ الفوضى في كل الأنحاء ، وأن يجتثوا أصول الأخلاق الفاضلة من المجتمعات . . لتنحل قواها ويسهل السيطرة عليها وامتلاك زمامها!! . .

إن أولئك يصدرون عن عقائد غير عقائدنا، وأخلاق غير أخلاقنا.

إن شعور التبعية النفسية ، والإحساس بالنقص . . والانخراط في بوتقة التقليد الأعمى . . هو الذي يدفع النساء غير الواعيات في بلدنا إلى أن يَنسَقْن بحكم عواطفهن وأهوائهن في تيار الأزياء الفاضحة التي تستهدف الفتنة والإغراء .

ولست أدري كيف ترضى المرأة المسلمة أن تنقاد وراء ذلك التيار الآسن الذي يسلبها خصائصها وأصالتها، ويحيلها إلى مسخ شائه باسم الرقي والتحضر والتقدمية.. ومما يجسِّم الخطر أن تيار العبث بالأزياء لا يقف عند حد، بل إنه يولع بكل غريب، ويتجه إلى كل ما يلفت الأنظار ويثير العجب!!.

لقد تفننت الأزياء في إبراز الفتنة والإغراء بالانحراف فلم تدع لذلك وسيلة إلا اتجهت إليها مهما بدت معيبة ممجوجة، ومهما امتهنت كرامة الإنسان، وأحالته إلى سلعة أقلَّ من الحيوان!!.

والمرأة المعاصرة طائعة ذليلة لكل ما يختاره لها العابثون، وقد وقَرَ في أذهان النساء أن التخلف عن هذه «الأزياء العالمية» كما يصفونها انقطاع عن الحضارة وتأخر عن موكب المدنية والتقدم.

ولئن كانت المرأة الأوربية أو الأمريكية .. لا ترى بأسًا في اتباع هذا التيار الجارف من فوضى الأزياء، فإن المرأة المسلمة لابد أن ترى في هذا التيار بأسًا وأي بأس؟!

أن ترى فيه بأسًا لما يصيب العزّاب من كَبْتٍ وما يجرهم إلى الفوضى الجنسية والانحلال.

أن ترى فيه بأسًا لما يدفع النساء الجاهلات الفقيرات إلى أن يتعاطين الزنى سرًا للحصول على المال، حتى تظهر إحداهن في المجتمع بمظهر فاتن جميل في ظهورها بهذه الأزياء!!.

أن ترى فيه بأسًا لما يقع بين الأزواج والزوجات من مشاجرات وخصومات من أجل أن تشبع المرأة نهمها في ارتداء الزي الجديد.

إن المرأة المسلمة مطالبة بأن تحيا في حدود أخلاقها ومبادئها وأصالتها الإسلامية، وأن تحافظ على استقامة المجتمع، وطمأنينته، وأن ترحم المراهقين والعزَّاب بما تظهر به من مظهر الحشمة والكمال، وبما ترتديه من زي الجلابيب والحجاب.. وإلا .. فتعتبر شرعًا حائدة عن مبادئ الإسلام، ومسترسلة الفسوق

والعصيان خاضعة للهوى، منقادة للضلال . .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦][1] .

والفطرة السليمة تنفر الإنسان وخاصة المرأة من انكشاف سوأتها، وتحرص على سترها، واللائي يتساهلن في اللباس فيلبسن ما يثير الفتنة بهن، ويبرز مفاتنهن ولا يسترهن فهن يسلبن من أنفسهن في تعرية أجسادهن خصائص فطرتهن وفي نفس الوقت يسلمن أنفسهن للشيطان الذي يريد نزع لباسهن وإظهار عوراتهن يقول الله ـ عز وجل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

لقد تلاعب الشيطان ببعض المسلمين فأوقعهم فيما يخالف شرع الله ـ تعالى ـ فزين لهم التعري، باسم المدنية والحضارة ، وكان للنساء النصيب الأكبر في ذلك، وواقع النساء في كثير من ديار المسلمين شاهد على ذلك،وخلال سنوات مضت ظلت النساء في بلاد الحرمين بعيدات عن ارتداء الألبسة العارية إلى وقت قريب حيث بدأت بعض النساء يلبس ألبسة عارية ، بموديلات متنوعة، وأنواع مختلفة من ثياب شفافة وقصيرة وضيقة وذات فتحات علوية وسفلية. وخاصة في حفلات الأعراس ونحوها، وكان لانتشار هذه النوعية من الملابس أسباب عدة من أبرزها: القنوات الفضائية، ففي تحقيق لمجلة الدعوة عن العري في ملابس النساء ومن المسئول؟ ذكر أن «القنوات الفضائية أهم عامل تقريبًا، فالبرامج التي تبث فيها كلها سموم ذات مفعول قوي»[2] .

إن النساء اللاتي يلبسن تلك الملابس العارية لا يشعرن براحة نفسية ولا جسمية، فهن يتعبن أثناء لبسها، ولا يهنأ لهن بال لا في قيام ولا في قعود، كما أن لها أضرارًا صحية يقول الدكتور وجيه زين الدين: «إن الملابس الضيقة لا تخلو من أضرار منها ما قد تسببه من حساسية الجلد والضغط على الأحشاء الداخلية [3] ، وهذا اللباس ليس

---

(١) انظر: مسئولية التربية الجنسية من وجهة نظر الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ص ٥٣ ـ ٥٥، دار السلام، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) مجلة أسرتنا، العدد (٣٧).

(٣) مجلة أسرتنا عدد (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣).

بساتر للمرأة؛ بل هو مبرز لمفاتنها... ومغر بها من رآها ، وشاهدها حتى ولو كانت تلبس هذه الملابس بين النساء، يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى : «الذي أراه أنه لا يجوز للمرأة أن تلبس مثل هذا اللباس ولو أمام المرأة، والتي تلبس هذه الملابس متوعدة بالعذاب فقد قال النبي ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما**». وذكر منهما: «**ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» [(١)] ، فالكاسيات العاريات هن اللاتي يسترن بعض أجسادهن، ويكشفن بعضه الآخر [(٢)] .

ثانيًا : اللهث وراء الموضة:

قال النبي ﷺ: «**إن الله ـ تعالى ـ جميل يحب الجمال**»[(٣)] ، والجمال والزينة من نعم الله ـ تعالى ـ على عبده، والمرأة بطبيعتها مفطورة على حب الزينة قال الله ـ عز وجل: ﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف:٨] ، والمرأة المتزوجة مشروع لها أن تتزين لزوجها بما أباح الله لها من وسائل الزينة ، يقول النبي ﷺ: «**خيرالنساء التي تسره إذا نظر...**» [(٤)] ، هذا هو الأصل فما هو واقع النساء اليوم من الزينة؟ واقع كثير من النساء زيادة الاهتمام والمبالغة في هذا الأمر حتى خرج عن الإطار الشرعي، وأصبح لديهن تقليد أعمى لكل ما هو وارد من الغرب، بل إن بعضهن فقن النساء الغربيات في ذلك، فضاعت هوية المرأة المسلمة، فأضحت لا هم لها إلا متابعة كل جديد في عالم عمليات التجميل؛ اعتقادًا منها أن الجمال الجسدي هو الجمال المطلوب والمنشود، مع أنه في الحقيقة جمال زائف مرهون بفترة عمرية، محدودة. ومن أسباب هذا اللهث خلف الموضات والتعليقات والموديلات سواء في الملابس أو الأصباغ أو قصات الشعر القنوات الفضائية بما يعرض فيها من برامج مخصصة لذلك، وبملاحقتها لكثير من الساقطات من مغنيات وممثلات جعلن قدوات للفتيات المسلمات فيقلدنهن في قصات الشعر وموضات اللباس وغيره، وقد أفادت

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨ / ١٢٥).

(٢) مجلة أسرتنا عدد (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٩١ / ١٤٧).

(٤) أخرجه النسائي (٣٢٣١) وقال الألباني: « حسن صحيح » .

إحدى أخصائيات التغذية: «أن عمليات التجميل انتشرت وعمت بشكل ملحوظ وأشارت بأصابع الاتهام إلى القنوات الفضائية في هذا الانتشار المريع» [١].

لقد كثرت وانتشرت المراكز الطبية التي تهتم بعمليات التجميل للمرأة من: تصغير الأنف، وشد الصدر، وشفط الدهون من البطن، ونفخ الشفاه، ورفع الحواجب، وشد الوجه والرقبة، وعلاج القوام، تاتو (وضع مكياج دائم) وغير ذلك من تغيير خلق الله ـ عز وجل ـ والعبث بأجساد المسلمات، واستنزاف الأموال الطائلة عليه.

إن لهذه العمليات أضراراً من أهمها:

١ ـ أن من تلجأ لعمليات التجميل بدون ضرورة لذلك كإزالة عيوب خلقية أو تلك الناتجة عن حادث معين، فهي تعبر عن نفس غير راضية بالقضاء والقدر، فإن هذا الشكل الذي خلقت عليه المرأة هو قضاؤها وقدرها، وبالتالي فالواجب عليها الرضا والقدر؛ لأن ذلك ركن من أركان الإيمان.

٢ ـ صرف الأموال الكثيرة فيها حيث تكلف بعض العمليات عشرات الآلاف من الريالات، وهذا من الإسراف المنهي عنه، قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

٣ ـ المخاطر الصحية لبعضها يقول د. صبري السعداوي مبارك عن أخطارها: «يترتب عليها أخطار عظيمة كحدوث السرطانات والأورام الخبيثة، والتشوهات عند البعض عاجلاً كان ذلك أم آجلاً».

٤ ـ في بعضها شيء من تغيير الخلقة الأصلية، وهذا من إغراء الشيطان، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

٥ ـ اطلاع الطبيب الرجل على أجزاء من جسد المرأة حسب موضع العملية بدون ضرورة، فقسم التجميل يضم قسمي الجلدية والجراحة، ومن الملاحظ في قسم الجراحة قلما توجد طبيبة فمعظمهم أطباء .

٦ ـ الاطلاع على العورة المغلظة للمرأة في عمليات إزالة الشعر من جميع أجزاء الجسد، وهذا محرم لا يجوز[٢] .

---

(١) المرأة وكيد الأعداء، د/ عبد الله وكيل الشيخ، ص ٢٤ .

(٢) مقومات السعادة الزوجية، د/ ناصر العمر، ص ٢٤ .

ثالثًا : إقامة الحفلات الغربية :

إلى وقت قريب جداً كان الاحتفال مقتصراً على عيدي الفطر والأضحى وحفلة الزواج، ولكن ظهر في مجتمعنا الاحتفال بالعديد من الحفلات التي لا تمت لديننا وعاداتنا وقيمنا بصلة، من أبرزها :

حفلات الديجة: التي تقام في البيوت، وأحيانا في الاستراحات، وروادها من الفتيات التي تتراوح أعمارهن بين ١٥ ـ ٣٠ عامًا، تقيمها الفتاة بمفردها أو تشترك مجموعة من الفتيات في إقامتها، على أن تدفع كل واحدة قسطًا محدداً من المال، تبدأ في ساعة متأخرة من الليل لا تقل بحال من الأحوال عن الساعة العاشرة مساءً، وتستغرق ما لا يقل عن خمس ساعات، اللباس السائد فيها الجينز، والحفلة راقصة بالدرجة الأولى؛ حيث يستأجر عامل أو عاملة لتشغيل أسطوانات غنائية معينة: ديسكو، ولا تغلق الموسيقى أبداً والفتيات يرقصن عليها. ومما ذكر عن هذه الحفلات يتبين اشتمالها على جملة من المنكرات منها:

١ ـ التبذير وصرف الأموال بلا وجه حق، بل تصرف في أمور محرمة.

٢ ـ ما تحويه من غناء وموسيقى محرمة.

٣ ـ التبرج والتفسخ واللباس العاري الذي تلبسه المدعوات.

٤ ـ التصوير للنساء المدعوات.

٥ ـ السهر حيث تمتد الحفلة إلى ساعات الصباح الأولى .

٦ ـ التشبه بالكفار ، فمثل هذه الرقصات مأخوذة من الغرب.

من أين جاءت فكرة هذه الحفلات المنكرة التي لم يكن لمجتمعنا عهد بها حتى وقت قريب؟ لقد جاءت من القنوات الفضائية[1] .

رابعًا ـ استرجال المرأة :

وجد في عصرنا صنف من النساء خالفن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وتخلقن بصفات لا تليق بالأنثى التي خلقها الله ـ تعالى ـ لتتميز بها عن طبيعة الرجال، يحسبن بزعمهن أنهن أصبحن كالرجال، فواجهن من العنت والضيق الشيء

(١) مجلة أسرتنا، عدد (٣٥).

الكثير، وحصلت لهن المشكلات الجسديدة والفسية ، ومضيقة الرجال، والتعدي عليهن، وأصبحن منبوذات حتى من بنات جنسهن. . ولقد جاء الوعيد الشديد لمن خالفت فطرتها، وتخلت عن أنوثتها، وتشبهت بالرجال»[1] قال النبي ﷺ: «**لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»[2] وقال الرسول ﷺ: «**لعن رسول الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**»[3] ، وقال ﷺ: «**لعن رسول الله الرجلة من النساء**»[4] ، ومن تلك الأحاديث يتبين حكم المترجلة التي تتشبه بالرجال بأنه حرام وكبيرة من كبائر الذنوب.

وترجل المرأة ظاهرة غريبة على مجتمعنا المحافظ فما الذي غير بعض النساء حتى أصبحت لا تكاد تفرق بينها وبين الرجل؟ إنها القنوات الفضائية التي تنقل لنا مظاهر حياة المرأة الكافرة المسترجلة المساوية للرجل في كل شيء، فتقوم بعض النساء بتقليدها ومحاكاتها، وقد سُئلت مجموعة من الطالبات الجامعيات عن أسباب هذه الظاهرة فأجاب ٢٤ ٪ منهن أن السبب يرجع إلى القنوات الفضائية[5] .

ومن مظاهر تشبه المسترجلة بالرجال ما يلي:

١ ـ التشبة في اللباس: بعد وجود القنوات الفضائية لبست النساء ملابس تشبه الرجال تمامًا والنبي ﷺ يقول: «**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**»[6] ، ومن تلك الملابس: (البنطلون)، وفي إجابة للجنة الدائمة للإفتاء عن حكم لبس المرأة للبنطلون: «الغالب في البنطلون أنه ضيق يحدد أجزاء البدن التي يحيط بها ويسترها، كما أنه قد يكون في لبس المرأة للبنطلون تشبه من النساء بالرجال، وقد لعن النبي ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال».

٢ ـ رفع الصوت بالكلام ، ومجادلة الرجال.

٣ ـ تقليد الرجال في المشية والحركات.

---

(١) مجلة الفرقان عدد (٣٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٥٨٨٦).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٩٩)، وصححه الألباني.
(٥) مجلة فتيات عدد (٤٠).
(٦) أخرجه أبو داود (٤٠٩٨)، وصححه الألباني.

٤ ـ التشبه بالرجال في الهيئة والشكل: كقص الشعر مثل شعر الرجل.

خامسًا: ظهور المرأة المتحررة:

يقول النبي ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن**»[١] ولهذا أوجب الشارع الحكيم على الرجال المؤمنين أن يكونوا رعاة لمن تحت أيديهم من الأهل من بنين وبنات وزوجات يقول النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها...**»[٢].

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**»[٣]، فالولي مسئول عن ما تحت ولايته من بنات وأخوات وزوجات، وعليهن السمع والطاعة له بالمعروف، ما لم يأمرهن بمعصية الله؛ لكن القنوات الفضائية تقوم بإرسال رسائل مباشرة وغير مباشرة محتوى هذه الرسائل: أن تتمرد المرأة على ولاية وليها عليها أبًا كان أم أخًا أم غير ذلك، وأن تحطم أي قيود، أو قيم، أو أعراف، أو عادات، أو تقاليد للمجتمع، وأشر من ذلك وأمرّ أن ترفض الأحكام الشرعية، وإن قبلت المرأة منها شيئًا قبلت ما ترى أنه يمنحها حقوقًا، ولكنها ترفض ما ترى أنه واجبات ومسئوليات عليها، كل ذلك بدعوى حريتها الشخصية. فحريتها تجعلها تفعل ما تريد، وتقول ما تشاء، وتذهب إلى أي مكان، وتلبس ما تهوى من لباس، وتقيم علاقات مع أي جنس، وتسافر بدون محرم، وتتزوج بمن تحب برًا كان أم فاجرًا، وليس لأحد وليًا كان أم زوجًا أن يسألها عن ذلك، فضلاً عن أن يوجهها أو يمنعها. وقد كان لذلك آثار ضارة عليها، فعلاقتها مع وليها اهتزت إن لم تكن انقطعت في كثير من الأسر.

رفض قوام الزوج:

قال الله ـ عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤] هذه القوامة تتطلب أن يكون الرجل حاميًا للمرأة، حافظًا لها من أي

---

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩ / ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩ / ٢٠).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٩١٧٤)، وصحيح ابن حبان (الإحسان) (٤٤٩٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح علي شرطهما».

اعتداء أو خوف، موفرًا لها حاجاتها؛ ولذا فإن المرأة تطلب هذه القوامة بفطرتها، ولا يخل بهذه القاعدة إلا من شذ من النساء، وقد قامت القنوات الفضائية عبر برامجها وأفلامها بدور كبير في إقناع المرأة برفض قوامة الزوج عليها فهي تصور «الزوج بأنه سجان قاهر، والقوامة سيف مُصلت.. حتى أوجد ذلك في نفوس النساء أنفة واشمئزازًا وبحثًا عن الانطلاق بلا قيود» (١).

بدأت بعض الزوجات برفض قوامة الزوج، وقد ترتب على هذا خدش كبير في علاقة الزوج بزوجته أدى إلى حدوث المشاكل بينهما والنزاع والشقاق، وربما الفراق والطلاق؛ «لأن المرأة بفطرتها تُحب أن تأوي إلى ركن تلجأ إليه.. ولذلك فإن تنازل الرجل عن قوامته أمر يشقي المرأة ولا يسعدها ويُسبب وهنًا في بناء الأسرة، وتقويضًا في أركانه»(٢).

سادسًا ـ إقامة العلاقات المحرمة مع الجنس الآخر:

من قواعد الشرع المطهر أن الله ـ سبحانه ـ إذا حرم شيئًا حرم الأسباب والطرق والوسائل المفضية إليه، تحقيقيًا لتحريمه ومنعًا من الوصول إليه، أو القرب من حماه، ولو حرم الله أمرًا وأبيحت الوسائل الموصلة إليه، لكان ذلك نقضًا للتحريم وحاش شريعة رب العالمين من ذلك.

وفاحشة الزنى من أعظم الفواحش وأقبحها، وأشدها خطرًا وضررًا على ضروريات الدين؛ ولهذا صار تحريم الزنى من الدين بالضرورة (٣) يقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] يقول العلامة السعدي ـ رحمه الله تعالى: «والنهي عن قربان الزنى أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه» (٤).

---

(١) المرأة وكيد الأعداء، د/ عبد الله وكيل الشيخ، ص ٢٤.

(٢) مقومات السعادة الزوجية، د/ ناصرالعمر، ص ٢٤.

(٣) حراسة الفضيلة، الشيخ: بكر أبو زيد، ص ١١٢، دار العاصمة، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة السعدي، ص ٤٥٧.

وإقامة العلاقات بين الجنسين من أهم الأسباب للوقوع في فاحشة الزنى، ولذا حرمها الشارع الحكيم، ولكن القنوات الفضائية زينت للفتاة ضرورة إقامة العلاقات مع الشباب قبل الزواج بدعوى أنه لا حياة زوجية سعيدة إلا بحب قبلها، وتبين د ـ خديجة علوي أستاذة علم الاجتماع «أن الصداقة بين الشاب والفتاة قبل الزواج.. من ضمن الأفكار الفاسدة التي وردت إلى مجتمعنا بسبب الانفتاح اللامحدود على المجتمعات الغربية»(١) ، ومن أعظم وسائل ذلك الانفتاح: القنوات الفضائية.

ما هي نهاية هذا الحب؟

١ ـ وقوع الشباب من الجنسين فيما حرم الله ـ تعالى ـ وارتكابهم للفواحش لإشباع الغريزة الفطرية الموجودة لديهم؛ لأن خلوتهم مع بعض ستجعل الشيطان ثالثهما كما قال النبي ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»(٢) ومن كان الشيطان معهما فسوف يزين لهما المعصية، ويهون عليهما ارتكاب الفاحش.

٢ ـ رد الفتاة للكثير من الأزواج الأكفاء ممن يُرضي دينهم وخلقهم أثناء فترة الحب قبل الزواج؛ انتظاراً لتقدم المحب لخطبتها، والذي في الغالب لن يتقدم لها بل يضحك عليها، فتضيع على نفسها فرصًا كثيرة للزواج من أكفاء، وفي الوقت نفسه لم تمتثل لقول النبي ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد**» (٣) .

٣ ـ احتمال بقاء الفتاة عانسًا، فبعض الفتيات تظل معلقة به تنتظره، ولا تصحو من غفلتها وتعرف أن هذا المحب لها لن يتقدم لها إلا بعد سنوات فاتها أثناءها قطار الزواج.

٤ ـ الأثر النفسي الذي يحدثه هذا الأمر عليها في مستقبل حياتها الزوجية.

٥ ـ أن ينتهي الحب قبل الزواج بزواج فاشل غير ناجح، ينتهي غالبًا بالطلاق، فالدراسات والأبحاث التي أجريت في بلاد الكفار والمسلمين أثبتت أن معظم الذين تزوجوا بعد قصة حب لم ينجحوا في زواجهم، وأن أكثر حالات الطلاق إنما تقع في

---

(١) وهم الحب، لمحمد عبد العزيز المسند، ص ٤٥ .

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٥) وقال: «حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٨٥)، وقال: «حسن غريب» وقال الألباني : «حسن لغيره».

الزيجات التي تمت بعد علاقة حب[١] .

سابعًا ـ التفسير الخرافي للسلوك الإنساني:

نركز هنا على نظرية فرويد، وإن كانت تحليلاتها ليست ماثلة لدى العامة، ولكنها شاعت بصورة عملية فيما يقدم الإعلام وخاصة المرئي منه، فقد استفاد الإعلام الصهيوني وهو الإعلام المسيطر . من هذه المفاهيم لتقديمها على نحو يغري الناس بالتحلل من القيم، وييسر لهم سبله بعيدًا عن عذاب الضمير.

لقد جعل فرويد الدافع الجنسي المحور الأساس الذي ينبع منه السلوك الإنساني الفردي، والمنبع الأساس للأنظمة الاجتماعية التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويرى أنه إذا لم تتحقق اللذة الجنسية لدى الفرد، مهما كان سنه، فإنها تكون مؤلمة، وبذلك تتحول إلى سلوك عدواني، ويرى أن اللذة والألم هما الأساس للسلوك الإنساني.

وقد يؤجل الفرد لذاته الجنسية العاجلة المباشرة طمعًا في الحصول على لذة آجلة أشد لذةً من العاجلة، فمثلاً قد يتحمل الفرد ألم إمساك الغائط في الأمعاء من أجل تجميع مقدار كبير من الغائط، وتزداد صلابته من أجل الحصول على مزيد من التلذذ في منطقة الشرج أثناء إخراج الغائط.

ويسمى فرويد مبدأ تأجيل اللذة العاجلة البسيطة طمعًا في الحصول على لذة آجلة أشد من العاجلة بمبدأ الواقع، وهو يميز سلوك الكبار، ويفسر الفرويديون كل مظاهر صور السلوك التي يقوم بها الإنسان في أي عمر من حياته كحالات تخضع لهذا المبدأ.

ويعتقد فرويد أن أنواعًا كثيرة من السلوك لم نكن ننظر إليها من قبل على أنها جنسية هي في الحقيقة صور من الإشباع للدوافع الجنسية. فأدخل تحت كلمة «الجنس» جميع أنواع اللذات الجسمية، وكل معاني الحب المختلفة مثل بر الآباء والأمهات. وحبهم وحب الإخوة والأخوات وذوي الأرحام.. إلخ.

ويرى أنها لا تحصل إلا من أجل الامتلاك الجنسي، وكل معروف تسديه للغير فهو من أجل الطمع في امتلاكه جنسيًا ، أو للتمهيد للحصول على لذة جنسية عن

---

(١) وهم الحب، مرجع سابق، ص ٤٤ .

طريق ذلك. وحتى التعاون على الخير والتقوى إنما هو من أجل إشباع رغبات جنسية، وأما العدوان عند فرويد فينشأ عن مواقف الإحباط التي لا تحقق فيها الرغبات الجنسية، ولا يمكن أن يتحقق الوئام والسلام بين الأفراد بدون تبادل إشباع الرغبات الجنسية بينهم.

وكذلك فسر فرويد الأحلام على أساس الجنس، فهو يعتبرها مجالاً لتحقيق الرغبات الجنسية المكبوتة التي لا يمكن تحقيقها في واقع الحياة [١] .

الأسس الثلاثة التي تركز عليها مدرسة فرويد هي:

الجنس ـ الطفولة ـ الكبت. فهي مفاتيح السيكولوجية الفرويدية.

نظرية الكبت: هي دعامة نظرية التحليل النفسي، وهي أهم قسم فيه إذ إنه لابد من الرجوع إلى الطفولة المبكرة وإلى الهجمات الخيالية التي يراد بها إخفاء فاعليات العشق الذاتي أيام الطفولة الأولى، إذ تظهر كل الحياة الجنسية للطفل من وراء هذه الخيالات.

يعد فرويد مص الأصابع لدى الطفل نوعًا من السرور الجنسي الفمي، ومثل ذلك عض الأشياء، فيما يعد التغوط والتبول نوعًا من السرور الجنسي الاستي ، كما أن الحركات المنتظمة للرجلين واليدين عند الطفل إنما هي تعبيرات جنسية طفولية.

اللبيدو Libido طاقة جنسية أو جوع جنسي، وهي نظرية تعتمد على أساس التكوين البيولوجي للإنسان الذي تعتبره حيوانًا بشريًا، فهو يرى أن كل ما نصرح بحبه أو حب القيام به في أحاديثنا الدارجة يقع ضمن دائرة الدافع الجنسي. فالجنس عنده هو النشاط الذي يستهدف اللذة، وهو يلازم الفرد منذ مولده ؛ إذ يصبح الأداة الرئيسة التي تربط الطفل بالعالم الخارجي في استجابته لمنبهاته .

الدافع: يقول بأن كل سلوك مدفوع، فإلى جانب الأفعال الإرادية التي توجهها الدوافع والتمنيات هناك الأفعال غير الإرادية أو العارضة. فكل هفوة، مثلاً، ترضى تمنيًا وكل نسيان دافعه رغبة في إبعاد ذلك الشيء.

الشلل أو العمى لديه قد يكون سببه الهروب من حالة صعبة يعجز الإنسان عن

---

(١) عوامل الانحراف الجنسي ومنهج الإسلام في الوقاية منها وعلاجها، مرجع سابق، ص ٢٩ ـ ٣١ .

تحقيقها، وهذا يسمى انقلاب الرغبة إلى عرض جسدي.

الحلم عنده هو انحراف عن الرغبة الأصلية المستكنة في أعماق النفس، وهي رغبة مكبوتة يقاومها صاحبها في مستوى الشعور، ويعيدها إلى اللاشعور، وأثناء النوم عندما تضعف الرقابة تأخذ طريقها باحثة لها عن مخرج.

يتكلم فرويد عن تطبيق مبدأين هما اللذة والواقع، فالإنسان يتجه بطبيعته نحو مبدأ اللذة العاجلة لمباشرة الرغبة لكنه يواجه بحقائق الطبيعة المحيطة به فيتجنب هذه اللذة التي تجلب له آلامًا أكبر منها أو يؤجل تحقيقها.

يفترض فرويد وجود غريزتين ينطوي فيهما كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وهما غريزة الحياة وغريزة الموت. غريزة الحياة تتضمن مفهوم اللبيدو وجزءًا من غريزة حفظ الذات، أما غريزة الموت فتمثل نظرية العدوان والهدم موجهة أساسًا إلى الذات ثم تنتقل إلى الآخرين.

الحرب لديه إنما هي محاولة جماعية للإبقاء على الذات نفسيًا، والذي لا يحارب إنما يعرض نفسه لاتجاه العدوان إلى الداخل، فيفني نفسه بالصراعات الداخلية، فالأولى به أن يفنى غيره إذن، والانتحار هو مثل واضح لفشل الفرد في حفظ حياته. وهذا المفهوم إنما يعطى تبريرًا يريح ضمائر اليهود أصحاب السلوك العدواني المدمر.

اللاشعور: هو مستودع الدوافع البدائية الجنسة، وهو مقر الرغبات والحاجات الانفعالية المكبوتة التي تظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات، وأثناء بعض المظاهر الغامضة لسلوك الإنسان. إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة وليس مجرد مكان تلقي إليه الأفكار والذكريات غير المهمة.

الـ (هو): مجموعة من الدوافع الغريزية الموجودة لدى الطفل عند ولادته التي تحتاج إلى الشعور الموجه، وهي غرائز يشترك فيها الجنس البشري كافة.. إما باطن النفس، وقد نتجت عن (الأنا) إلا أنها تبقى ممزوجة بها في الأعماق أي حينما تكون (الأنا) لا شعورية، وهي تشمل القوى الغريزية الدافعة، فإذا ما كبتت هذه الرغبات فإنها تعود إلى الـ (هو) (Ego) .

(الأنا): بعد قليل من ميلاد الطفل يزداد شعورًا بالواقع الخارجي فينفصل جزء من مجموعة الدوافع الـ (هي) لتصبح ذاتًا، ووظيفتها الرئيسية هي اختيار الواقع حتى يستطيع الطفل بذلك تحويل استجاباته إلى سلوك منظم يرتبط بحقائق الواقع

ومقتضياته ، إنها ظاهرة النفس التي ترتبط بالمحيط.

(الأنا العليا): هي الضمير الذي يوجه سلوك الفرد والجانب الأكبر.. لا شعوري، وهو ما نسميه بالضمير أو الوجدان الأخلاقي ، لها زواجر وأوامر تفرضها على (الأنا)، وهي سمة خاصة بالإنسان ، إذ إنها أمور حتمية صادرة من العالم الداخلي.

النقل: وهي أن المريض قد ينقل حبَّه أو بغضه المكبوت في أعماق الذكريات إلى الطبيب ، مثلاً خلال عملية المعالجة .

استفاد كثيراً من عقدة أوديب تلك الأسطورة التي تقول بأن شخصًا قد قتل أباه وتزوج أمه وأنجب منها وهو لا يدري . ولما علم بحقيقة ما فعل سمل عينيه، فقد استغلها فرويد في إسقاطات نفسية كثيرة واعتبرها مركزاً لتحليلاته المختلفة.

شخصية الإنسان هي حصيلة صراع بين قوى ثلاث: دوافع غريزية، واقع خارجي، ضمير، وهي أمور رئيسة تتحدد بشكل ثابت بانتهاء الموقف الأوديبي حوالي السنة الخامسة أو السادسة من العمر.

- يركن فرويد إلى إشباع الرغبة الجنسية، وذلك لأن الإنسان صاحب الطاقة الجنسية القوية والذي لا تسمح له النصرانية إلا بزوجة واحدة؛ إما أن يرفض قيود المدنية ويتحرر منها بإشباع رغباته الجنسية، وإما أن يكون ذا طبيعة ضعيفة لا يستطيع الخروج على هذا القيود، فيسقط صاحبها فريسة للمرض النفسي ونهبًا للعقد النفسية .

- يقول بأن الامتناع عن الاتصال الجنسي قبل الزواج قد يؤدي إلى تعطيل الغرائز عند الزواج .

- عقد فصلاً عن تحريم العذرة، وقال بأنها تحمل مشكلات وأمراضًا لكلا الطرفين، واستدل على ذلك بأن بعض الأقوام البدائية كانت تقوم بإسناد أمر فض البكارة لشخص آخر غير الزوج، وذلك ضمن احتفال وطقس رسمي.

- لقد بررَّ عشق المحارم ؛ لأن اليهود أكثر الشعوب ممارسة له بسبب انغلاق مجتمعهم الذي يحرم الزواج على أفراده خارج دائرة اليهود ، وهو يرجع هذا التحريم إلى قيود شديدة كانت تغل الروح وتعطلها ، وهو بذلك يساعد اليهود أولاً على التحرر من مشاعر الخطيئة ، كما يسهل للآخرين اقتحام هذا الباب

الخطير بإسقاط كل التحريمات واعتبارها قيودًا وأغلالاً وهمية، وقد استغل اليهود هذه النظرية، وقاموا بإنتاج عدد من الأفلام الجنسية الفاضحة التي تعرض نماذج من الزنى بالمحارم.

لم يعتبر التصعيد أو الإعلاء ـ كما يسميه ـ إلا طريقًا ضعيفًا للتخلص من ضغط الدافع الجنسي ، إذ إن هذا الطريق لن يتيسر خلال مرحلة الشباب إلا لقلة ضئيلة من الناس وفي فترات متقطعة وبأكبر قدر من العنت والمشقَّة، أما الباقون ـ وهم الغالبية العظمى ـ فليس أمامهم إلا المرض النفسي يقعون صرعاه. كما أن أصحاب التصعيد هؤلاء إنما هم ضعاف يضيعون في زحمة الجماهير التي تنزع إلى السير بإرادة مسلوبة وراء زعامة الأقوياء.

ـ حديثه عن الكبت فيه إيحاءات قوية وصارخة بأن الوقاية منه تكمن في الانطلاق والتحرر من كل القيود، كما يحرم الإدانة الخلقية على أي عمل يأتيه المريض، مركزًا على الآثار النفسية المترتبة على هذه الإدانة في توريثه العقد المختلفة مما يحرفه عن السلوك السوي.

ـ في كفاحه ضد القيود، والأوامر العليا الموجهة إلى النفس ، صار إلى محاربة الدين، واعتباره لونًا من العصاب النفسي الوسواسي.

تطورت فكرة الألوهية لديه علي النحو التالي:

١ ـ كان الأب هو السيد الذي يملك كل الإناث في القبيلة، ويحرمها على ذكورها.

٢ ـ قام الأبناء بقتل الأب، ثم التهموا جزءًا نيئًا من لحمه للتوحد معه؛ لأنهم يحبونه [١] .

وقد حاول فرويد نشر هذا الانحراف الجنسي تحت ستار العلم ، وباستخدام مصطلحات علمية رنانة مستمدة من الأساطير الإغريقية لإبعاد الشبهة عن التوراة المحرفة، وغايته الإيهام بأن هذا الانحراف الجنسي والشخصي إنما هو متأصل في طبيعة الإنسان الفطرية، وليس فقط في الطبيعة اليهودية المنحرفة المحرفة، وذلك حتى

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢/ ٨٢٤ ـ ٨٣١ بتصرف ، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٥م.

يمكن للنفوس السليمة أن تتقبل هذا الانحراف.

وحتى يتم له ذلك فقد كان يتظاهر بالإلحاد ليعطي لتفكيره روحًا علمانية ، ولكنه على الرغم من ذلك كان غارقًا في يهوديته.

ثامنًا : اتباع الهوى :

قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] . وقال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠] وقال تعالى : ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] .

أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفرأيتَهُ ؟! إنَّه كائنٌ عجيب يستحقُّ الفرجة والتعجيب ، وهو يَستحقُّ منَ الله أن يُضلَّه ، فلا يتداركه برحمة الهُدى ، فما أبقى فى قلبه مكانًا للهُدى وهو يتعبَّد هواه المريض .

قال قتادة : إذا هوى شيئًا ركبه . وقال الحسن : المنافقُ يعبد هواه ؛ لا يَهْوَى شيئًا إلا ركِبَهُ .

ومن تذكَّر وصحا وتنبَّه ، وتخلَّص من ربقة الهوى ، فلن يضلَّ ؛ قال رسول الله ﷺ : «ثلاث مُنجيات : خشية الله فى السرِّ والعلانية ، والعدل فى الرِّضا والغضب ، والقصّد فى الفقر والغنى وثلاث مُهلكات : هوًى متَّبع ، وشُحٌّ مُطاع ، وإعجابُ المرء بنفسه» (١) .

قال سليمان بن داود عليه السلام : الغالب لهواه أشدُّ من الذى يفتح المدينة وحده .

وقال مالك بن دينار: من غلبَ شهوات الدنيا ، فذلك الذى يَفْرَقُ الشيطانُ من ظلِّه . وقال : بئس العبدُ عبدٌ همّهُ هواهُ وبطنُهُ .

وقال بشر : اعلم أن البلاء كلهَه فى هواك ، والشفاء كلَّه فى مخالفتك هواك .

وقال الفُضيل : من استحوذتْ عليه الشهواتُ انقطعتْ عنه موادُّ التوفيق.

وقال يحيى بن معاد : أصحُّ الناس عزمًا الغالبُ لهواه . وقال : من أرضى

(١) رواه أبو الشيخ فى «التوبيخ» ، والطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر (٥٩١٥) ، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (١٨٠٢) ، وصحيح الجامع رقم (٣٠٣٥) .

الجوارح فى اللَّذَّات ، فقد غرس لنفسه شجر الندامات .

وقال الحسن بن على المطّوعى : صنمُ كلِّ إنسانٍ هواه ، فإذا كَسَره بالمخالفة استحقَّ اسم الهوى .

وقال أبو سليمان الدارنى : أفضل الأعمال خلافُ هوى النَّفْس .

وقال السَّرىُّ : لن يكمُل رجل حتى يُؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يُؤثر شهوته على دينه .

وقال آخر : الهوى مَلِك عَسُوف ، وسلطان ظالم ، دانت له القلوب ، وانقادت له النفوس .

وقال آخر : إن لكلِّ شيءٍ أباجاد ، وإن أباجاد الحكمة طرْد الهوى ووزْن الأعمال، وعن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ لَمَّا سُئل : كيف ندرك جماع الصبر ؟ قال : اجعلوا عزمكم فى الأمور كلِّها بين يدى هواكم ، ثم اتخذوا كتاب الله عد وجل إمامًا لكم فى دينكم .

وقال الشاعر :

نونٌ الهواية من الهوى مسروقةٌ ... فإذا هويتَ فقد لقيتَ هَوَانَا

وقال آخر :

وكلُّ امرئ يدرى مواقع رُشده ... ولكنَّه أعمى أسيرُ هَوَاهُ

يُشير عليه الناصحون بجُهدهم ... ويُبصر عن فَهْم عيوب سواهُ (١)

تالله إن جوهر إن جوهر معناك يتظلَّم من سوء فعْلك ؛ لأنك قد ألقيتَهُ فى مزابل الذُّلّ ، ماء حياتك فى ساقية عمرك قد اغدودك ، فهو امتلأتْ به خَرِبَاتُ الجهل ومزابل التفريط ، وسربتْه أدغالُ الغفلات ، ويحك اردُدْهُ إلى مزارع التقوى ، لعلَّه يُحدق نور حديقة ، إلى متى يمتدُّ ليلُ الغفلة ؟ متى تأتى تباشير الصباح ؟!

زمانٌ تقضَّى وعيشٌ مضى ... بنفْسى والله تلكَ العُهُودُ

ألا قُلْ لسُكَّانِ وادى الحَبيبِ ... هنيئًا لكمْ فى الجِنَان الخلودُ

---

(١) ذم الهوى ، لابن الجوزى ص١٦ ـ ٣٥ ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ـ دار الكتب الإسلامية .

أفيضوا علينا من الماء فَيْضًا فنحن عَطاشى وأنتمْ ورودُ

حفلات الشكولاته : انظر إلى ما صنع الهوى بأهله فى زمن يَحيض فيه الرجال:

يقول عماد ناصف فى كتابه : « دعانى أحد أصدقاء وهو نجْل مليونير معروف ولكنه مليونير صغير ، دعانى إلى حفلة أقامها أحد أصدقاء والده بمناسبة نجاح إحدى صفقاته التجارية ، وقال لى ونحن فى الطريق : سترى مشهدًا ما رأيتَه فى عمرك ولا تتخيَّل أن تراه . . ووصلنا إلى الفيللا الهادئة . . دَخلتُ الفليلا وهى أنيقة غارقة فى الفخامة ؛ التُّحف النادرة تتكاثر فى كل مكان ، يكفى ثمن قطعة واحدة منها لشراء شقة كاملة ؛ حمام سباحة أنيق يتوسَّط الفيللا ، موسيقى هادئة وأضواء حالمة وعطور باريسية نسائية مثيرة تعبق المكان ، رجال يرتدون ملابس أنيقة ونساء يرتدين ملابس تُظهر أكثر ممَّا تُخفى . . تناولتُ العشاء الفاخر فى البوفيه المفتوح ، ولكنَّ صورة طفلة من البوسنة تبكى كنت قد طالعتُها فى جريدة الصباح قفزتْ إلى ذاكرتى وأنا أشاهد هذه الأطعمة والفواكه والحلوى التى يكفى ثمنها لتسليح جيش البوسنة !!! صورة هذه الطفلة جعلتنى أكف عن الأكل . . . وأهمس فى أذن صديقى : أين هذا المشهد؟ فقال لى مداعبًا : اصبرْ . . . وبعد أن تناول المدعوون الطعام ، بدءوا يشربون أنواعًا شهيرة من الخمور الفرنسية المعتَّقة ذات الماركات الشهيرة . . . ثم خفضت الأضواء ومعها الموسيقى . . وجاء صوت امرأة ناعم وهو يقول : والآن جاءَت اللَحظة المرتَقبة . . لحظة سعداء الحظ . وفجأة وجدتُ فتيات ونساء شبه عاريات فقط يرتدين ملابسَهُنَّ الداخلية . . وعلى أجسادهنَّ سائل لَزِجٌ عرفتُ أنه شيكولاتة . . ثم توسَّطتْ كلٌّ فتاة مجموعة من الرجال ، ثم بدأ رجال كل مجموعة يلحسون هذه الشيكولاتة . . من فوق أجساد الفتيات . . وأخذنى صديقى من دهشتى القاتلة وقال لى : هذه هى المفاجأة التى يطالعها الكبار كلَّ يوم . . . والرجل الذى يلتهم الشيكولاتة أولاً من فوق جسد الفتاة أو السيدة ينالها هذه الليلة ، فهو سعيد الحظٍّ من بين مجموعته !!! لم أصدق نفسى وأنا أرى هذه المشاهد التى ألجمتنى صدمة رؤيتها . . . قلتُ : إنه شذوذ . قلت : إنها حالة عارضة أو عابرة . . . ولكنِ اكتشفت أنها حفلات الشيكولاتة . . . وهى متفشِّية بين هذه الأوساط ؛ فى المقطَّم والمهندسين وكنج مريوط بالإسكندرية ومعظم القُرى السياحية (١) .

---

(١) انظر : صلاح الأمة فى علو الهمة ، للعفاني ، ٧/ ٢٣٧ ـ ٢٤١ .

الفصل الثالث

المؤامرات الخارجية والتغريبية وغياب التشريع الإسلامي

أولاً: الاتفاقيات الدولية وتقنينها لحرية المرأة الجسدية:

١ ـ هدف الاتفاقيات المقننة للحرية الجنسية:

أباحت هذه الاتفاقيات للمرأة ـ في كافة مراحل حياتها من المراهقة وحتى الزواج أو بعده ـ الحرية المطلقة في الاستمتاع الجنسي؛ باعتبار هذا الأمر حرية شخصية، ومن ثم فلا عقاب قانوني لاقترافه ما دام تم بالتراضي وبمقابل مادي أو بغير مقابل. والواقع أن هذا الفكر المستنكر الذي تأباه حتى الحيوانات الراقية هو أحد ثمار النزعة الأنثوية لدرجة الإرهاب الأسري (Feminism) التي بلغت حد الفوضوية والعدمية واللاإرادية والعبثية، وكان المفترض بها العمل على إصلاح حال النساء ومنحهن حقوقهن الضائعة ـ إلى حد ما ـ في مجتمعات تخلت عن تعاليم أديانها.

ويوضح الأستاذ الدكتور محمد عمارة هذا الاتجاه العقيم المستجد فيقول: «لقد تبنت هذه النزعة الأنثوية مبدأ الصراع بين الجنسين ـ الإناث والذكور ـ انطلاقًا من دعوى: أن العداء والصراع هما أصل العلاقة بينهما .. ودعت إلى ثورة على الدين.. وعلى الله .. وعلى اللغة .. والثقافة.. والتاريخ.. والعادات والتقاليد والأعراف، بتعميم وإطلاق، وسعت إلى عالم تتمحور فيه الأنثى حول ذاتها، مستقلة استقلالاً كاملاً عن عالم الرجال.. وفي سبيل تحقيق ذلك دعت إلى الشذوذ السحاقي بين النساء، وإلى التحرر الانحلالي ، وبلغت في الإغراب مبلغًا لا يعرف الحدود! الأمر الذي جعل هذه النزعة الأنثوية المتطرفة كارثة على الأنوثة، ووبالاً على المرأة، وعلى المجتمع الإنساني بوجه عام.. بل وجعلها ـ إذا انتصرت وعمت ـ مهددة للوجود الإنساني .. نعم، حتى للوجود الإنساني ذاته!» (١) .

٢ ـ أسلوب الاتفاقيات الدولية لإلزام الدول على طاعة قوانينها ومن رقابة التنفيذ:

قد يظن البعض أن الدول لها حق الاعتراض على ما لا يناسبها ـ اجتماعيًا

---

(١) أ د محمد عمارة: الغرب والإسلام، ص ٢٣٦، مكتبة الشروق الدولية.

وأخلاقيًا ودينيًا ـ من بنود الاتفاقيات ، ولكن الواقع أنها ملزمة بذلك:

* **المادة ١٩ من اتفاقية «فيينا»** حول قانون المعاهدات لعام ١٩٦٩م أجازت للدول عند انضمامها إلى معاهدة ما أن تبدي تحفظات ولكنها اشترطت ألا يكون أي تحفظ منها منافيًا لموضوع الاتفاقية وغرضها (١) .

والدارس لهذه المادة يجد أن ما منحته من حق التحفظ على ما تراه الدول غير مناسب لها، قد منعته وألغته، بل اغتالته باشتراط ألا يكون التحفظ منافيًا لموضوع الاتفاقية وغرضها. . حيث إنه من البدهي أن ينافي التحفظ موضوع وغرض الاتفاقية.

ونحن نختلف مع رأي الإمام الصادق المهدي حيث يقول:

«و ـ المادة ٢٩ المتعلقة بالتحكيم بين الدول الأطراف في الاتفاقية:

الدول التي قدمت هذه التحفظات تعللت بالمخالفة للشريعة الإسلامية أو بالقوانين الداخلية لهذه الدول ، نعم يوجد تناقض بين هذه المواد وأحكام فقهية سائدة في البلدان الإسلامية، ولكن الفهم الصحيح للشريعة هو أن تفسيراتها وتأويلاتها المتضمنة في أحكام الفقه قابلة للتفاعل مع الحياة لاستيعاب المستجدات، لذلك لا أجد نفسي مؤيدًا لهذه التحفظات» (٢) .

والحقيقة المؤكدة لكل دارس متخصص أجال فكره في هذه الاتفاقيات يجدها تنافي كل الأديان السماوية والأعراف الاجتماعية، فلا يوجد دين تسمح له تفسيراته مهما تساهلنا فيها: أن تبيح للمرأة حق الزنا متى وأين وكيف شاءت ومبدأ المساواة وعدم التمييز على أساس النوع واللون والعرق الذي أقرته الأمم المتحدة وتضمنها ميثاقه والوارد أيضًا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وغيره، فإنه لا يعني المساواة بمعنى التطابق التام دون مراعاة لطبيعة ووظيفة وإمكانات كل جنس.

ومعلوم أن هذه المبادئ لا تسري إلا على الدول الصغرى، فالعالم الكبير فيه يأكل الصغير دون سابق إنذار، وما زال التمييز الديني والعرقي واللوني يسيطر على ثقافة العالم.

(١ ، ٢) الإمام الصادق المهدي: الحقوق الإسلامية للمرأة، ص ١٥٣ ، مكتبة الشروق الدولية .

* م ٢ وهي المتعلقة بحظر التمييز في الدساتير والتشريعات الوطنية، وهي تلزم الدول بشجب أنواع التمييز ضد المرأة كذلك باتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء على هذا التمييز بما في ذلك الذي قد يصدر من جانب أي شخص أو منظمة أو مؤسسة.

وهذه المادة دون شك تلزم الدول إلزامًا أدبيًا وقانونيًا باتباع بنود الاتفاقيات سواء كانت تناسب العقائد أو لا تناسبها.

وهذه ضد تعاليم الأديان؛ فلقد جاء بالتوراة: «أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا فيها، أنا الرب إلهكم» [اللاويين: ١٨ : ١٤].

وجاء القرآن الكريم: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

الاتفاقية وتشريعها لحقوق المرأة الجنسية المطلقة:

قننت هذه الاتفاقية ومنحت المرأة سواء قبل الزواج أو خلاله أو بعده حقها في استعمال جسدها للزنا أو غيره من الفواحش، فجاء:

* **م ١٦ بند د:** «نفس الحقوق والمسؤوليات كوالدة بغض النظر عن حالتها الزوجية...».

وقد دعا مؤتمر المرأة في بكين المنعقد في سبتمبر سنة ١٩٩٥م لهذه الدعاوى الفاضحة.

٣ ـ بيان الأزهر الشريف الرافض لهذه الاتفاقيات والمؤتمرات:

وفي خضم سعيهم إلى (تدمير الأسرة) لم يقنع واضعوا البرنامج بالوقوف عند حد التشكيك في اعتبار أنها الوحدة الأساسية للمجتمع، ومطالبة الوالدين بالتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين عن غير طريق الزواج، واعتبار هذا النشاط أمرًا شخصيًا لا يحق لأي منهما أن يتدخل فيه، ولكنهم نادوا في جرأة فاحشة بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذي يقره الدين ليس إلا مفهومًا عقيمًا؛ لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار، ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط وفي داخل الإطار الشرعي؛ ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم في تكوين أسر من بينهم، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والزوجية، معتبرين أنها مجرد أدوار اعتادها الناس

فيما درجوا عليه ، ويجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط.

بل إن واضعي هذا البرنامج ساروا في غيهم إلى أبعد من ذلك؛ فطالبوا بالتغيير الجذري في العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتقسيم الوظائف بينهما بالسوية بما في ذلك حق الرجال في أجازة (والدية) كالنساء، والمساواة بينهما في الميراث مع تغيير القانون الذي يقف دون ذلك أيًا كان مصدره (١) .

٤ ـ مسايرة القوانين العربية للاتفاقيات الدولية المبيحة للزنا:

للأسف سنت الكثير من الدول العربية والإسلامية بعض القوانين التي تشجع مزاولة الفاحشة ولا تستوجب عقابا لها من هذه الدول: مصر، تونس، تركيا ، الجزائر، لبنان، سوريا، أندونيسيا وغيرهم.

فهذه القوانين لا ترى في زنى غير الأزواج جريمة ولو تعددت وقائعه، ويرى بعضها في تعدد الزواج الشرعي جريمة تستوجب العقاب مثل تونس أما زنى الأزواج أو الدعارة، فيمكن التغاضي عنها أو سن عقوبات مخففة لها.

قانون العقوبات المصري:

* **م ٢٧٣**: لا تجوز محاكمة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها، إلا أنه إذا زنى في مسكن المقيم فيه مع زوجته كالمبين في م ٢٧٧ لا تسمع دعواه عليها.

* **م ٢٧٧**: كل زوج زنى في منزل الزوجية وثبت عليه هذا الأمر بدعوى الزوجة يجازي بالحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور.

* **م ٢٧٤**: المرأة المتزوجة التي ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين، لكن لزوجها أن يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها له كما كانت.

* **م ٢٧٥**: ويعاقب أيضًا الزاني بتلك المرأة بنفس العقوبة.

وباستعراض هذه المواد يتبين: أن الزنى لم يعد جريمة اجتماعية أو دينية، إنما هو تصرف فردي يجوز لأطرافه (الأزواج) الرضا به وإلغاء عقوبته، والعقاب حين ثبوت

---

(١) مجلة الأزهر : عدد شهر ربيع الآخر ١٤١٦ هـ.

التهمة لا يساوي بين الرجل والمرأة، وتعاليم الأديان ألغيت تمامًا، ونسي مشرعو البشر المسلمون: أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل (١) .

ثانيًا: تقنين الثقافة الجنسية في الاتفاقيات الدولية:

نتيجة للعولمة وانتشار وسائل الإعلام والإعلان السريع والمؤثر واللحظي، أصبح النداء بإباحة الفاحشة، نداءً عالميًا يصل صداه إلى القصور الشاهقة، والأكواخ البالية، مما أدى إلى إيقاظ الفتن الطاغية ، والرغبات النائمة، فأصبح الحرام مرغوبًا فيه وأصبح الحلال مرغوبًا عنه، وتم الدعوة لنشر الزنى بجميع أنواعه، مع شرح كيفيته، في المدارس الابتدائية حتى المراحل الجامعية، وكأنه هواء يجب تنفسه، وماء يجب الارتواء منه.

والواقع أن هناك قوى عالمية تعمل على إزاحة الأديان وتعاليمها الراقية من حياة البشر، وإحلال تعاليم الشيطان المنحطة في حياة البشر.

وقد اتخذت هذه التعاليم الدنسة لفظًا براقًا كالسراب، ألا وهو الثقافة الجنسية حرية الجنس الآمن ، حق المرأة في جسدها . . . إلخ.

وصدق تعالى حيث قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦].

يقول د/ عبد الودود شلبى : «يركز المبشرون فى العديد من المناطق على ضرورة تخلى المرأة المسلمة عن الزى المحتشم ، وتمردها على الأسرة ، وخروجها إلى المراقص والملاهى ، حتى وإن لم يؤد ذلك فى النهاية إلى اعتناق المسيحية» (٢) .

١ - الثقافة الجنسية في قوانين واتفاقيات الأمم المتحدة :

جاءت هذه الدعاوى، مستترة في بداية الأمر خلف سياج واق من ألفاظ «الحقوق»، «المساواة»، «المسؤوليات». وذلك حتى تتسلل هذه الأفكار إلى الشعوب

---

(١) انظر: الحرية الجنسية المطلقة للمرأة بين الاتفاقيات الدولية ودعاة التحرر والأديان السماوية، زكي أبو غضة ص ١٤ - ١٨ ، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) الزحف إلى مكة ، ص٦٨ ، الزهراء للإعلام العربى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩، .

وتخترق نظمها وآدابها وقوانينها، وتنال من أديانها ، في هدوء بلا ضوضاء أو جلبة، كحية تنقض على فريسة في سكون .

اتفاقية إزالة كافة أشكال التميز ضد المرأة وتقنينها للثقافة الجنسية:

مهدت لهذه الاتفاقية ، قرارات ومؤتمرات «تآمرات»، وإعلانات «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان».

جاء بالمادة ١٦ ـ بند هـ : نفس الحقوق، وفي الحصول على المعلومات والتثقيف والوسائل الكفيلة بتمكينها من ممارسة هذه الحقوق: «والهدف من هذا البند هو تثقيف المراهقين والمراهقات لإقامة علاقات جنسية مفتوحة لا تقوم على أساس الزواج الشرعي، مع محاولة البعد عن مشاكل الحمل والإجهاض والولادة، ولذلك تضمن هذا البند نفس الحقوق في أن تقرر بحرية. . عدد أطفالها والفترة بين إنجاب طفل وآخر، والمقصود لا الزوجات الشرعيات فحسب بل كل النساء اللاتي يمارسن حرية الجنس حيث أوضح البند «من نفس المادة» نفس الحقوق والمسؤوليات كوالدة بغض النظر عن حالتها الزوجية في الأمور المتعلقة بأطفالها. . »[(١)] .

٢ ـ المؤتمرات العالمية وترويجها للثقافة الجنسية:

هذا وقد أقر مؤتمر المرأة العالمية ببكين بند ١٧ : أن الاعتراف الصريح بحق جميع النساء بالتحكم بجميع الأمور المتعلقة بصحتهن، وبخاصة تلك المتصلة بخصوبتهن، وتأكيد هذا الحقد مجدداً، أمر أساسي لتمكين المرأة.

وفي مؤتمر نيويورك يقول الصحفي مصطفى سليمان: إن المبادئ التي حملها المؤتمر إلينا لا تتفق ولا يمكن قبولها من الناحية الدينية والخلقية والتربوية ، وقد حاول من صاغوا هذه التوصيات والمقررات أن يصوغوا هذه الأهداف التي قصدوها في عبارات غامضة ومبهمة للتضليل والخداع؛ من ذلك عبارة الصحة الإنجابية والجنسية للأفراد ،ولا شك أن في هذا التعبير الغامض تكمن الخطورة، ففي مراحل تنفيذ هذا التعبير وهو ما يهدف إليه المؤتمر تعليم الجنس الآمن كما يطلقون عليه للأطفال في المدارس الابتدائية، كذلك هناك أمر أكثر خطورة وغريب أيضًا وهو المطالبة بتوزيع وسائل منع الحمل على تلاميذ المدارس ونشر وإشاعة مصطلح جديد يحاول إلغاء الفروق بين المرأة والرجل وهو «الجندر» .

وكما يقول الدكتور جمال الدين محمود: ما قصدته التوصيات هو نشر

---

(١) انظر : الحرية الجنسية المطلقة للمرأة ، مرجع سابق ، ص٤٩ .

المعلومات عن الجنس دون التزام بقيم الحياء ولا العفة، بل إنه يدعو الصبيان من الذكور والإناث إلى تجربة الممارسة الآمنة كما يدعون، وفي ذلك ما لا يخفى من إباحة الفواحش.

وأما محاولة توزيع وسائل منع الحمل في المدارس فهي أمر لا يستسيغه أي إنسان عاقل وله حظ من التربية، وهو امتهان لدور العلم معنى ومبنى وامتهان أيضًا لرسالة المعلم، وكذلك فإن استخدام لفظ «الجندر» بدلاً من كلمة جنس ليس فيه شيء من المساواة، فالمساواة في المجتمع حققها الإسلام بالتوازن بين الحقوق والواجبات والتوجيه في العلاقات الزوجية بالتعامل بالمعروف وحفظ الحدود التي وضعها الله لصالح طرفي الزواج وللأسرة كلها ، وليست المساواة عن طريق إلغاء جنس المرأة والرجل.

ولا شك أن هذه الدعاوى وتلك الثقافات التي لا تبغي إلا إفساد البشر يجب الانتباه لها وعدم الانسياق خلفها ، لقوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور: ٥٤].

وأيضًا جاء بوثيقة مؤتمر القاهرة للمرأة المنعقد سنة ١٩٩٤م : « والحكومات والمنظمات الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التمويل والمؤسسات البحثية مدعوة - بإلحاح - إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية، المتعلقة بتغيير هيكل الأسرة، وبدلاً من الجنس الشرعي والمشروع والحلال، دعت هذه الوثيقة إلى تقنين الحرية الجنسية «المسئولة»، كحق من حقوق الجسد، يتمتع بها كل الناشطين جنسيًا من كل الأجناس والأعمار، ذكرانًا وإناثًا، حتى البنات والمراهقين والمراهقات! . . فالصحة التناسلية - التي هي حالة من الرفاهية الجنسية المأمونة - هي حق لجميع الأفراد» [لاحظ «الأفراد» وليس «الأزواج»] . . وينبغي أن تسعى جميع البلدان إلى القيام بتوفير رعاية صحية تناسلية لجميع الأفراد، من جميع الأعمار. . البنات. . والفتيات. . المراهقات. . وتلبية الحاجات التثقيفية والخدمية للمراهقين كيما يتمكنوا من التعامل مع نشاطهم الجنسي بطريقة إيجابية ومسئولة . . وينبغي أن تكون برامج الرعاية الصحية التناسلية والجنسية مصممة لتلبية احتياجات المرأة والفتاة المراهقة. . وأن تصل إلى المراهقين والرجال والبنين والمراهقات، بدعم وإرشاد آبائهم. . ويجب أن توجه الخدمات بدقة، وعلى الخصوص نحو حاجات فرادى النساء والمراهقين. . فالمراهقون الناشطون جنسيًا يحتاجون نوعًا خاصًا من المعلومات والمشورة والخدمات فيما يتعلق بتنظيم الأسرة. كما أن المراهقات اللاتي يحملن يحتجن إلى دعم

خاص من أسرهن ومجتمعهن المحلي خلال فترة الحمل ورعاية الطفولة المبكرة»[١] .

ثالثًا: دعاة التحرر ومطالبهم بحرية المرأة الجنسية المطلقة:

سبق دعاة التحرر الاتفاقيات الدولية للنداء والترويج لحرية المرأة الجنسية ، وقد تناولها البعض من عدة زوايا:

أولاً: دعاة التحررفي تبرير الحرية الجنسية للمرأة:

١ ـ من يرى أن الحرية الجنسية للمرأة فضيلة ولا يجب تدخل المجتمع فيها:

* **رأى الفيلسوف الإنجليزي «هوبز» [١٥٨٨ ـ ١٦٧٩]، يقول:** «إن ما يسعد الإنسان ويسره هو الخير، وإن ما يؤلمه هو الشر!» .

* **رأي «فوكر ـ ميشيل» [١٩٢٦ ـ ١٩٨٤]، يقول:** «تستخلص الحقيقة من اللذة. . وتشكل اللذة غاية بذاتها ، فهي لا تخضع لا للمتعة ولا للأخلاق ولا لأية حقيقة علمية »[١] .

* **رأي المفكر الألماني «أوجست بيل» [١٨٤٠ ـ ١٩١٣] ، يقول :** «إن إشباع الغريزة الجنسية مسألة شخصية تمامًا، شأنها شأن إشباع أي غريزة أخرى، فلا أحد يحاسب عليها أمام الآخرين ، ولا يملك قاض غير مفوض حق التدخل فيها.

إن مسألة ما سآكله، وكيف سأشرب وأنام وألبس، هي من شؤوني الخاصة، وكذلك الحال بالنسبة لمضاجعتي لشخص من الجنس الآخر»! [٢].

٢ ـ من يرى سوء نظام الأسر ووجوب هدمه :

* **رأي أبو النزعة الأنثوية: «خورييه» [١٧٧٢ ـ ١٨٣٧] ، يقول:** «إن العائلة تكاد تشكل سدًا في وجه التقدم».

* **رأى «إنجلز» [١٨٢٠ ـ ١٨٩٥م] ـ فيلسوف الشيوعية الجنسية والاقتصادية ، يقول:** «إن الزواج والأسر باقيان مدة تأجج الحب الجنسي الفردي. . وحين يستنفد الميل استنفادًا كاملاً، أو حين يحل محله حب جديد مشبوب العاطفة، يغدو الطلاق عملاً حسنًا بالنسبة للطرفين، كما بالنسبة للمجتمع. . وإن الشيوعية سوف تحول العلاقات بين الجنسين إلى مجرد علاقات شخصية، لا تعني أحدًا سوى الأشخاص

---

(١) الغرب والإسلام ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) الغرب والإسلام، ص ٢٤٤ .

المرتبطين بها، ولا يكون من حق المجتمع أن يتدخل فيها، ويتحقق هذا التحول يوم يلغى النظام الشيوعي الملكية الفردية، ويشرع بتربية الأطفال تربية جماعية، فيقرض دعائم مؤسسة الزواج الحالية!» (١) .

٣ ـ من يرى أن المحافظة على العفة تخلفًا وكبتًا وظلمًا للمرأة:

الواقع أن هذا الفكر غربي مستورد، وقد تأثر به البعض من دعاة التحرر الشرقيين.

*** رأي د. نوال السعداوي ، تقول:**

«أعضاء الرجل الجنسية في نظر المجتمع لها قيمتها وقدسيتها واحترامها، وكفاءة الرجل الجنسية لها قيمتها واحترامها، أما المرأة فإنها قد تعيش في برود جنسي طوال حياتها، بسبب الكبت، فلا يقلق المجتمع ولا يهتم» (٢) .

وهذا الكلام تنقصه الدقة، فإن الرجل إن زاول الجنس قبل الزواج، فهو في المعتاد يزاوله مع امرأة ، وبالتالي لو أن هناك تسيبًا جنسيًا فسوف يصيب الرجال والنساء.

كما ترى أن نشأة آداب العفة والشرف بسبب الرق ، فتقول : «لقد أصبح مقياس الشرف منذ نشوء الرق هو عذرية البنت، أو غشاء البكارة رغم أن عددًا غير قليل من البنات «حوالي ٣٠ ٪» يولدن بغير غشاء بكارة ، وأن نسبة أخرى يولدن بأنواع مطاطة من الغشاء ولا تنزف ليلة الزفاف، لكن النظام فرض هذا القياس الواهي للشرف ، كإحدى وسائل القمع الجنسي للنساء من أجل تأكيد الأبوة»(٣) .

وهنا نلاحظ : ربطت مقياس الشرف والعذرية بالرق، أي إن الحرية لا تستوجب هذه المقاييس ، كما رأت في المحافظة على الشرف والعذرية للنساء نوعًا من أنواع القمع الجنسي ولم تنظر إليه كنوع من أنواع الأخلاق الراقية.

وليس معني أن هناك نسبة من النساء لا يولدن بغشاء بكارة أنهن ناقصات أو فاقدات للشرف والعذرية ، ولكن يجب أن يجلي الأطباء العدول هذه الحقيقة للأزواج

---

(١) الغرب والإسلام، ص ٢٣٦، وهذا المفكر فرنسي.
(٢) د. نوال السعداوي: الأنثى والجنس ص ١٣٦ .
(٣) د. نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس، ص ١٧ ، ١٨ .

حتى لا تتهم بعض الفضليات العفيفات بالرذيلة وهن أعلى وأسمى من ذلك.

كما تعلن ندمها على فترة مراهقتها التي لم تستغلها في إقامة علاقات جنسية فتقول: «خمس وعشرون سنة مضت من عمري دون أن أشعر لحظة واحدة أنني امرأة! دون أن يخفق قلبي مرة واحدة لرجل ! دون أن تمس شفتي تلك الأعجوبة التي أسمتها القبلة! دون أن أعرف تلك الفترة الملتهبة من عمر الإنسان.. المراهقة.. ضاعت طفولتي في صراع ضد أمي وأخي ونفسي.. وها أنا ذا طفلة في الخامسة والعشرين من عمرها...»(١) .

وها هي الكاتبة تعض أصابع الندم على ما ضاع من عمرها دون أن تزاول العلاقات العاطفية والجنسية غير المشروعة.. وهي تشرح ذلك قائلة:

«حنين جارف عنيف يهز روحي وجسدي.. حنين روح ظامئة للحب أطلق العقل سراحها.. حنين جسد بكر انطلق لتوه من زنزانته الحديدية.. ترى ماذا يكون اللقاء بين الرجل والمرأة.. الليل أصبح طويلاً ، والأوهام والخيالات تعشعش كل ليلة حول سريري..».

ثانيًا: حرية الزوجة المطلقة في منع نفسها عن زوجها الشرعي:

من اللمسات المميزة لهذا العصر الذي نعيشه: أنه عصر المتناقضات غير المقبولة، وأحيانًا غير المعقولة.

فدعاة التحرر وكثير من القوانين الغربية ترى أن من حق الزوجة منع نفسها عن زوجها إذا أرادها للعلاقة الزوجية الحميمة والمشروعة ، كما توقع العقاب عليه إذا أرغمها على مشاركتها الفراش، وترى في ذلك إرهابًا للمرأة، وحجرًا على حريتها الجسدية:

١ ـ من نوادر وطرائف وعجائب الغرب في الإجحاف بحقوق الزوج:

«عاشر زوج أمريكي امرأته رغمًا عنها. فقطعت الزوجة عضوه التناسلي بالموس، وألقته بعيدًا، وحدث نزيف للزوج وكاد أن يموت، وفكر في مقاضاة زوجته، ولكن لمحامين نصحوه بألا يفعل ويعوض الزوجة ماديًا عن فعله دون رضاها، وقد فعل،

---

(١) د. نوال السعداوي: مذكرات طبيبة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

ثم عينت المرأة موظفة بالبيت الأبيض الأمريكي، في عهد كلينتون» .

٢ ـ الغرب يظلم المرأة المغتصبة ، وينصر الزوجة على زوجها:

في أمريكا إذا اتهمت امرأة رجلاً باغتصابها ، يقع عليها عبء إثبات أنه زنى بها دون موافقتها، فإن فشلت فلا عقاب على الواقعة «الزنا»، أما إذا اتهمت زوجة زوجها بجماعها بغير إرادتها ، فإن الواقعة لا تحتاج إلى إثبات وعقاب «الزوج» أشد.

٣ ـ تشريع الدول الإسلامية لقوانين الإجحاف بحقوق الزوج الجنسية:

للأسف سمعت في برنامج تليفزيوني شهير أظن «٩٠ دقيقة»، أن هناك عدة نساء من الداعيات لتحرر المرأة تقدمن لمجلس الشعب المصري، بطلب لسن قانون لتجريم الزوج الذي يعاشر امرأته جنسيًا دون رضاها، مع تشديد العقوبة إذا زجرها أو ضربها، باعتبار ذلك جريمة بشعة ضد حرية الزوجة الجنسية، والإنسانية وقيل: إن ٢٧٪ من الرجال يقمن بذلك .

ولنا أن نتساءل: وإذا قامت الزوجة بإغراء الزوج لمواقعتها وهو متعب أو مريض أو سيئ المزاج، ونجحت في ذلك ألا يعتبر ذلك أيضًا اعتداء على جسد الرجل وحريته الجنسية ولكن في نعومة[١] .

رابعًا: الاتفاقيات الدولية ودعاة التحرر والمطالبة بتعديل قوانين الخيانة الزوجية:

خيانة الفراش المقدس، وزنى أحد الزوجين أو كليهما، جريمة بشعة، يعاقب عليها الكثير من القوانين الوضعية، ولكن أغلبها لا يساوي بين الزوجين والزوجة، سواء في طرق إثبات الجريمة وشروط تحققها. أو فرض العقاب وتنفيذه.

ولذلك تعالت أصوات المنظمات والمؤتمرات الدولية، وأيضًا دعاة التحرر، منادية بضرورة المساواة التامة بين الزوج والزوجة في هذا الشأن.

والواقع أن هذه المطالب تنادي بإلغاء اعتبار الخيانة الزوجية جريمة، ومن ثم إلغاء ما يفرض عليها من عقاب؛ «حيث تم النداء بحرية المرأة في جسدها».

---

(٢) الحرية الجنسية المطلقة للمرأة ، مرجع سابق ، ص١٩ ـ ٢٢ .

أولاً: مطالب الاتفاقيات الدولية بالمساواة بين الزوج والزوجة في الجريمة وعقابها:

جاءت هذه المطالب تحت بند «ج» في سيداو، الذي يطالب بنفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه.

كما تضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، الصادر في ديسمبر ١٩٤٨م، م ٢٢ : «يراعى في التشريعات للدول الأطراف في الميثاق، أن تتجه إلى المساواة بين الزوجين في الحقوق والمسؤوليات».

كما جاء في المادة السابقة: «على أن يراعى وجوبًا إلغاء جميع الأحكام الواردة في قانون العقوبات التي تنطوي على أي تمييز ضد المرأة » [(١)] .

وثيقة مؤتمر بكين للمرأة:

تضمن البنود «٨٥ ، ١٠٧، ١٨٢»: أن مفهوم الأسرة الذي يقره الدين ليس إلا مفهومًا عقيمًا؛ لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة في مختلف الأعمار[(٢)] ، ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط، وفي داخل الإطار الشرعي، ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم في تكوين أسر بينهم، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والزوجية، معتبرين أنها مجرد أداور نمطية اعتادها الناس فيما درجوا عليه[(٣)] .

والواقع: أن الهدف الحقيقي ليس المساواة في العقاب لجريمة الزنا بين الأزواج ولكن إلغاء هذا العقاب نهائيًا، ودليلنا هو: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان م ١٦ تفترض حرية الرجل والمرأة في الزواج وتأسيس العائلة دون قيد من جهة الجنسية أو الديانة ولا قوانين الزواج المدني، التي قد تحرم أنواعًا معينة من الزواج مثل: زواج الأصول والفروع، والأخوة والأخوات، وغير ذلك.

---

(١) يقصد بذلك مساواة الزوج والزوجة في العقاب القانوني لجريمة الزنا، أو بمعنى أدق: إلغاء العقاب لكليهما طالما تم التراضي.

(٢) يقصد بالعلاقات الجنسية الحرة في مختلف الأعمار: حرية الجنس للمرأة في كل الأحوال متزوجة أو غير متزوجة.

(٣) الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، زكي أبو عضة ، دار الوفاء بالمنصورة ، ص ٢٨١ .

ثانيًا: دعاة تحرر المرأة ومطالبهم بالمساواة القانونية:

يرى دعاة التحرر أن هناك ظلمًا وقع على الزوجات نتيجة تميز القوانين الوصفية، ضد النساء وتمييز الرجال عليهن قانونيًا.

والواقع الأكيد أنهم محقون في ذلك.

تقول فريدة النقاش: «وبقيت مظاهر التمييز ضد المرأة قائمة في القوانين المختلفة، ناهيك عن الواقع الفعلي والمستوى الأعمق فيه حيث يتخذ التمييز الطبقي ضد المرأة أشكالاً مزدوجة بصفة مستمرة؛ لأنها طبقية وأبوية سلطوية في آن واحد.

يميز قانون العقوبات بين الرجل والمرأة في قضايا الزنا، وجرائم الشرف، والخيانة الزوجية سواء بالنسبة لمدة الحبس أو وقائع الإثبات أو المحاكمة، فالرجل في قضايا الآداب هو دائمًا شاهد تجري تبرئته بينما يحكم على المرأة بالحبس رغم أنهما شريكان في الواقعة، وفي حالة الزنا يشترط أيضًا أن يقع بالنسبة للرجل فقط في بيت الزوجية أما خارجه فلا يعد كذلك، أما المرأة فيمكن إلقاء القبض عليها متلبسة ومحاكمتها أيا كان المكان الذي يحدث فيه الزنا»[1] .

شروط تحقق جريمة الزنا قانونًا:

بالنسبة للرجل «الزوج» يشترط قيامه بالزنا في منزل الزوجية ، فإن فعله في غير منزل الزوجية، فلا تتحقق الجريمة وإن فعلها «م٢٧٣ ق العقوبات» بالنسبة للمرأة: تتحقق جريمة الزنا في أي مكان فعلت فيه الجريمة، طالما ثبت فعلها، ولا تحاكم إلا بناءً على طلب الزوج: «م ٢٧٣ ق العقوبات».

وهذه الشروط القانونية تحمي الرجال من تحقق شرط الزنا وبالتالي عقابه.

عقاب الزناة قانونًا:

بالنسبة للرجل: يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد عن ٦ أشهر، م ٢٧٤ق العقوبات.

وبالنسبة للمرأة «الزوجة»: الحبس لمدة لا تزيد عن سنتين «م ٢٧٤ ق العقوبات».
ولا شك أن فرض عقوبة على الرجل تمثل ربع العقوبة المفروضة على الزوجة فيه غبن

---

(١) فريدة النقاش: حدائق النساء في نقد الأصولية، وكنا نتمنى أن تكون هذه المطالب هي العودة إلى تطبيق أحكام الشريعة.

صريح وظلم بين.

مزايا إضافية للزوج:

للزوج الحق في التنازل عن دعوى الزنا وإلغاء العقوبة عن زوجته طالما ارتض يذلك وعاد لمعاشرتها وذلك في أي مرحلة من مراحل التقاضي م ٢٧٤ قانون العقوبات. كما يجوز له وقف تنفيذ الحكم.

ومعلوم أن الزوج هو الرجل الوحيد الذي يجوز له رفع دعوى الزنا ضد زوجته وليس لأبيها أو أخيها أو ابنها ، أو غير ذلك «م٢٧٣ قانون العقوبات»، وبذلك لم تعد جريمة الزنا جريمة اجتماعية حيث تمثل انتهاكًا لحرمة المجتمع ، كما لم تعد تعتبر جريمة دينية، باعتبارها معصية لله ـ جل وعلا ـ ورفضًا لاتباع شريعته، بل أصبحت جريمة شخصية المتضرر فيها الزوج أو الزوجة حسب الأحوال.

وهذه الدعاوى هي خروج عن شريعة الله إلى شريعة الشيطان والواسطة فيها هم الشياطين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ولا يجب علينا كشعوب وحكومات أن نتبع هذه الأفكار الشاذة ، وقد حذرنا الله من ذلك، فقال جل شأنه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقال الرسول ﷺ منبهًا ألا نتبع قوانين واتفاقيات الغرب التي تنأى بنا عن ديننا فقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد**»[(١)] [(٢)].

خامسًا: دعاة التحرر وترويجهم للشذوذ الجنسي:

تغيرت المفاهيم، وتبدلت الأخلاق، وسقطت أقوال الحكماء، وعلا أصوات الحمقى، فبدلاً من القول: إذا بليتم فاستتروا ، أصبح القول: إذا عصيتم فافتخروا، فلم يعد الشذوذ مستنكرًا من الغرب، ولهذا تنوعت أساليب الترويج للشذوذ الجنسي.

---

(١) البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨ / ١٧) .

(٢) انظر: الحرية الجنسية المطلقة للمرأة ، مرجع سابق، ص ٤٢ ـ ٤٥ .

أولا: عدم استنكار الشذوذ الجنسي:

لم تعد المجتمعات والقوانين الغربية ترى في الشذوذ الجنسي خطأ أو ذنبًا أو خطيئة تنال من شرف وكرامة من يزاوله، بل رأته أحد الحريات الشخصية وأساسًا من أسس حقوق الإنسان، ومن ثم لم تعاقب عليه وإن فرض الدين اليهودي والمسيحي عقوبة الموت على الفاعل والمفعول[١] «خاصة اللواط».

ولتشجيع اللواط لم تضع القوانين أي قيد على مزاوليه ، بل منحتهم بعض المزايا ومن ذلك:

١ ـ خصصت بعض الجامعات بأمريكا منحًا دراسية للشواذ جنسيًا: أي اللواطين، منها جامعة سير جورج وليامز.

٢ ـ الدفاع الإعلامي عن الشاذين جنسيًا:

أصبح للشواذ نواد يجتمعون فيها، ومجلات ينشرون فيها أفكارهم، هذا وقد شنت مجلة اللواطين في بريطانيا هجومًا ضاريًا على الدين ورجاله؛ لأنه يحرم الشذوذ الجنسي، وأوضحت أن الدين هو سبب لكل مشاكل الدنيا. فرد أحد القساوسة مدافعًا عن الكنيسة قائلاً: «إن الكنيسة في حالة مخاض الآن، وإنه عما قريب ستعترف الكنيسة بالشذوذ الجنسي، وإن الشاذ جنسيًا إنسان عادي وله الحق إذا أراد أن يصبح قسيسًا أو أي شيء آخر..»[٢].

كما قامت بعض الصحف والمجلات البريطانية ـ ومنها الديلي إكسبريس والديلي ميل ـ عام ١٩٧٠ بحملة واسعة ضد الرهبنة والكنيسة .. وذكرت في إحصائيات ـ نتيجة تحقيقات بارعة ـ أن ما يقرب من ٨٠ ٪ من الرهبان والراهبات والقس قد مارسوا الجنس، وأن ٤٠ ٪ منهم قد مارسوا الشذوذ الجنسي.. ولذا فقد ركزت هاتان الصحيفتان حملتاهما على نظام الرهبنة الذي يمنع الرهبان والراهبات والقسس من الزواج... فتكون النتيجة النسبة العالية من الزنا والشذوذ الجنسي[٣].

---

(١) ذكرنا الدين اليهودي والمسيحي ، لأنها أديان الغرب المعترف بها.

(٢) عمل المرأة في الميزان، د / محمد على البار، ص ١٤٢ ، الدار السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

٣ ـ افتخار الشواذ بأنفسهم والإعلان عن شذوذهم وكأنه فضيلة:

يقول د. محمد علي البار: «وقد كانت جمعيات الشاذين جنسيًا تمارس نشاطها بشيء من السرية والكتمان وفي دورات المياه القذرة «Dirty Closet Practice» حتى قام أحد ضباط الصف اليهود في الجيش الأمريكي بوضع لوحة كبيرة خلف مكتبه كتب فيها «أنا شاذ جنسيًا». . فقام الجيش الأمريكي بطرده. . ونشرت مجلة التايمز الأمريكية صورته على غلاف صفحتها الأولى. . ودعى إلى عدد كبير من المؤتمرات ليلقي فيها محاضراته الداعية إلى حرية الإنسان!!. . ونجحت تلك الحملة وظهرت بعدها جمعيات الشاذين جنسيًا إلى السطح، وأخذت تمارس نشاطاتها في العلن، وظهرت لها المجلات والصحف والكتب والأفلام. . ووضعت لها البرامج والمنظمات، وتكونت لها الكنائس والمعابد الخاصة » [(١)] .

هذا وتم رصد ٢٠ موقعًا على الإنترنت ـ على الأقل ـ للترويج للشذوذ الجنسي، والإعلان عن كيفية ممارسته.

٤ ـ إصدار وثيقة رسمية لأهداف الشواذ جنسيًا:

وفي مقال للكاتب إسلام كمال جاء فيه: حصلت «روزاليوسف» على الكتاب الواضع لمبادئ تنظيم «وكالة جنود الرب» الماجنة، يفيد الكاتب في تحليل أبعاد ما وراء الحدث خاصة أن إسرائيل لها علاقة كبيرة بالموضوع بصورة ما. . وعنوان هذا الكتاب الذي تتصدره صورة شابين عاريين تمامًا هو «وكالة الله في الأرض. . ديننا دين قوم لوط. . نبينا وفقيهنا أبو نواس». ويريد كاتبه خلق أية صلة تاريخية وإنسانية للشواذ وأفعالهم، ويزعمون أن هدفهم من هذه المعتقدات الموجودة بالتفصيل في جزء عنوانه «مختصر شريعتنا» حب الحياة ورغبة في تجمليها وجعلها أقل قسوة من حياة أسلافهم!!

إنهم يلعبون بورقة احترامهم للمثل الإنسانية المنطقية حسب رأي كل منهم، ويعرضون بعدها أفكارهم التخريبية لقيم وتقاليد أي مجتمع، فيقولون في البند الثاني من شريعتهم: إنهم يدركون أن المخالفة تغضب الرب. . فالقتل مخالفة والسرقة مخالفة، والزنا وفقًا لما يقوله البعض مخالفة. . كل ما هو ضار بالغير مخالفة تغضب

---

(١) عمل المرأة في الميزان، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

الرب في رأيهم!!

إنهم يعتقدون في «المثلية» وأن الشذوذ حق إنساني وما النهي عنه إلا تشدد وعدم إدراك للواقع وما هو بمخالفة تغضب الرب بدليل عدم تخلف ضرر عنه يلحق بالغير .. لكن لا يذكون أن الشذوذ هو أساس فساد أي مجتمع بالفعل؛ لأنه من الطبيعي أن يصبح هناك سحاق أيضًا طالما لم يتوافر العنصر المفروض وجوده لإكمال العلاقة ، فتكون بداية النهاية، إلا أن لهم رأيًا آخر يقولون فيه: إن الشذوذ خير طبيعة تقرب بين الناس ، وتنشر بينهم الألفة والمودة وتزيل البغضاء والعداوة!!

أهم الطقوس لهم: «الحج للبحر الميت والتبرك بالاستحمام في مائه» ، وهذا ليس إلا كونه إطلالة على أرض أسلافهم وأحبائهم الذين يطلقون عليهم «قوم لوط الكرام» لكن التبرير الأكثر وضوحًا هو استمرار العلاقة بين التنظيم وإسرائيل خاصة أن الأغنياء منهم من المفروض أن يقوموا بزيارة لإسرائيل كل ثلاثة أشهر لممارسة هذه الطقوس والفقراء مرة سنويًا.

في البند السادس من شريعتهم الشاذة بعد هذه الصلاة أو الحج الغريب نجد الصوم، وهو يعني لديهم الصوم عن فعل ما يضر الغير، «فالشاذ» لا يقتل ولا يسرق ولا يزني حسب شريعتهم ، أما البند السابع فيقولون فيه: إن الشواذ أو المثليين ليس لديهم أي خصوم في الحياة الدنيا، فكل الناس أحباؤهم حتى من خالفهم، وذلك من قبيل الشفقة لغياب خصوم عن واقع الحال وتخلفهم عن الإدراك الحضاري للحياة والذي لا يعني لديهم سوى الشذوذ.

إنهم بذلك لا يريدون تكوين خصومات مباشرة مع أحد على الأقل على المدى القريب؛ حتى يتمكنوا من تقوية تنظيمهم ثم يكونون خصوماتهم تدريجيًا حسب قوتهم خاصة أن الشواذ وصلت قوتهم إلى أن تحولوا إلى ثقل في الولايات المتحدة أثروا على نتيجة الانتخابات الأخيرة هناك[1] .

وتستمر بذلك المخططات اليهودية لتخريب المجتمعات والتي تتضح آخر ثمارها في ديانة جديدة تنتشر في غرب أوربا اسمها «اليهوه المسيح» وهي تعتبر كونفدرالية دينية تخرب في المسيحية ، وتزيد الثقل اليهودي في المناطق التي تسير عليها، فتحليل

---

(١) يقصد الانتخابات التي نجح فيها كلينتون.

المجتمعات ، والتشكيك في مصداقية الشرائع السماوية، وتجميل الشهوات لضعاف النفوس أسس هذه المخططات.

ويقولون: إن الشاذ لا يؤمن بقومية غير «قومية الشذوذ» التي ينتمي لها فقط ولا يعترف بالحدود والفواصل بين شعوب الأرض والعداوات القائمة بينهم، ويتطلعون إلى مستقبل قريب يصبح كل البشر فيه شواذًا ومواطنين في القومية، فيعم الأرض السلام والمودة ، وتسقط العداوة ويتفرغ الناس للاستمتاع بالجنس الخالد فاكهة الحياة حسب زعمهم، والمثير للدهشة أنهم بعد كل ذلك يقولون: إن الحياة القويمة هدفهم، وجنة الخلد مبتغاهم ، ورضاء الرب مظلتهم في الحياتين !! وتجد في الصفحة المقابلة لهذه المزاعم صورة لرجلين يقبلان بعضهما البعض!! (١) .

٥ ـ مهاجمة أحكام الأديان المستنكرة للشذوذ الجنسي بأنواعه:

لا شك أن أكبر مناهضي هذه البلايا الأخلاقية والاجتماعية والصحية: الشرائع السماوية، وعلى ذلك يرى دعاة الشذوذ ضرورة الدعوة لنبذها.

هذا وقد نشرت مجلة التايم» الأمريكية في ١٤ / ٤ / ١٩٨٠ مقالاً تحت عنوان: «مهاجمة التابو ـ المحرم المقدس الأخير» وتحته مباشرة بعنوان فرعي: «الباحثون يعملون لإباحة المحرمات. . الباحثون يعملون الآن بجد يساندهم في ذلك بعض الأكاديميين لإزاحة آخر صنم في المجال الجنسي وهو منع نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات.

ويقول الباحث الاجتماعي جون موبي: «إن تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه الكبار أو غيرهم من البالغين لا يشكل خطورة بالضرورة على حياة الطفل».

ويقول الباحثان جون موبي وزميله جيرترود وليامز: «إن الجمهور لا يزال يعتبر أن أي اتصال جنسي بالطفل مهما كان حميدًا، فإنه اتصال ضار ومحطم للطفل ، وهما يريان في ذلك تخلفًا».

كما يقولان: «إن المجتمع يعتبر من يمارس الجنس مع المحرمات مثل الأمهات والأخوات والبنات وكأنه مارق على الدين في مجتمع متدين» (٢) .

---

(١) مجلة روزاليوسف ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٦، مع حذف بعض الفقرات للاختصار.
(٢) الأنثى والجنس ص ٦٣ ، ٦٦، مع الاختصار الشديد.

ويقول الباحث واردل بومـري في صراحة أكثر: «لقد آن الأوان لكي نعترف بأن نكاح المحرمات ليس شذوذًا ولا دليلاً على الاضطراب العقلي.. في الواقع قد يكون نكاح المحرمات وخاصة بين الأطفال وذويهم أمرًا مفيدًا لكليهما»[١] .

ويقول العالم الأنثروبولجي «سيمور باركر» من جـامعة يوتاوة: «ينـبغـي إزاحة الشعور بالذنب عندما يقوم شخص بنكاح ابنته أو أخته أو أمه ، وما هي الجدوى التي ستـعود من ربط الـنكاح المحرمـات بهذا الشـعور من عدم الارتـياح بدلاً من المحـبة والدفء الذي يشعه نكاح المحرمات، هذا وقد أنـتجت هوليود ٦ أفلام فقط عن نكاح المحرمات عام ١٩٢٠ وقد أنتجت عام ١٩٧٩ عدد ٦٠ فليمًا والمزيد في الطريق»[٢] .

٦ ـ تبرير أسباب الشذوذ الجنسي باعتباره تطورًا طبيعًا:

تقول د. نوال السعداوي: «وحيث إن الطاقة الجنسية إذا كبتت لا تضيع أو تفقد، وإنما تنحرف عن مسارها الطبيعي إلى مسار آخر ، لهذا تنحرف الطاقة الجنسية المكبوتة عنـد البـنات إلـى طريق آخـر غيـر الرجـل.. ، ٦٢ ٪ من البـنات يمـارسن الـعادة السرية...».

ثم عن حب وهيام المرأة بمثلها قالت: «وأنا تلميذة بمدرسة حلوان الثانوية الداخلية كنت أعيـش حبًا ضخمًا جـارفًا ملك كل مشـاعري، ولم يكن الحـبيب سوى «مس سنية» مدرسة اللغة الإنجليزية ، ولم أكن أنا البنت الوحيدة التي تحب مدرستها، كانت بنات الفصل جمـيعًا قد وقعن في حب المدرسات كل حسب ذوقـها واختيارها، وكم من مشاجرات حدثت بين البنات بسبب التنافس على حب مُدرسة واحدة.

ويقـول علمـاء النـفس: إن مثل هذا الانجـذاب والتعلق الذي يـحدث بين أفراد الجنس الواحد، سواء بين البنين والبنات طبـيعي في أي مرحلة من مراحل نمو الإنسان ونضجه الجنسي، وأنه لا يُعدُّ شذوذًا جنسيًا.

ولكن الشذوذ هو أن يظـل الإنسان في هذه المرحلة ولا ينتقل إلى المـرحلة التالية من النضج حيث ينجذب إلى الجنس الآخر ويجد معه المتعة التي ينشدها.

---

(١) عمل المرأة في الميزان ، مرجع سابق، ص ١٥٠ .
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٢ .

لكن ضغوط المجتمع وتحريمه اتصال الفتاة بالجنس الآخر يشجعها على أن تجمد مشاعرها عند هذه المرحلة، وتصبح علاقاتها ببنات جنسها ليست تلك العلاقة العاطفية المؤقتة، وإنما علاقة عضوية جنسية تستبدل بها الرجل بالمرأة وتشعر بلذة الجنس مع النساء فحسب»[1] .

سوق خاصة لشهادات زواج الشواذ في أمريكا:

أصبحت قضية زواج المثلين من أهم القضايا المطروحة في الانتخابات الأمريكية.. أعلن بوش عن رغبته في إجراء تعديلات دستورية لحظر زواج المثلين جنسيًا، في الوقت نفسه يرى جون كيري أنه وإن كان يعارض زواج الشواذ لكنه يعتقد أن هذه القضية تتوقف على قرار كل ولاية.

جاء هذا الإعلان بعد الضجة التي سببها إصدار المحكمة العليا بولاية ماساشوستيس الذي مهد الطريق لزواج المثلين وكان من نتيجة ذلك: أن تحولت سان فرانسيسكو إلى سوق خاصة للحصول على شهادات زواج الشواذ، وقد انتقل نحو ٣٥٠٠ من الشواذ مؤخرًا إلى سان فرانسيسكو للحصول على هذه الشهادات التي أصدرها العمدة «جافين بنوسوم» للمثلين .

وقد صدر هذا الحكم في نوفمبر الماضي بموافقة أربعة قضاة مقابل ثلاثة محددًا مهلة ٦ شهور لاعادة صياغة قوانين الزواج في الولاية من أجل صالح المتزوجين المثليين[2] .

العاصمة الأرجنتينية تعطي زواج الشواذ وصفًا قانونيًا:

أعطى مشرعون في بوينس أيرس الأزواج الشواذ وضعًا قانونيًا مما يتيح لهم الاستفادة من المعاشات وزيارة المستشفيات في خطوة وصفت بأنها الأولى في أمريكا اللاتينية.

وبعد مناقشات مطولة وساخنة خلال الليل وافق المشرعون على إضفاء الشرعية على الزواج المدني لأشخاص من نفس النوع في مدينة يقطنها ثلاثة ملايين نسمة

---

(١) انظر: الحرية الجنسية المطلقة للمرأة، مرجع سابق، ص ١٣٦ .
(٢) مجلة المصور: العدد (٤١٤٣) في ٥ / ٣ / ٢٠٠٤م.

تشتهر بأنها الأكثر تقدمية في القارة التي يدين سكانها بالمسيحية الكاثوليكية. وأيد القانون ٢٩ مشرعًا وعارضه ١٠ مشرعين.

وانضمت العاصمة الأرجنتينية إلى عدد قليل من الأماكن بما فيها بعض الولايات الأمريكية وعدة بلدان أوربية تعترف بالوضع القانوني لزواج الشواذ من الرجال والنساء.

وسيمثل القانون السياسة التأمينية والمزايا الصحية التي تغطيها الحكومة المحلية في «بيونس أيرس» ، لكنه لن يتيح للأزواج من نفس النوع تبني الأطفال أو الزواج في الأرجنتين التي يُبلغ عدد سكانها ٣٦ مليون نسمة.

وتفخر «بوينس أيرس» التي تطلق عليها باريس أمريكا اللاتينية منذ وقت طويل بأنها منارة للتنوير الأوربي في القارة.

وعارضت الكنيسة الكاثوليكية التي تظهر استطلاعات الرأي أنها أكبر مؤسسة تحظى باحترام القانون في الأرجنتين[١] .

ثانياً : محاولات الغرب نشر الشذوذ الجنسي في الشرق:

بالرغم من تحريم الأديان السماوية للشذوذ ، وإقامة الحدود لعقاب مرتكبيه، فقد اعتاد الغربيون تصدير كل ما هو قبيح من مبادئ ، وسيئ من أخلاق إلى الشرق هادفين المسلمين وغير المسلمين ، وغرضهم واحد وهو نشر بلايا ومفاسد هذه البدع في الشرق ليعاني من أمراض الغرب الأخلاقية والجنسية إضافة إلى محاولة محو أحكام الشرائع من الصدور، هذا وقد تعددت هذه المحاولات ومنها:

١ ـ إقامة مهرجانات للشواذ:

جاء في جريدة الأسبوع : مهرجان الشواذ في القدس!! في أغسطس القادم وبرعاية صهيونية:

سيعقدون ـ نقصد الشواذ ـ احتفالاً عالميًا غير مسبوق، وأين؟! في القدس حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين، تجرأ إذن شواذ العالم علينا وعلى مقدساتنا بعد أن هانت المقدسات وهنًا على ولاة أمورنا!!

---

(١) الأهرام المسائي ١ / ١٢ / ٢٠٠٤م.

فبعد التهديدات الإجرامية من متطرفي الصهاينة باقتحام المسجد الأقصى المبارك فوجئنا ببيان مطول تعرضه شبكتا B.B.C, C.N.N لمجموعة تسمى نفسها «الفخر العالمي» Warld - Pridw تذكر فيه أنها تعتزم عقد مهرجان عالمي لمثلي الجنس من الجنسين في أغسطس القادم (٢٠٠٤م).

ويبرر الشواذ سبب اختيارهم مدينة القدس «نظراً للتوتر العرقي والديني الذي أصبح شيئًا مألوفًا» على حد وصفهم. ويضيفون «إن الآراء المسبقة ضد مثلي ومثليات الجنس في الشرق الأوسط تدل على عدم تسامح ثقافي وسياسي..!!»، ويضيفون أيضًا في رسالتهم التي تحمل عنوان: «حب بلا حدود» أن المهرجان الذي سوف يعقد في أغسطس القادم سيجمع إسرائيليين وفلسطينيين وأناسًا من كل العالم بهدف توصيل رسالة للشرق الأوسط وما حوله مفادها: أن حقوق الإنسان تعلو على الحدود الحضارية والعرقية».

يقول أيضًا: «لا يوجد مكان أفضل من القدس لتوصيل هذه الرسالة، ولعله لا توجد مدينة أكثر حاجة لهذه الرسالة من القدس».

٢ ـ المطالبة بإباحة كافة أنواع الشذوذ الجنسي والخلقي:

جاء بجريدة الأسبوع بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠٠٤م[1] : منظمة أمريكية تطالب بإباحة الشذوذ الجنسي رسميًا في مصر: «إن وصمة العار المتصلة بالسلوك المثلي في مصر تتسبب في إشاعة شعور عام وسط الناس بأن الذين يمارسون الشذوذ مذنبون»!.. بهذه العبارة بدأت منظمة «هيومان رايتس ووتش» الأمريكية تقريرها عن حقوق الشواذ والذي زاد عدد صفحاته على ٦٠٠ صفحة، وتضمن هجومًا وقحًا على كافة أجهزة الدولة، بداية من الصحافة ووسائل الإعلام مروراً برجال الشرطة والنيابة وحتى القضاء، وصولاً إلى القوانين المصرية التي تجرم الشذوذ الجنسي، وفي مقدمتها القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦١ الخاص بمكافحة البغاء الذي يطالب الأمريكان ومنظماتهم بالسماح به في الدول العربية بما فيها الشذوذ الجنسي.

---

(١) مقال للكاتب: مجدي صالح.. مع الاختصار الشديد.

فضلاً عن ذلك، فقد تزامن إعلان التقرير مع إعلان واشنطن مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي يدخل ضمن بنوده: منح الحقوق الشخصية لأبناء الأمة العربية، أي إباحة الشذوذ وفقًا لما جاء في وثيقة «كوبنهاجن» التي تضمنت خمسة بنود هي: الحرية الجنسية، والاعتراف بالدعارة وتقنينها واعتبارها خدمة عامة، والمطالبة بمنع ختان الذكور ، وتجريم تعدد الزوجات ، وإباحة الجنس بدون زواج.

وجاء بالتقرير: إن الحكومة المصرية تشن حملة شعواء ضد المثليين، وأن الدوافع المعلنة لتلك الحملة هي الإبقاء على التقاليد، وصون الأخلاق من الدنس، وأن هذه الحملة تتضمن وسائل مختلفة للقبض على المثليين، منها ما أسمته المنظمة الأمريكية: الإيقاع في الفخ عبر الإنترنت، وتحرش أجهزة الشرطة بالناس والتعذيب ، وأن القائمين على شن هذه الحملة يتراوحون بين الوزراء إلى فرق المرشدين المنتشرين في أرجاء القاهرة ، أما ضحايا الحملة من وجهة نظر المنظمة الأمريكية فهم الرجال المشتبه في ممارستهم للجنس مع الرجال أمثالهم.

ورصدت المنظمة أن أول قضية تأخذ البعد الإعلامي من هذا النوع كانت في شهر مايو عام ٢٠٠١م وحوكم فيها ٥٢ رجلاً جري القبض على معظمهم في الباخرة «كوين بوت» التي كانت يرتادها المثليون. . وترى المنظمة: أن القضية أشبه بمهرجان منها بعملية قضائية!! ويقول التقرير: إنه وبسبب الهيستريا الإعلامية أصبحت قضية «كوين بوت» أشهر حلقات الحملة المصرية حيث اكتظت الصحف بالعناوين التي أطاحت بسمعة المثليين ، فوصفتهم بـ «عبدة الشيطان»، والشواذ جنسيًا حتى صار هذا السلوك أمرًا خطيرًا يهدد الأمن العام ورمزًا لطائفة تهدد القيم الأخلاقية ، وشبكة مخربة تهدد أمن الدولة ، وقطعًا هذا الرأي جاء تهكمًا على موقف الصحافة المصرية من القضية .

٣ـ إنشاء مراكز للدفاع عن حقوق الشواذ :

جاء بجريدة الأسبوع بتاريخ ٩ / ٨ / ٢٠٠٤م : مركز الدفاع عن حقوق الشواذ، يلعب بملفات الشيعة والمهمشين!!

منذ نحو عام وبضعة أشهر نشرت «الأسبوع» تقريرًا عن مركز مشبوه لحقوق

الإنسان يسمى «المبادرة المصرية للحقوق الشخصية» وكشفت «الأسبوع» وقتها عن تفاصيل عمل هذه المبادرة وتوجهات المسؤول عنها وهو شاب يدعى «حسام بهجت»، وما لفت الانتباه هو اسم هذا المركز ومدلولاته الخطيرة التي تهدد بتخريب المجتمع المصري سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا. فكانت أولى القضايا التي تبناها هذا المركز قضية «تنظيم الشواذ» عام ٢٠٠٢ ، حيث انضم «حسام بهجت» إلى هوجة الهجوم على مصر من الجهات والمنظمات الأجنبية بسبب محاكمة هؤلاء الشواذ، واستطاع هذا الشاب أن يلتقط الخيط ليدخل بالقضية حلبة السباق في سوق منظمات حقوق الإنسان والمجتمع المدني ليجد لنفسه مكانًا في هذه السوق التي ترعاها واشنطن وتأسست تلك المبادرة في ذلك العام.. وأعيدت بعد ذلك محاكمة تنظيم الشواذ.. وشنت الدوائر الغربية هجومًا شديدًا على القضاء المصري .. ورغم ذلك لم ينل هذا الهجوم من القضاء الذي قال كلمته وتمت محاكمة ١٨ من أعضاء هذا التنظيم .. كان «حسام بهجت» في ذلك الوقت قد كتب مقالاً في «الحياة اللندنية» يستنكر فيه موقف منظمات حقوق الإنسان في مصر لعدم تضامنها مع هؤلاء الشواذ.. والانتهاكات التي تعرضوا لها في حقوقوهم الشخصية، فهو يعتبر أن الإباحية الجنسية طالما لا تضر آخرين فهي من الحقوق الشخصية التي يجب الدفاع عنها، حتي لو كانت شذوذًا جنسيًا يرفضه أبناء الشعب المصري.

٤ ـ الترويج الإعلامي للشذوذ والاحتفال بمزاولته:

المتتبع لبعض القنوات الفضائية الآن يجد أنها تروج بصورة مباشرة، وغير مباشرة للشذوذ الجنسي، فهناك من يدعي أن الشذوذ مرض يجب معالجته نفسيًا وعدم المعاقبة عليه، وآخر يقول : إن الشذوذ هو ناتج لبلايا كثيرة أصابت المجتمع ويجب النظر للشاذ كضحية وليس كمجرم ، ولا شك أن في ذلك بعضًا من الصحة، ولكن الجميع لا يدعون إلى علاج أسباب الشذوذ النفسية والاجتماعية والأخلاقية؛ لأن ذلك سيؤدي إلى صلاح حال المجتمعات وضرورة التمسك بأحكام الأديان وهم لا يرغبون في ذلك.

جاء بمجلة المصور بتاريخ ٨ / ١١ / ٢٠٠٥م: موقع على النت يروج للشذوذ في مصر: استغل الشواذ النت في الترويج للشذوذ ، وحدد موقعهم على الشبكة

الدولية صالات الديسكو وبارات الفنادق الكبرى، بشارع... بالقاهرة، والإسكندرية، وأسوان، كأماكن مفضلة للقائهم بعيداً عن رقابة أجهزة الأمن، واتخذوا الملابس الحمراء كوسيلة للتعارف على بعضهم البعض.. وقد وصلت الوقاحة بالقائمين على الموقع بنشر مقالة يدعون فيها إلى وقف العمل بنصوص القرآن الكريم، التي تجرم ممارسة الشذوذ، ويرون أن العالم الإسلامي بحاجة إلى عقول متفتحة لها رؤية أكثر تحرراً وأقل حساسية، حول قضية الشذوذ بحيث يتم وقف رجم الممارسين للواط في عدد من الدول الإسلامية .

الاحتفال بزواج المثليين:

تحتفل الأندية والكنائس في كثير من بلاد الغرب بزواج الشواذ من المثليين، ولكن المصيبة العظمى هي الاحتفال في مصر بهذا الزواج.

جاء بجريدة الأسبوع العدد (٤٣٨) في ١٥ / ٨ / ٢٠٠٥ في مقال للأستاذ/ محمود بكري: يحدث في بلد الأزهر .. وتحت سمع وبصر الحكومة، وقائع حفل زواج رجلين في مصر المحروسة!!

وفي منطقة وسط العاصمة.. وعلى بعد أمتار قليلة من ميدان التحرير أشهر ميادين مصر وأكبرها... وعلى بعد دقائق من الأزهر الشريف... ومن أضرحة سيدنا الحسين، والسيدة زينب ، والسيدة عائشة، والسيدة نفسية، رضي الله عنهم جميعًا كان فندق هيلتون رمسيس يعيش لحظات فريدة واستثنائية ، فقد تزين الفندق وتجمل، لا ليستقبل احتفالاً بمناسبة عادية أو بزفاف خاص أو ببهجة كتلك التي تحياها قاعاته كل ليلة، بل كان الجو المحيط يوحي بشيء غريب ، لم تعتده الأعين، ولم تلمسه العقول، ولم يخطر على عقل بشر.

انتشرت الزهور والورود ، وأطلق البخور، واستعدت فرق الرقص والغناء لتنشد نغمات جديدة على وقع أهازيج ، تتمايل رياحينها هذه المرة بشكل لم تشهده مصر منذ حباها الله بدين الإسلام والمسيحية ، فعند الثانية عشرة مساءً وبالتمام والكمال، كانت إحدى قاعات فندق هيلتون رمسيس تشهد حفل زفاف هو الأول من نوعه في بلد الأزهر ، وقف الجميع مشدوهين، وهم يشهدون «رجلين» يترجلان من سيارة

فخمة ، مزينة بالورود والزينة توقفت عند باب الفندق ليهبطا منها، وفي لحظات كان الرجلان يتأبطان بعضهما بعضًا ، ويتقدمان وسط فرقة الموسيقى التي راحت تزفهما في مشهد غريب ، أثار كل الموجودين داخل الفندق ، وفي قاعات استقباله ، وفي ردهاته الرئيسية.

توجه «الرجلان» بخطوات وئيدة إلى حيث موقع الاحتفال بهما في حفل الزفاف الذي تقرر في تلك الليلة الغريبة، رجال ونساء جاؤوا ليجلسوا في مناضد متفرقة. . . «رجلان» معًا أو سيدتان معًا، فقد كان المشهد غريبًا ومثيرًا، وراح من يشهدون ما يجري يفتحون أعينهم غير مصدقين ما يحدث أمامهم ، وما هي إلا لحظات حتى دلف العروسان «الرجلان» إلى داخل القاعة، تسبقهما أصوات زاعقة ، فيما راحا يتبادلان ابتسامات الإعجاب والحب في مشهد بدا فيه كلاهما سعيدًا متباهيًا كأنه يزف إلى الدنيا كلها.

كان المشهد دراميًا ، ففي منتصف القاعةجلس العروسان الذكران «الرجلان» على كرسيين متجاورين ، تحيط بهما الزهور من كل اتجاه، بينما راحت أصوات الموسيقى الحالمة تصدح في أروقة القاعة؛ لتبعث بالراحة في الآذان .

كان الزواج ـ أو من أطلق عليه هذا اللفظ ـ ممتلئ الجسد ضخم الملامح، وكان شعر رأسه يتدلى على ظهره وكأنه شعر فتاة أرادت أن تطلق شعرها لجذب مفاتنها للناظرين، أما الآخر أطلق عليه «الزوجة» فكان ذا قوام نحيف، رشيق بعض الشيء، وإن كان شعره أقل من شعر الزوج الرجل. كان الجميع يراقب نظراتهما وابتساماتهما ومغازلاتهما لبعضهما البعض، كانا يتهامسان ، ثم تكسو وجهيهما ضحكة عريضة، وفي مشهد لا يخلو من دلالات ، راح كل منهما ينظر إلى الحاضرين ، ويوزع ابتساماته عليهم.

* * *

الفصل الرابع

وسائل الإعلام وأثرها فى الانحراف الجنسى

ليس سهلاً على المسلم التعامل بحرية مع وسائل التكنولوجيا الحديثة وخصوصًا أدوات الاتصال والإعلام كالإنترنت وقنوات التلفزيون الفضائية ، فلأن غالبية مدخلات تلك التكنولوجيا غير إسلامية المصدر ومن نتائج الثقافات الأمريكية والأوربية يبرز الكثير من المحاذير التى ينبغى علينا توخيها عند التعامل معها ، والقاعدة العامة هى رفض كل نتاج يتعارض مع القيم والتعاليم الإسلامية ومع الفطرة السليمة التى فطرنا الله سبحانه وتعالى عليها ، وما عدا ذلك فهى أدوات ومصادر يمكن استخدامها بطريقة ملائمة ومفيدة .

شبكة الإنترنت التى تنتشر عالميا بسرعة جنونية منذ بداية هذا العقد هى من صناعة النظام العالمى الجديد المهيمن عليه أمريكيًا ، ويبلغ عدد مشتركى شبكة الإنترنت حاليًا أكثر من ٨٠ مليون شخص منهم أكثر من ٥٠ مليون فى الولايات المتحدة.

تحتوى شبكة الإنترنت على مصادر معلومات منوعة ومفتوحة ، والمعلومات والبيانات التى تحتويها هذه الشبكة هى من إسهامات حكومات ومؤسسات «علمية ، تربوية، ثقافية، اقتصادية، دينية، سياسية . . . إلخ» وأفراد عاديين ، وبالتالى تتنوع الأغراض والأهداف المراد تحقيقها من وراء نشر تلك المعلومات بتنوع مصادرها .

وبشكل عام فإن الإنترنت كأداة اتصال ومصدر معلومات هو شبكة مهمة ومفيدة للمهتمين من كل التخصصات ومختلف الأذواق ، فإضافة إلى خدمة البريد الإلكترونى (e-mail) التى تقدمها شبكة الإنترنت تحتوى هذه الشبكة على مئات الآلاف من العناوين التى تضم بدورها مصادر لا تحصى من المعلومات والتقارير والدراسات والصور والأخبار ، ولأن إدخال أى معلومة مسألة ميسرة ومتاحة لجميع المشتركين مقابل مبالغ زهيدة فإننا نجد فى شبكة الإنترنت ما لا ترضاه النفس المسلمة من مئات العقائد الهدامة والمواد التى لا تقيم وزنًا لأى اعتبارات دينية أو أخلاقية .

ماذا يوجد على الإنترنت من هذه المواد ؟

أولاً : عقائد وديانات ومذاهب كافرة وفاسدة مختلفة ربما لم يسمع أحد بكثير

منها ، فتقرأ مثلاً عن ديانات السلتية والديسزم والطريق الرابع والموناستيزم والغموضية والتنريكيو والإيفا والشينتو وعبادة الشيطان . . . وغيرها ، وكثير منها لا يزيد أتباعها على عدد أصابع اليد الواحدة ، ويستطيع كل مبتدع لدين أو مذهب نشر أفكاره، وأى مادة إعلانية يريدها على شبكة الإنترنت ليقرأها من شاء من المشتركين بحرية ودون أى قيود .

ثانيًا : الصورة الإباحية ، هناك المئات من المواقع المخصصة لنشر الصورة الجنسية وأفلام الفيديو إضافة إلى المجلات التى تشجع على إقامة العلاقات الشاذة والعديد من المواقع التى تقدم للشباب صوراً وأرقام هواتف بائعات هوى فى مختلف دول العالم ، وبعض تلك المواقع يمكن الدخول إليها بالمجان ، وبعضها الآخر مقابل اشتركات رمزية بسيطة ، ويتفنن هؤلاء فى جذب زبائنهم وإغوائهم ، ولا توجد قيود قانونية أو أخلاقية رادعة على نشر أى مادة إباحية يريدها أى مشترك .

ثالثًا : تستخدم عصابات المافيا العالمية الإنترنت كوسيلة لترويج المخدرات وغسل أموالها القذرة «قدر مصدر أمريكى قيمة أموال المافيا المغسولة بحوالى ٣٠٠ مليار دولار على مستوى العالم كل عام » ، وتسمح الإنترنت بتسهيل الاتصال بين عصابات المافيا لضمان تدفق أموال المخدرات وانتقالها من بلد إلى آخر ، كما تسهل الإنترنت للمافيا تهريب الأسلحة وتسويق الدعارة عبر مسميات وعناوين مختلفة من خلال تقديم عناوين بريدية إلكترونية وأرقام هواتف لجهات وأماكن مشبوهة .

رابعًا : يوجد للعديد من أجهزة الاستخبارات العالمية كالسى أى إيه والموساد والإم ١٥ «المخابرات البريطانية» وغيرها مواقع إلكترونية على الإنترنت من مهامها الأساسية تجنيد مخبرين للعمل لصالحها فى مختلف دول العالم ، وهى من أسهل الوسائل للاتصال بالعملاء المحتملين وتجنيدهم وخرق دولهم ومجتمعاتهم بهم .

هيمنة لمؤسسات التنصير:

المواد التنصيرية هى المهيمنة على المواقع الدينية من حيث العدد والتصميم الفنى الجذاب الذى يدل على ضخامة الموارد المالية المبذولة على المواقع والصفحات التبشيرية، ونجد هناك ما يسمى بالكنيسة الإلكترونية التى تنفق عليها المؤسسات التبشيرية، ملايين الدولارات لجذب الناس وتنصيرهم .

وعلى الرغم من أن استحداث مواقع وصفحات على الإنترنت لخدمة عقيدتنا

وقضايانا الإسلامية ليست بالمشروعات المكلفة أو الصعبة وخصوصًا أن تمويلها وإنشاءها باب من أبواب الدعوة والثواب إلا أن نظرة على شبكة الإنترنت تشير إلى تقصير واضح من جانب المسلمين فى استغلال هذه الوسيلة الإعلامية الحيوية والفعالة والتى أصبحت أهم وسيلة إعلامية من حيث سرعة انتشارها وتأثيرها ، وهو تقصير يبدو جليًا عند مقارنته بحجم الجهد والمال الذى تبذله المؤسسات التنصيرية والصهيونية وغيرها من أتباع الملل الأخرى على إنشاء الصفحات الإلكترونية .

لكن هذا التقصير لا ينفى وجود محاولات جادة فردية ومؤسسية لخدمة قضايا الإسلام من خلال الإنترنت كمحاولة أستاذنا الفاضل الدكتور يوسف القرضاوى وبعض المؤسسات العربية والإسلامية فى الولايات المتحدة وبريطانيا على وجه الخصوص ، إلا أنها تظل محدودة ، كما أن معظم هذه المواقع باللغة العربية ، ولذلك يظل تأثيرها محدداً لأن الشريحة الأكبر من مشتركى الإنترنت هم من الناطقين بالإنجليزية .

هناك العديد من المواقع التى تحرف دين الإسلام فى محاولة للتأثير على المشتركين السذج وهم الغالبية ، على أن أكثر من استفزنى على الإنترنت شخص مريض يسمى نفسه إسماعيل ويدعى أنه كان مسلمًا ثم ارتد ، وقد أنشأ هذا الموتور صفحة سماها «المسجد الغريب» فيه تشويه للإسلام وتعد سافر على حرمة هذا الدين ، وإمعانًا فى غيه وانحرافه حشر فى «مسجده» مادة يجيب فيها عن سؤال : كيف تصبح مسلمًا شاذًا ؟! وضمنها أسبابًا تافهة جعلته كما يقول ينتصر للشذوذ الجنسى ويعتنق النصرانية! وهذا مثال من آلاف الأمثلة التى يجد متصفح الإنترنت فيها تحاملاً على الإسلام وتحيزاً ضده ومحاولات حثيثة من أعدائه لتشويه صورته الجميلة .

كل تلك المواد الملغومة والمضللة ينبغى أن تثير فى نفوس المسلمين حتمية العمل والاجتهاد فى اقتحام هذا العالم الجديد وإغراقه بصفحات إلكترونية تقدم صوراً بطريقة عصرية لملايين المشتركين ممن يشعرون بفراغ روحى ويبحثون عن المعرفة والعقيدة السليمة .

الرقابة على الإنترنت:

الأمريكان غاضبون من رئيسهم وإدارته بسبب قانون الاتصالات الذى أقره الكونجرس عام ١٩٩٦م والذى يفرض «نوعًا» من الرقابة على مدخلات الإنترنت

وعلى بعض المواد الإعلامية الإباحية التى تسيء للأطفال ، والقانون المذكور يتضمن الرقابة على :

- المواد التى تعتبر «غير محتشمة» أو «ضارة بالأطفال» .
- المعلومات المتعلقة بـ «الأعمال الإرهابية» أو «المواد المتفجرة» .
- إغراء الأحداث جنسيًا عن طريق الكمبيوتر .
- بث صور أطفال إباحية عبر الإنترنت .

وقد اعتبره العديد من منظمات حقوق الإنسان الأمريكية تعديًا صارخًا على حرية التعبير والتفكير على الرغم من أنه حاول حماية فئة ضعيفة اجتماعيًا من أخطار الإباحية المطلقة فى المجتمع الأمريكى .

حوالى ٨٠٪ من مدخلات شبكة الإنترنت تتم فى الولايات المتحدة أو بواسطة شركات الإنترنت الأمريكية الخادمة (SERVER) ، ولذلك فإن خطر الإنترنت الأكبر يأتى من الولايات المتحدة وشركات الإنترنت الأمريكية .

كما تبدو المفارقة واضحة إذا ما علمنا أن فى الولايات المتحدة أكثر من ٢٠ ألف مكان أو محل لبيع المجلات والصور والأفلام الإباحية وهى فى متناول الكبار والأطفال على حد سواء .

والواقع أن مهمة القوانين الأمريكية والغربية المتعلقة بالإنترنت أو ببيع المجلات والصور الإباحية والمخدرات والخمور وغيرها هى «تقنين» استهلاك تلك المواد وليس حظرها وإلا فهى متاحة للجميع بطريق أو بآخر .

وتشير إحدى الدراسات الأمريكية إلى أن ٨٧٪ من المتهمين بالتحرش بالفتيات و٧٧٪ من المتهمين بالتحرش بالأولاد اعترفوا بأنهم استخدموا الصور الإباحية لإغواء ضحاياهم الصغار ، واعترفت دراسة أخرى بأن هؤلاء المتهمين استخدموا الإنترنت فى البحث عن ضحاياهم واصطيادهم .

إن مثل هذه الجرائم غريبة عن المجتمعات الإسلامية إلا أنه مع سرعة انتشار الإنترنت فى هذه المجتمعات ستزداد الجريمة والفاحشة إذا لم تسارع الحكومات المسلمة إلى ضبط ومراقبة المواد المقدمة عبر شبكات الإنترنت .

لقد تنبهت بعض الدول الأوربية إلى خطورة عدد كبير من مدخلات الإنترنت

فحاولت وتحاول فرض تشريعات لمراقبة ما تقدمه من مواد ، كألمانيا التى أدانت إحدى شركات الإنترنت العاملة فيها لأنها تسمح لمشتركيها بالدخول إلى مواقع إخبارية تحتوى على صور جنسية صريحة وعلى ألعاب فيها رموز وشعارات نازية ، كما أصدرت الحكومة الألمانية عام ١٩٩٦م قانونًا فيدراليًا لتنظيم شروط تقديم خدمات المعلومات والاتصالات .

وبضغط من الحكومة البريطانية وافقت شركات الإنترنت البريطانية على فرض رقابة ذاتية على الخدمات التى تقدمها لمشتركيها ، وكانت الحكومة البريطانية قد بعثت برسالة لتلك الشركات تطالبهم فيها بإلغاء ١٣٣ موقعًا إخباريا ، لاحتوائها على صور جنسية صريحة ، فاستجابت تلك الشركات لطلب الحكومة .

لكن القانون الأمريكى المذكور والإجراءات الأوربية ليست كافية لحماية مستخدمى الإنترنت ولا نتوقع من الإدارة الأمريكية والحكومات الغربية فرض مزيد من الرقابة على ما تقدمه الشبكات ؛ لأن مقاييس العيب وموازين الأخلاق عندها مختلفة تمامًا عن المقاييس الشرعية ، ولذلك يجب على الحكومات المسلمة التى تسمح بإدخال خدمات الإنترنت فرض رقابة محلية على المواد المقدمة للمشتركين غبر الشركات المحلية ، ومنع الدخول إلى المواقع غير المرغوبة وهى مسألة ممكنة ويعرفها المختصون بالإنترنت .

كما يمكن للمستهلكين العاديين فى منازلهم فرض رقابة على استخدام الإنترنت منعًا لسوء استغلالها من أطفالهم أو من أى متطفل وذلك بتركيب برامج معينة فى أجهزة الكمبيوتر المنزلية تسمى برامج «فلترة» مهتمها منع أى شخص من الدخول إلى المواقع التى لا يريد المشترك دخول أحد إليها ، وفى هذه البرامج يمكن تشفير الدخول على شبكة الإنترنت بوضع كلمات معينة ، فالذى يريد منع أحد من الدخول إلى الصفحات والمواقع التى تحتوى على صور إباحية مثلاً مثلاً يمكنه إعطاء برنامج الفلترة كلمة مثل (SEX) أو (PORNOG RAPHY) وبهذه الطريقة يتم منع مستخدم الإنترنت من الدخول إلى أى موقع يراد حظره ، وهى وسيلة فعالة لمن لا يمكنه الاستغناء عن خدمة الإنترنت ولا يريد من أحد إساءة استخدامها فى الوقت نفسه[1] .

---

(١) انظر : مجلة المجتمع العدد (١٢٨٧) - ١٣ شوال ٤١٨هـ - ١٠/ ٢/ ١٩٩٨م، ص٤٤، ٤٥ .

الصهيونية والدعاية والإعلام :

لا شك أن سيطرة الأصابع الصهيونية على وسائل الإعلام (الميديا) في العالم مسلمة لا تحتاج إلى برهان وبخاصة في البلاد الغربية، مثل: أمريكا وإنجلترا وغيرها من البلاد التي يتمتع فيها اليهود بثقل اجتماعي واقتصادي وسياسي، ومن ذلك ما قاله المنظِّر الصهيوني روتشيلد: (أما في موضوع الدعاية والإعلام فباستطاعتنا السيطرة على جميع وسائل الإعلام عن طريق استخدام ثرواتنا الضخمة، ونجعل رجالنا في الخفاء بعيدين عن الشبهات والشكوك مهما كانت عواقب الأكاذيب والإشاعات والفضائح التي ينشرونها بين صفوف الجماهير، وسنحوز بفضل امتلاكنا الصحافة على سلاح رهيب ولا يهمنا غلاء الثمن، فالسيطرة على هذا السلاح تقتضي خوض بحر من دماء الضحايا ودموعهم، ولقد ضحينا في كثير من الأحيان ببعض أفراد شعبنا ولكن الضحية الواحدة تعادل منا ألفًا من القويم)[١] .

هكذا تصور الصهاينة موقفهم من الإعلام ولقد فرغت الصهيونية من السيطرة على وسائل الإعلام منذ زمن طويل، وانظر كيف تدير الصحافة العالمية المواقف والأزمات الدولية؟ إنها توجِّه دفة الأمور في الاتجاه الذي يُفيد أهدافها فلقد ذكر الصهيوني روتشيلد أن الصحافة سيكون لها دورٌ في الفضائح المختلفة وهذا هو بيت القصيد ولعبة اليهود منذ القدم حيث كانت الفضائح الأمريكية التي تظهر على الساحة الصحفية وراءها أصابع صهيونية، وهدفها من الضغط هو دعم موقفها تارةً ، ودعم موقف الدولة الصهيونية تارةً أخرى، ولذلك فالخيوط كلها بأيديهم والكل يحاول تقديم فروض الولاء والطاعة لهم.

لقد حدد هؤلاء الأنذال طريقهم بوضوح وقالوا: (إن كل ما يجرؤ على التدخل في شؤوننا سنلحقه بالسناتور ديس والسناتور ماك آرثر والسناتور استلاند والكر والكونت برناوت والسناتور فورستال)[٢] .

أما في واقعنا العربي المعاصر فإننا لا نقول أن الصهيونية قد سيطرت على صحافتنا ووسائل إعلامنا؛ لأن الغالبية العظمى من وسائل إعلامنا وطنية مخلصة، ولكن بالنظر إلى ما تبثه من وسائل إعلامنا نجد أن بعضًا مما تبثه هذه الوسائل لا يتفق

---

(١) البند الثالث عشر لروتشيلد.

(٢) مؤامرة الصهيونية على العالم أحمد عبد الغفور عطار ص (٨٣)، دار العلم للملايين.

والعقيدة الإسلامية تمامًا؛ حيث نلاحظ أن هذه الوسائل تتعمد أن تقلد الغرب في معظم برامجه بغض النظر عن موافقة الفكرة والمضمون لتقاليدنا الإسلامية بل إن بعضًا من هذه الوسائل أخذت تلعب دوراً رخيصًا في سبيل جذب الشباب الممسوخ والمتاجرة بالبث الإعلامي الرخيص ؛ حيث استغلت دور السينما ، والقنوات الفضائية والمسرح الشهوة المتأججة في شبابنا المسلم، والتي نظرًا لظروفنا الاقتصادية الصعبة وصعوبة الزواج قد أخذت تبحث عمَّن يُشبعها، ولقد استغلت هذه المواخير نقاط الضعف المختلفة في شبابنا المسلم بالإضافة لعدم وجود التوجيه، والإرشاد الديني من الأسرة والمجتمع حيث ساهم كل ذلك في انصياع الشباب لدور السينما التي أصبحت تعرض أسوأ الأفلام وأحقرها وأحط المسرحيات وأردأ البرامج في القنوات الفضائية والغريب أنك تلاحظ أثناء تفحصك للأفلام السينمائية أن ٩٠ ٪ من معظم بطلاتها راقصات وأن الـ ١٠ ٪ الباقية كن راقصات ثم انتقلن إلى درجة أخرى من . . الفن؟! ولن أحدثك عن كون قيمنا التي نريد إيصالها إلى الشباب والتي يقدمها لهم وسيط ، هذا الوسيط هو الراقصات فيا ترى ماذا سيقدمن هؤلاء الراقصات لأبنائنا من قيم؟!

ومع كل الأدواء التي تفتك بأجسام الناس، كانت هناك أدواء أخرى تفتك بعقولهم، وتلوث كل الغذاء الثقافي الذي تتناوله الأجيال الناشئة فانتشرت الصور العارية في المجلات، من مجلة الهلال فنازلاً ـ أو فصاعدًا إن شئت ، لا أدري ـ تعرض الأوضاع المثيرة المغرية باسم الفن، فتارة هي من معرض رسام أو مثال، وتارة هي صورة لممثلة أو راقصة مما يسمى «نجوم» المسرح أو السينما في هذا البلد أو ذاك ، وتارة هي نموذج لما ابتدعه مصممو الأزياء الغربيون، وتارة هي صورة لمسابقة في جمال السيقان أو الصدور أو تناسق الأجسام أو ما يسمونه (مَلِكات) الجمال، وتارة هي إعلان عن قصة في إحدى دور الخيالة (السينما) أو لونٍ من ألوان البضائع ، إلى آخر هذه الأعذار والذرائع التي لا تنفد ولا تبلىَ . وتجاوز هذا الداء المجلات إلى أشرطة السينما ثم اقتحم المعاهد الحكومية فدخل مدرسة الفنون الجميلة. ولكنه لم يدخل هذه المرة في شكل صورة أو تمثال ، وإنما دخل جِسمًا حيًا ، فتاةً في مقتبل الشباب تقف عارية كما ولدتها أمها أمام شباب مراهق، جاء من أعماق الريف الخجول أو الصعيد المحافظ بعد أن أتم دراسته الثانوية ، فتميل يمنة ويسرة وإلى أمام وإلى خلف ، وتنبطح على بطنها أو ترقد على جنبها، ليتيسر لهذه الضحايا البريئة

من الشباب دراستُها في كل وضع، ثم تدفع الدولة لـهذه التعسة الشقية ثمن ما بذلته من حياتها وما استهلكته عيونُ الشباب المراهق من جسدها[١] .

هل يمكن أن يكون ذلك كله إلا صوراً متعددة لمكيدة واحدة تأتمر بالقيم الأخلاقية، وتستهدف تدمير كيان الشبان الذي يتكون منه الجيل القادم.

وصُرف الناس مع ذلك كله عن عظائم الأمور إلى الصغائر ، فكثر حديث الصحف والمجلات عن الممثلين والممثلات والمغنيات والراقصين والراقصات، واحتلت أخبارُهم وأخبارهن في أتفه ما يخطر على البال أبرز الأماكن في الصحف والمجلات، حتى كأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يخلق في الناس طبقة أشرف ولا أحق بالرعاية والتقدير من هؤلاء وخصصت كثير من المجلات أبوابًا ثابتة في أخبار المجتمع الذي كان يسمى «راقيًا» وقتذاك، وهي أخبار لا تخرج عن الأزياء والسهرات ، وثرثرة الفارغين والفارغات .

وأخذت المجلات تعرض المذاهب التي استحدثها مرضى النفوس والهدامون من الغربيين في صور جذابة تستهوي الشباب، أو هي تعرض على الأقل دون تعليق ، من مثل ما كتبته مجلة «الهلال» عن «مذهب العري ونشأته [٢] » . إذ عرضت مذهب العراة عرضًا مغريًا يصور مجتمعهم السعيد، وما يحقق من مزايا صحية وخلقية (؟!). وختمت مقالها الطويل في ذلك بقوله: «هذه خلاصة موجزة لحالة جماعات العري في أوربا في هذا العصر. ومع أن أنصار هذه الجماعات آخذون في الازدياد، فإننا لا نزال نعتقد أن في هذه البدعة خطراً كبيراً على الآداب). وقد كانت هذه الكلمات الثلاث الأخيرة هي كل ما قالته المجلة في استهجان هذا الفسق الهدام الصريح، الذي يرد الإنسانية إلى الهمجية الأولى وإلى أحط الدركات.

---

(١) وليس أدل علي صحة ذلك من أن كلية الفنون كانت تدفع أجرًا للمرأة الكاسية أقل من الأجر الذي تدفعه للمرأة العارية. فهل يكون الفرق بين الأجرين إلا «بدل حياء» ، على وزن «بدل سفر» و«بدل خطر» في لغة الموظفين!.. وكان ذلك كله يجري باسم الفن. ويزعم أصحابه أن هذه المشاهد لا تثير شهوة الفنان الجنسية. ولو صح ذلك لكان على الفنانين أن يادروا باستشارة الطبيب.

(٢) الهلال، عدد يونية ١٩٣١ ـ المحرم ـ ١٣٥٠ ، ص ١١٦٢ ـ ١١٦٥ .

وأخذ بعض المجلات يعرض مذاهب عجيبة من فنون الجنون الأمريكي باسم التربية الحديثة ، أو باسم علم النفس، مثل مقال أمير بُقطُر عن (الجيل المصري المقبل ـ تكوينه من ناحيتي الأخلاق والشخصية)(١) ، حيث ينقل الكاتب طائفة من الأساليب التي يزعم أنها تطبق بنجاح في المدارس الأوربية والأمريكية ، مطالبًا بتطبيقها في مدارسنا. ويعرض في مقاله نماذج من الأسئلة التي يجب ـ لتكوين الرجولة والشخصية ـ أن يناقشها الطلبة في قاعة الدرس مناقشة تسود فيها الحرية التامة وعدم التحيز. وهذا هو مثال من بعض هذ الأسئلة ، أنقلها بنصها:

ما الفرق بين الخطأ والصواب؟

هل في طاقة الشباب أن يعيش عيشة طاهرة، أم هذه المعيشة لا وجود لها إلا في عالم الخيال؟

هل من الصواب أن يسمح للطالب بالتدخين؟ وإذا كان الجواب سلبًا فلم يدخن المعلمون وأولو الأمر؟

وهل يجوز التدخين للطالبة أيضًا ؟

هل الرقص مرغوب فيه ؟

متي يجوز للشاب أن يثور على العادات والتقاليد؟ ومتى لا يجوز؟

ما الفائدة من الدعاء لله أن ينزل الغيث (المطر) ، في فترات الجفاف، طالما نحن نعلم أن المطر خاضع لقوانين طبيعية جوية هيهات أن يعمل الخالق على كسرها ؟

إذا تعارض الدين مع العلم فأيهما نصدق ؟

ويستطيع الناظر في هذه الأسئلة أن يدرك بسهولة أن كل سؤال منها يهدم ركنًا من أركان الدين والخلق. فكلها تدور حول هدم توقير النشء للدين وللتقاليد من ناحية، وهدم توقير الصغير للكبير من ناحية أخرى، بما يفكك المجتمع ويقضي على كل جهد مثمر للتربية الصحيحة ، التي تقوم على ثقة الصغير في صحة ما يلقى إليه من آراء مَنْ هم أكثر منه تجربة، حتى يبلغ من النضج ما يسمح له بالاستقلال في

---

(١) الهلال، عدد فبراير ١٩٣٨ ـ ذو الحجة ١٣٥٦ .

مناقشة الأمور. على أن الأسئلة كلها فوق مستوى الطالب العقلي. وهي على كل حال ليست مما يوجَّه لكل إنسان، في أي سنٍّ كان. فالأديان تدعو الناس كلهم إلى الانقياد لها، لأن الكثرة الكبيرة في المجتمعات ـ كلِّ المجتمعات ، إنسانيةً كانت أو حيوانية ـ تتكون من المقلدِّين ، أما القادة فهم قلة ضئيلة وهذه القلة القليلة من القادة هم الذين تمكنهم مواهبهم من مناقشة دقائق الحكمَ وجلائل الأسرار، دون تعرض للزلل. فليس كل الناس صالحين للاجتهاد في الشرع، كما أنه ليس كل الذين يتعلمون الطبيعة أو الكيمياء أو الميكانيكا يُطلبَ إليهم أن يبتكروا فيها ، أو أن يناقشوا أصحاب النظريات في مذاهبهم .

وانحرف الشعر والأدب، فأصبح اسم (الرومانسية) أو (الرمزية) مظهراً من مظاهر الأنانية والانطواء على النفس ، الذي يورث الهمَّ القاتل لكل همة حينا، أو العكوف على الشهوات الصارفة عن كل خير حينًا آخر. وأصبح في معظمه تعبيراً عن أمراض النفوس وانعكاس المعايير والتنفيس عن الشهوات. وشاع في شباب الكتاب وفي بعض شيوخهم موجةٌ من النقد تهاجم الشعراء الذين يهتمون بالمجتمع وتتناولهم بالتحقير، وتخرجهم من زمرة الشعراء والأدباء، حين تصفهم ـ على سبيل الاستهزاء ـ بأنهم شعراء مناسبات، وبأن ما يكتبونه ليس أدبًا، ولكنه وعظ وإرشاد . وكأنه قد أصبح من شروط الأدب أن تخرج موضوعاته عن حدود الأدب وأن يلتزم التعبير عن جوعه إلى الشهوات[1] .

الأدب الإباحي باعتباره لغة السينما:

وقد كانت القصة هي أبرز ما استُحدث من فنون الأدب بعد الحرب العالمية الأولى. ولم تلبث أن طغت على سائر فنون الأدب، حتى أخملت الشعر أو كادت. ورَحبَّت بها الصحف على اختلاف ألوانها، وجعلها الكثير منها بابًا من أبوابها الثابتة، استجابة لرغبات جمهور القراء الذين أقبلوا عليها إقبالاً شديدًا. وساعد على رواجها نهضة المسرح في صدر هذه الفترة ، ثم ظهور الخيَالة (السينما) وتقدم صناعتها في

(١) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د/ محمد حسين، ٢ / ٣٤٩ ـ ٣٥٤، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٣م.

مصر، بعد أن لقي إنتاجها رواجًا في سائر البلاد العربية. وكان مما أعان على هذا الرواج سهولة تذوق القصة، إذ إن فهمها أو الاستمتاع بها لا يحتاج لإعداد خاص أو ثقافة طويلة كما هو الشان في سائر الفنون الأدبية ، والشعرُ منها خاصة . وهي مع ذلك أكثر ملائمة للشباب، لأنها أقدر على توفير الأجواء الحالمة التي تلائم سن المراهقة خاصة، مما يجعلها أقوى الفنون الأدبية تأثيرًا عليه، وأخطرَها في توجيه. وقد زاد في خطورتها سهولة تناولها وصعوبة التمييز بين الجيد منها والرديء على غير العارفين من العلماء والناضجي التفكير . فما أسهل أن يملأ الكاتب - أي كاتب - صفحات وصفحات وكتبًا، بقال وقالت، وبحكايات ملفَّقة مما يستطيعه المثقفون وغير المثقفين ، لا سيما بعد أن هجر الناس اللغة الفصيحة التي لا يستطيعها إلا المثقفون ، إلى لغة الأسواق التي لا يتميز فيها عالمٌ من جاهل . لذلك ، ولِمَا لمؤلف القصة من حرية واسعة في تصريف أحداثها ورسم أشخاصها أصبحت من أخطر الأدوات تأثيرًا في المجتمع، وتجرأ على كتابتها القادرون عليها وغيرُ القادرين، والناضجون من أصحاب المواهب والتافهون من الأغرار الجهال. واندس بين هؤلاء كثير من مرضى النفوس ومن ذوي الأهواء، وممن ينقلون - حين يترجمون - أسوأ ما قرءوا من قصص الغرب الرخيصة المبتذلة ، ولا يتكلفون حين يؤلفون أكثر من تغيير الأسماء. وبذلك أصبحت القصة معرضًا للنماذج المنحرفة الشاذة، المثيرة لأحط الغرائز ، وتعبيرًا عن أمراض النفوس وانتكاس المعايير، وتنفيسًا عن الشهوات ، تقدَّم باسم الواقعية تارة، وباسم التحليل النفسي تارة أخرى، حتى أصبح فن القصة أشدَّ خطورةً من الكوكايين والحشيش والأفيون، وصارمن أبشع وسائل الإفساد والإغواء والهدم، بعد أن انتقل ميدانه إلى الخيالة (السينما) .

وقد تنبه إلى خطر هذا الانحراف بعضُ الكتاب ، فأخذوا يلْفِتون إليه الأنظار. فمن ذلك مقال[1] لمحمد توفيق دياب عنوانه «الأب الماجن مفْسدة للناشئين» يقول فيه:

«ألا تدري ماذا أريد بالأدب الماجن يا سيدي القارئ ؟ تلك الرواية التي يكتبها

(١) السياسة الأسبوعية ٢٣ إبريل ١٩٢٧ م.

الكاتب ويمثلها الممثل فيقرؤها ألوف ويشهد تمثيلها ألوف، وتدور كل حوادثها حول محور واحد هو الصلة بين الرجل والمرأة، ولكن أية صلة؟ أبعَدُ الصلات عن الشرف وعن العفاف وعن احترام الحرمات التي لولاها ما كانت الإنسانية جديرة باسمها. وأي رجل وأي امرأة ؟ رجلٌ كل همه أن يخدع زوجة أو عذراء عن كرامتها وعن موضع التقديس من عصمتها، فيفلح في أكثر الأحيان أو في كل حين، وامرأةٌ مائعة الخلق همها في دنياها أن تلهو بالرجال وتنقاد لكل إنسان سوي حليلها الذي اصطلحت الآداب ـ دع عنك الأديان إن شئت ـ على أنه الرجل الفذ الذى جُعلت له وجُعل لها، وقصةٌ طويلة في مجلد أو اثنين كأن كاتبها ليس يرى في حوادث الكون، ولا يستوقفه من شئونه الطويلة العريضة ، سوى تصوير أمور يصعد لها الدم في وجنات البنات ووجوه البنين حياءً وخجلاً. وقل أن ينتهي حادث من أحداث هذا الغرام الملطخ والهوى المسموم إلى زواج أو شَمَمٍ وإباء، بل هي الهاوية أبدًا وهو الإسفاف كل الإسفاف . على أنها هاوية يزينها الكاتب برضوب من الأزاهير ، ويؤثثها بكل وثير ناعم من دواعي الشهوة والمتاع البهيمي الدنيء» .

«هذا النوع من آثار بعض الكتاب هو ما نسميه بالأدب الماجن ، وإنما نتجوز فنسميه أدبًا لأنه كثيراً ما يُعزى إلى كتاب حاذقين ، بعضهم من أئمة البيان. فهم أدباء من حيثُ انتسابُهم إلى صناعة الكتابة ، لا من حيث اتصافهم بمكارم الأخلاق، وأكثر ما تكون هذه النزعة الشهوية في طائفة من كتاب الأمم اللاتينية ، ولقد يعتذرون أحيانًا بأن هذه الصور التي يرسمونها في تصانيفهم مأخوذة عن واقع الحياة، ففيم الخجل إذن من صور مصدرها الحياة؟ وهم في ذلك سفسطائيون ممارون يحاولون أن يقنعوا الناس بأن كل ما هو أشْوه ممقوت في الأخلاق والطبائع يباح تكبيره والإضافة فيه والإغراء به، لا محاربته واستنكاره، لتُنَمَّى الصفاتُ الأخرى التي تشلها تلك الآفات . وقد يجيبون عن هذا الاعتراض بأن استنكارهم لتلك السيئات ينطوي في ثنايا ما يكتبون ، ولكن الواقع غير ما يزعمون . فهم حين تجري أقلامهم بوصف الشهوات وتفاعلها جذبًا ودفعًا ، وأخذًا وردًا، ووصلاً وقطعًا، تجري بكل مثير للأهواء دافع إلى الاستهانة بكل حرمة وكل ضابط من ضوابط النفوس. فهم إذن دُعاةٌ إلى الفوضى الخلقية مهما اعتذروا ومهما تماروا أو ظهروا في مظهر المصلحين».

«ونحن لم نكن لـنُعنَى بهذا الصنف من الأدب اللاتيـني لولا أن عدواه قد سرت سريانًا حثيثًا في آدابنا الحديثـة تقليداً أو تغريبًـا ، فأصبحنا في كل يـوم تتقاذف إلى أيدينا عشراتٌ من القصص القصيرة والطويلة والـروايات التمثيلية والنكات الفكاهية ، وكلها مـجاراة ومباراة لتلـك الظاهرة الفاضـحة. وأشنع ما في الأمـر أن تلك الروح المهتكة قد تسربت إلى مجلات وصحـف يجب أن تتعالى عن كل سَفْساف وعن كل مُوبِقة. . ولعل إقبال جـمهور القراء على هذه الحلوى التي تحمل فـي طواياها العفونة والفساد ، ولعل هذا العامل التجاري، مما يدفع أولئك المصريين والكتاب إلى استغلال الشهوات الدنيا واتخاذها مُكْتسبًا ومرتزقًا.

ويتكلم مـحمد توفيق دياب في هـذا المقال عن خطورة هذا الأدب علـى الشباب والناشئة، فيقول:

«وقد يعبس الفتـى أو الفتاة حينًا إذا قرأ أو قرأت مجونًا جريـئًا عريانا. ولكن إذا ألفت العينُ والنفس أمرًا كان مبعثًا للحياء أمس ، فقد لا تلبث العين والنفس أن تنزعا إلَيه وتطلباه . فإذا فقدت النفس نفورهـا من قراءة المخازي وتصور معانيها فقد هانت عليها المرحلة التالية ، وهي التلبس بهذه المعايب سلوكًا وعملاً. . . وإذن فعلى الصَّون والعفاف ألفُ عفاء . عليهما ألف عفاء في كثير من الشباب ذكوراً وإناثًا، إذا لم تقف أقلام المعرِّبين والكتاب »[1] .

وإلى هذه القصص الماجنة أشار الغمراوي في نقده لطه حسين حين قال[2]:

«خذ إليك مثلاً تلك القصص الفرنسـية التي يترجمها صاحب الكتاب[3] مـن آن لآن، يُلهِي بها كثيراً من النشء ويُضِل بـها كثيراً. هل ترى بينها وبين روح هذه الأمة صلة؟ أو بينها وبـين روح هذه اللغة صلة؟ وإذا لم يكن ، فهل فـيها شيء يجدد من عناصر الفضيلة والطهارة الروحية في هذه الأمـة، ويعينها على سبيل العزة التي تريد؟ إنا لا نظن أحدًا دخل تل الـقصص وخرج منها وهو أقرب إلى الفضيـلة والعفاف منه قبل بدئها. وهذا أهون مـا يمكن أن يقال عنها. ولو كنا ضاربين مثلاً لـضربنا (الزنبقة

---

(١) وراجع كذلك في هذا المعـنى مقال «الحب والزواج » للمنفلـوطي في النظرات ١ / ١٧٤ ـ ١٧٨ .

(٢) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٣) يقصد طه حسين.

الحمراء) التي ألفها أناتول فرانس ولخصها صاحب الكتاب لمجلة الهلال، فإن فيها من المعاني ما كنا نظن أن أستاذًا لا يستحي أن ينقله للناس، أو أن مجلة مثل الهلال لا تتنزه عن نشره عليهم. ولكنا نأبى أن نشير بأكثر من هذا إلى تلك القصص عامة وإلى هذه القصة خاصة، وإلا كنا شركاء في إثم النشر وإثم التلخيص».

ثم انتقل الغمراوي إلى الأدب الماجن عامة فقال:

«فإذا ما تركنا ميدان المنقول عن الأدب الفرنسي إلى المكتوب في الأدب العربي، وجدنا صاحب الكتاب يخُب في الميادين خببًا واحدًا، ويصدر عن نزعة واحدة. فقد فتش في طول الأدب العربي وعرضه. فلم يجد فيه ما يستحق أن يُبعث وينشر إلا أخبار المجونيِّين الذين ابتُلي بهم الأدب العربي، كما ابتلي الأدب الإفرنجي بأمثال أوسكار وايلد، نعني أبا نواس ووالبة والخليع ومن إليهم ممن نبش صاحبُ الكتاب أخبارهم في حديث الأربعاء، الذي نشره في السياسة مفرقًا، وأهداه إلى الأستاذ مدير الجامعة مجموعا، ومن الغريب أن تلك الأخبار الآجنة والأشعار الماجنة قد عرضها صاحب الكتاب في ثوب البحث الأدبي باسم التجديد، كأن البحث والتجديد في الأدب ستارٌ تحارب الفضيلة من ورائه، ووسيلة في هذا الشرق للدخول على النفوس بما لم يكن لولا تلك الوسيلةُ بداخلٍ عليها».

والواقع أن الأدب، شعره ونثره، كانت تجتاحه في ذلك الوقت - ولا تزال - موجةٌ من الانحلال، التي لا تعدم أنصارًا من كبار الأساتذة الجامعيين، يدافعون عنها باسم الدفاع عن حرية الفن والفنانين، وهذا هو طه حسين يدافع عن الأدب الهدام الذي يتحدى العرف والقانون والخلق والدين فيقول:

«فالأدباء عندنا ليسوا أحرارًا، لا بالقياس إلى الدولة ولا بالقياس إلى القراء. وما أكثر النبوغ الذي يضيع ويذهب هدرًا ؛ لأنه يكظم نفسه، ويُكرهها على الإعراض عن الإنتاج خوفًا من الدولة أو خوفًا من القراء. فليس كل موضوع يَعرِض للأديب عندنا تسيغه القوانين ويحتمله النظام ويرضى عنه ذوق الجمهور».

ثم يقول:

«ما أكثر ما يعاب أدباؤنا لأنهم لا يُعنون إلا بظواهر النفوس، ولا يصورون دخائلها، ولا يتعمقون ظواهرها، ولا يرسمون شيئًا من ذلك فيما ينتجون. ولكن دعهم يفعلوا ما يلامون على إهماله، ودعهم يُظهروا النفس الإنسانية العارية كما

يفعل زملائهم الأوربيون، وثق بأنهم قادرون على ذلك، خليقون أن يبرعوا فيه ويبهروا به إن حاولوه . دعهم يفعلوا ذلك، ثم انتظر ما يَصُب عليهم الجمهور ورجال الدين وإدارة الأمن العام والنيابة من المكروه. يجب أن يحرر الأدب والأدباء، وأن يتاح لهم القولُ في كل ما يشعرون به ويجدون الحاجة إلى القول فيه . ويجب أن تكون قوانيننا سمحة، وأن يكون تطبيقها سمحًا، وأن يكون ذوق الجمهور عندنا سمحًا كذلك » [(١)] .

أدب نجيب محفوظ والدعوة إلى الإباحية كمثال:

فلسف نجيب محفوظ المسائل فجعل ممارسة الجنس مشروعة بحكم الطبيعة البشرية، حتى ولو لم تكن شرعية، فالمرأة يمكن أن تكون متزوجة، وتمارسه مع غير زوجها، والكاتب يعطيها هذا الحق، بل يقدمه على حق ممارسته مع الزوج الشرعي، لأن الزوج الشرعي قد يكون (برجوازيًا) وتكون هي (عصرية) ، كما بينا الكاتب على لسان خالد عزوز .

إنه باسم العصرية يحل حرام ، ويحرم حلالاً .

الشيء نفسه كرره ففي رواية (الحب تحت المطر) فمنى زهران المعروفة بأخلاقياتها (هذا لفظ الكاتب) وهي لم تمارس الجنس إلا بدافع من الحب، ولم تضطر مثلهما (عليات وسنية) إلى ممارسته في أحيان كثيرة لاقتناء ما يحتاجان إليه من ملابس، وأدوات زينة.

وفي حالتي ليلى زيدان، ومنى زهران، من وجهة نظرهما ، أو وجهة نظر الراوي نفسه يكمن لغز محير كما كان آذان عم عبده للفجر ساعة أن نطقت ليلى زيدان بذلك لغزا أيضًا.

قال الراوي: «وصاح ليلتها أن الآذان أيسر على الفهم من تلك الألغاز».

والكاتب يعمد إلى توظيف كل خبائثه ضد الدين.

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر، الفقرة ٥٤ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(١) انظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د / محمد حسين ٢ / ٣٥٥ ـ ٣٥٩ ، مؤسسة الرسالة ط ٦، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م.

وإذا كان في الجنس تكمن جرثومة الحياة، فإن المؤلف لا يخفي عليه أن يوظف ذلك لصالح عقيدته في النشوء والارتقاء. ولأنه أباح الثرثرة فنطق فقال:

«وذات مرة تساقط الغبار على سطح الأرض فنشأت الحياة».

وهذا الكلام يوافق مذهبه الطبيعي في الخلق والجنس معًا.

«ثم كانت المادة الطحلبية ذات الخلية الواحدة التي تتضمن جميع هذه الأعاجيب».

فالطبيعي أوجد ذاته من الغبار المتساقط على سطح الأرض، فنشأت الخلية الواحدة، التي كان منها كل هذه المخلوقات ، التي انبثقت من الأرض أمهم جميعًا.

وهذا التفكير ضد الدين ، لأن الله خلق آدم من طين، ثم خلق سلالته من ماء مهين. قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٨].

ولكن الكاتب صاحب المقدرة الفائقة على الاحتيال على الحقائق ، يتجاهل الأصل الديني الوارد في القرآن في مسألة الخلق، فلا يضعها في مواجهة مقولته ، حتى لا تكشف الحقيقة الجوهرية التي تمحق احتيالاته.

والكاتب لا يكتفي بنشر دعوته ، ولكنه يسخر من شريعة المسلمين، ويطلق عليها أنها شعار ؛ لتتساوي بذلك مع كل الشعارات، وفي كل الصور التي أتي بها الكاتب في (رحلة ابن فطومة) يزعم فيها مزاعمه التالية:

١ ـ أن الجنس ما هو إلا استجابات لحاجة حيوية في الجسم ، توافقها استجابة أخرى من طرف آخر يحس بحاجة حيوية مماثلة، وبنفس المشاعر. (ص: ٤٠ ـ ٤١).

٢ ـ يري الكاتب ضرورة القضاء على الموانع التي تقف في سبيل تنفيذ هذه الرغبات واستجاباتها، أو إعاقتها، سواء كان المعيق دينيا أو اجتماعيًا أو أبويًا، وما دامت هذه الاستجابات الجنسية في طريقها للتحقيق فهو يدعو للعري التام، كما هو الحال في نوادي العراة التي ينظمها الصهيونية الدولية، قالت عروسه لقنديل:

« ـ لكن لماذا تغطي وسطك بهذه الوزرة؟ وراحت تنزعها بازدراء» ص ٤٢)

العري الظاهرة واجب عند الكاتب كالعري الباطني.

٣ ـ إن داعي الاستجابة الجنسية، هو الحاجة الحيوية فقط بلا قيود شرعية أو

اجتماعية دليل ذلك أن قنديل بعدما قضى ليلته الأولى مع عروسه سأل أباها : «هل آتي غدا؟

فقال أبوها دون مبالاة :

هذا شأنها وشأنك ». (ص ٤٣).

ويلاحظ أنه ذكر شأنها قبل شأنه، فهي الممكنة له، والطالبة لا المطلوبة ولا تنتهي الصورة عند هذا الحد، ولكن يتدخل الراوي فيقول:

«هذه العلاقة تمارس هنا بلا قيود، ما إن تعجب فتاة بفتى حتى تدعوه على مرأى ومسمع من أهلها، وتنبذه إذا انصرفت عنه، محتفظة بالذرية التي تنسب إليها» (ص ٤٣) والكاتب يضيف شيئًا جديدًا، وهو نسب الذرية إلى الأم، وهي مسألة عقدية عند اليهود وكأنها مجاملة من الكاتب لليهودية.

٤ ـ ويتدخل الكاتب ليوازن بين الاستجابات الجنسية بلا قيود، كما تصورها، وعلاقة المرأة بالرجل بمقتضاها . والزواج الشرعي في الإسلام، ويتعصب الكاتب بلا تردد لتصوره الوثني الأعمى، بقوله: «نصف المصائب في البلدان ، إن لم يكن كلها من القيود المكبلة للشهوة» ويرد على لسان بطله المسلم معترفًا: «في دارنا (دار الإسلام) يأمر الله بغير ذلك، فيرد عليه: إن الزواج الإسلامي كثيراً ما يتمخض عنه مآسي مؤسفة والناجح منه يستمر بفضل الصبر» أي ليس عن قناعة أو لفضل فيه. هكذا يماري الكاتب. ص (٤٧).

٥ ـ إن فلسفة الكاتب في ذلك مستمدة من فلسفته في الحياة نفسها، وهي أنه لا يؤمن إلا بالحياة التي يعيشها الإنسان على الأرض، فما بعدها إلا تحلل الجسم إلى رماد، من قوله: «إلهنا لا يتدخل في شئوننا ، إنه يقول لنا كلمة واحدة: وهي أنه لا شيء يدوم في الحياة، وإنها إلى محاق تسير. بذلك أشار إلى الطريق في صمت أن نجعل من حياتنا لعبًا ورضا» ص (٤٥).

٦ ـ ولذا يماري الكاتب ويقول: إذا كان المسلمون يتزوجون على شريعة الإسلام يفعلون ذلك حرصًا على المحافظة على النسب والأخوة النسبية وغير ذلك. فإنما تلك الأخوة بزعمه ، أخوة مزعومة، ولا قيمة ترجى من ورائها، وأنها أشبه بالشعارات الزائفة، وإذا قيل له: إنها من الدين وليست من الشعارات، ادعى أن ما في الوثنية أفضل لأنه أقرب إلى الفضيلة ، واستجاباتها الحيوية . ص (٤٧).

٧ ـ كما أراد الكاتب أن يؤكد أن العلاقات الجنسية مجرد حاجة حيوانية للبدن، مقدمة على داعي الزواج والإنسال ونحوه ، ومن ثم فقد جعل قنديل يتقدم للزاج من عروسة ، بعد أن مارس معها الجنس مرات عديدة ، ووجد كل منهما في الآخر ما يوافق استجاباته الحيوانية، ولكن أباها رأى أن الرأى لها وحدها بحسب استجابة غرائزها، وهذا يخالف أصل الولاية في الزواج في الإسلام الذي يسخر منه الكاتب، فلما عرض الأمر عليها وافقت ، على ألا يقف الزواج في سبيل رغبتها في تركه متى أرادت، وهذا يخالف أصلاً ثانيًا ثابتًا في أركان الزواج، وهو أن يكون على التأبيد وقت الشروع فيه (ص ٤٨).

٨ ـ كذلك يرى الكاتب أن العلاقات الجنسية، ولو كانت بين زوجين عابرة، أو يجب أن تكون كذلك، عبر عنها في الحوار التالي:

قال أبوها الوثني:

«كل علاقة عابرة».

فقال قنديل المسلم:

تمنيت أن تكون دائمة.

ثم يرضخ المسلم لإرادة الوثني » (ص ٥٢).

٩ ـ يظهر الكاتب من عروضه لهذه الأفكار في الرواية أنه ليس مع مجتمعه الذي يدين بالإسلام ويحدد العلاقات فيه بين الناس طبقًا لشريعته، ثم ما دام يخلص لأفكار غريبة عن أرضه فلماذا لا يذهب ليعيش في تلك المجتمعات التي تدين بهذه الأفكار ، ويكون شجاعًا.

١٠ ـ الكاتب هنا متأثر بنظرة اليهود للجنس ـ هو عندهم عبادة بلا قيود هكذا يقولون . التسمية إذن يهودية، صورها محفوظ نقلاً عنهم، كما صورت في أكثر الأفلام اليهودية شهرة (نحو عبادة بلا قيود) «فالعبادة بهذا المفهوم في هذا الفيلم تمارس علنا، تبدو الشخصيات فيها لا هدف لها إلا اللذة الوقتية».

الصور نفسها صورها محفوظ بعد ظهور هذا الفيلم بعد حرب سنة ١٩٧٣م في رحلة ابن فطومة التي صدرت في سنة ١٩٨٢م.

«لا نعرف خلودًا ولا جنة» (ص ٣٤).

فلا غاية لهم إلا عبادة الجنس ، كالرواية الصهيونية تمامًا.

يقول محفوظ على لسان الشخصية (الوثنية):

«ها هو الإله القمر يتجلى بجماله وجلاله، يحضر في ميعاده ، لا يتخلى عن عباده، فنعم الإله ، ونعيما للعباد.

إنه يقول لنا في دورته: إن الحياة لا تعرف الدوام، وأنها نحو المحاق تسير، ولكنها طيبة للطيب، وبسمة للباسم، فلا تبدد ثروتها في الحماقة.

افرحوا والعبوا ، وانتصروا على الوساوس بالرضا:

وفي الحال ترامت دقات طبول فاهتزت الخواصر راقصة، ولبت نداءها الأثداء والأرداف، وتمادت الحركة منتشرة مترامية تحت ضوء القمر. رقصت الأرض وباركها البدر، واختلط العناق بالرقص، واندمج الجميع في غرام شامل تحت ضوء القمر» (ص ٣٨).

١١ ـ ولا ينسى الكاتب كعادته أن يضع أفكاره ضد الدين، فيقول على لسان البطل ـ وكان مسلمًا: «أخذت أفكر في المحن التي تتربص بإيماني ، وأتذكر تربيتي الدينية والعقلية على يد الشيخ مغاغة الجبلي» (ص ٣٨).

أخذ من اليهود عبادتهم، ونسي أنهم استغلوا كبواتهم التاريخية في سبيل نهوض آخر على جماجم العرب . أما الكاتب فيرثي لحال المسلمين ويقف أيضًا على جماجمهم وهو يصور الاتصال الجنسي الوحيد، الذي أخذ عن (عبادة بلا قيود اليهودية) بين الذكور والإناث ، ولأنه لا زواج غير هذا الزواج عند هؤلاء، فهو عين عينه في اعتقاد الكاتب النجيب.

١٢ ـ فإذا نشأ عن هذه العلاقة أبناء، فهم أبناء الأم لا الأب، وهذه مخالفة أخرى ضد الإسلام ـ يقول تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥].

ثم إن الكاتب أشار إلى شيء غريب ، وهو أن (قنديل) أنجب أربعة أبناء في فترة قصيرة ، ولهذا فقد اشتهرت علاقته بعروسة بالشذوذ . وهنا يطرح تساؤل: هل يريد الكاتب أن يقول: إنه ليس من الضروري أن يكون نتاج العلاقة الزوجية أبناء؟ ربما وهذا مخالف لتشريع الإسلام الذي يجعل أهم مقصود الزواج الإنسال. أم إنه أراد أن

يقول: إن الفحولة الجنسية هي الميزة الوحيدة للمسلمين، ولاميزة لهم غيرها؟ ربما . فإذا كان هذا مماراة من الكاتب فليعلم أن الفحولة البدنية لا تناقض الفحولة العقلية؛ «لأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» بل القوتان متلازمتان العقل السليم في الجسم السليم. أما هذا التعقيم الذي يدعو له الكاتب ، فما هو إلا استجابة لغربة صهيونية صليبية للقضاء نهائيًا على عز الإسلام ، وقيمه وخصوبته، وإحلال العقم الصليبي الصهيوني مكانه . وإنسال مخلوقات صناعية من طراز واحد طراز مشوه غير قادر على الابتكار. مشوه العقل والخلق مضطرب الأعصاب متبلد الشعور.

١٣ ـ ولا نجد في أمة من الأمم كاتبًا يحقر أمته ، ولكن الكاتب شاء أن يكونه في رواية (رحلة ابن فطومة) عندما تركته عروسة ، ومضى هو يواصل رحلته بحثًا عن العالم الأفضل، فكان كلما رأى سيئة قال بحزن: «ما من سيئة عثرت بها في رحلتي إلا وذكرتني ببلادي الحزينة» فلم تعد بلاد الإسلام بزعمه بلد الفضيلة ، ولم يعد المسلمون خير أمة أخرجت للناس .

١٤ ـ ولذلك فالكاتب وهو في رحلته في دار الحلبة ينادي بدين جديد، يأخذ من كل الأديان ، ويجعل لكل أهل دين حق ممارسته بحرية كاملة (ص ١٠٠ ، ١٠١)، أليس هذا التصور هو مجمع الأديان الذي تخيله أحد الزعماء في الوادي المقدس طوى حيث يستقر فيه: المسجد بجانب الكنيسة بجانب المعبد اليهودي، وهي دعوة تباركها الصهيونية والماسونية والبهائية، وكل يريد قتل الدين في قلوب المتدينين.

١٥ ـ ويدعو الكاتب إلى عري الجسد للمرأة، وأن تمارس حياتها الجنسية وغير الجنسية بتلقائية ، كما يفعل الرجال ، سواء بسواء (ص ١٠١) ولكن بالله كيف يُتصور أن تكون المرأة والرجل سواء «وإن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية، ومن وجود الرحم والحمل، أو من طريقة التعليم إذ إنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك. إنها تنشأ من تكون الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض، ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليمًا واحدًا، وأن يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة.

والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافًا كبيرًا عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها

تحمل طابع جنسها، والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي ، فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للتغير شأنها شأن العالم الكوكبي، فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها، ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعًا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فإن دورهن في تقدم الحضارة في التربية ، أسمى من دور الرجال فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة.

ومع هذا فإن الكاتب يرى أن دور المرأة هو نفسه دور الرجل سواء بسواء، فيقول:

وسألتني سامية عن الحياة في دار الإسلام ، وعن دور المرأة فيها، ولما وقفت على واقعها انتقدته بشدة، وراحت تعقد المقارنات بينه وبين المرأة في عهد الرسول ، والدور الذي لعبته وقالت:

الإسلام يزوى على أيديكم وأنتم تنتظرون. (ص ١٠٠ ، ١٠١).

ذلك لأن الكاتب يريد إسلامًا يقبله سادة التبشير والتزييف الديني لا الإسلام الذي ورد في الكتاب والسنة.

والكاتب يتدخل وينتقد حياة المسلمين المعاصرين على لسان الشخصيات التي تنتقص من قدرهم، ثم بخداع كبير يحاول أن يصور لهم البديل من مجتمع الغرب. والكاتب يلجأ إلى كل وسائل التضليل، فبعد أن يستخدم كل معاول الهدم للمجتمع الإسلامي يبرر فعله بقوله: «الإسلام يزوى على أيديكم وأنتم تنتظرون».

ويردف بقوله: إن ما يدهشني حقًا أن إيمان هؤلاء الناس (الذين رآهم في غير دار الإسلام) صادق وأمين. (ص ١٠٠ ، ١٠١).

ويقارن الكاتب بين مجتمعهم الذي يجمع بين كل الأديان، ومجتمعه المسلم وينتصر للمجتمع غير المسلم.

١٦ ـ أما ثمار العلاقات الجنسية من الأبناء، فالكاتب يري تربيتهم في حدائق للأطفال على أيدي مربين ومربيات، نيابة عن الأمهات المنهمكات في العمل، فإذا قوبل بأنه لا عوض في تربية الأطفال. عن حنان الأبوين، يرد بهدوء ساخراً من قيم التربية في الإسلام.

«حكم وأمثال لم يعد لها معنى في دار الأمان» (ص ١١٣)، وهي الدار التي يقترحها الكاتب بديلاً عن دار الإسلام.

والكاتب هنا يريد إحلال النظم التربوية الشيوعية، كما طرحها ماركس وإنجلز في المنشور الشيوعي الذي ورد فيه: «أن الأسرة البرجوازية سوف تختفي، باختفاء رأس المال، أما العلاقة بين الأبناء والوالدين فهو مما يثير الاشمئزار، وإن تقدم الصناعة الحديثة سوف يقطع كل الصلات العائلية بين أفرد الطبقة العاملة».

وهذا الأسلوب حاولت الصين تطبيقه في ظل رئاسة (ماوتسي تونج) عندما طلبت الدولة بتبادل الوالدين، وتبادل الأطفال ، وتبادل الزوجات والأزواج وكانت صحف الدولة تشيد بالأسر التي بادرت بتنفيذ هذا النظام، وكسحت بعيدًا عنها المثل القديمة ، والعادات والتقاليد التي جنحت آلاف السنين على الحياة، وأعادت صياغة نظام الأسرة على أسس جديدة وطبقًا لهذا النظام لم يعد يعرف في الأسرة الزوج ولا والد بعينه على نحو ما هو معروف في نظام الأسرة، فالمرأة مشاعة من لون مشاع، وكذا الأزواج والزوجات، ثم مات ماوتسي تونج وعادت الأسر الصينية إلى رشدها. عادت إلى نظامها الفطري الأول .

ولكن الكاتب النجيب يبعث هذا النظام من جديد في رواية (رحلة ابن فطومة) والكاتب وهو معروف بسعة اطلاعه على الأحداث العالمية ، والثقافات والحركات السياسية في العالم قد علم أن الذين شرعوا في هذا النظام ، أعرضوا عنه بعد ثبوت فشله، إذن فلماذا يحاول أن يشيعه في مجتمع الذين آمنوا، مع أن أهله قد أعرضوا عنه وتخلوا . هم على كل حال نبهوه إلى وجود هذا النظام، وهو كمتبع لمفكري اليهود في أساليبهم التلمودية فعل ذلك، وهو يعلم استحالة شيوعه في الذين آمنوا، ولكنه على كل حال إن عجز عن ذلك، فلن يعجز في إلباس عقول الناس بالحيرة والتشكك في قيمهم . فضلاً عن اقتناع بعض ضعاف النفوس بفساد طرق مجتمعهم في التربية .

ألا ساء ما يفتري.

وإن هذه النظرية الماركسية في الجنس ، كانت تنظر إلى الزواج على أنه آفة، وهو ماعبر عنه على لسان قنديل العنابي في الرواية، عندما أراد أن يتزوج عروسة زواجًا أبديًا على شريعة الإسلام فرفض طلبه، قال:

يعز على أن تكون علاقتي بها عابرة.

فقال العجوز (أبوها) ساخراً:

كل علاقة عابرة يا غريب» (ص ٥٢).

والشيء نفسه مارسه الكاتب من قبل في رواية (قلب الليل) في ارتباط جعفر الراوي خريج الأزهر الشريف، بمروانة الغجرية الوثنية. وكل من العلاقتين انتهتا برغبة المرأة في فضها، لا رغبة الرجل، وكلا العلاقتين كانت بين مسلم (قنديل وجعفر) ووثنية (مروانة وعروسة)، وكان لكل علاقة ثمارها من الأبناء. أخذتهم الأم بحكم الأمومة في شرعة الكاتب.

ولأن هذه النظرية تنظر إلى الزواج على أنه آفة برجوازية بزعمهم فقد أباحوا السفاح والاتصال الجنسي العابر، الذي طبقه الكاتب في (رحلة ابن فطومة) على وجه الخصوص؛ لأن المسألة كما زعموا أن العملية الجنسية ليست أكثر خطراً من عملية إطفاء العطش بكأس الماء البارد، ولكن هل غاب عن الكاتب أن اتباع الاتصال الجنسي بهذه الصورة كاد أن يدمر المجتمع الشيوعي في روسيا وخارجها، مما جعل (لينين) يسارع بتصريحه الشهير الذي هاجم فيه (نظرية كأس الماء) بالرغم من أنه كان لهذه النظرية أشياع من علماء النفس الماركسيين الفرويديين الذين كانوا يروجونها بين الناس، وعلى رأسهم (وليم رانج) وهو عالم نفسي فرويدي ماركسي، ومؤسس معهد السياسة الجنسية. أصدر كتاباً سماه (وظيفة الشهوة الجنسية) شرح فيه النظرية التي تزعم أن الفشل الجنسي بسبب تعطيل الوعي السياسي لدى الطبقة العاملة، وأن هذه الطبقة لن تتمكن من تحقيق إمكاناتها الثورية. ورسالتها التاريخية إلا بإطلاق الحافز الجنسي دون حدود أو قيود. وهذه النظرية التي طرحها العالم الفرويدي الماركسي، والتي تمثل امتداداً ميكانيكياً لمقولة ماركس وإنجلز (في المنشور) جاء لينين فقلبها رأساً على عقب.

ولكنها استمرت في الصين، ثم انتهت بعد هلاك ماوتسي تونج، ثم ظهرت في عقل الكاتب النجيب في رواية (رحلة ابن فطومة) جاء نجيب محفوظ يعمل على إحيائها في المجتمع المسلم، وهو يعلم أنها فشلت فشلاً ذريعاً في أكبر المجتمعات الماركسية في روسيا والصين، ولكن لأن البيئات الصهيونية لا تزال تدعو إليها، فإن لم

تستطع تطبيقها ، فلهدم المجتمعات الثابتة التوازن ، وما دام الكاتب فشل أن يكون ماركسيًا ، فليكن صهيونيًا ، وهم أكثر كرمًا، وأجزل مكافأة ، وأدسم طعامًا، ومن هنا فقد جاراهم في دعوتهم إلى عبادة الجنس ، أي إلى عبادة بلا قيود كما تطلق عليها الصهيونية . وتجاهل أن لجوء الإنسان إلى إنشاء أسرة شرعية ، كان أهم خصائصه على مدى التاريخ ، وأنها الخصيصة التي تواءمت مع فطرته ، وميزته على سائر المخلوقات[١] .

صورة المرأة في أفلام الفيديو العربية:

المرأة عنصر مهم من عناصر المجتمع، فهي الأم والأخت والزوجة ، والبنت وقد أحاطها الإسلام بسياج متين لتبقى محفوظة مكرمة، وتقوم بدورها الإيجابي الفعال في تنشئة الأجيال على الخير والفضيلة.

لذا فقد دأب أعداء الأمة على بذل الأموال الطائلة لإفساد المرأة وانحرافها وبخاصة عن طريق وسائل الإعلام والأفلام بشكل خاص؛ لأنهم عرفوا أن في إفسادها للأمة كلها فعرضوها في أفلامهم رخيصة مبتذلة، وأبرزها في أقبح الصور والأشكال لتكون وسيلة لإفساد غيرها من نساء الأمة الفاضلات ،ولما كانت الأعمال الفنية المختلفة من أفلام ومسلسلات وحفلات غنائية تشكل نسبة لا يستهان بها بين المضامين التي يعرضها الفيديو ـ أردنا أن نخضع إحداها للبحث والدراسة فوقع الاختيار على أفلام الفيديو وقد أخضعنا للدراسة والبحث عينة من هذه الأفلام بلغت أحد عشر فيلمًا أنتجت وعرضت خلال عامي ١٩٩١ ـ ١٩٩٢ وهي موجودة في أماكن بيع وتأجير أفلام الفيديو[٢] .

للأفلام أهدافها الإعلامية:

وإذا كانت الأفلام تساعد على تحقيق تذكر الرسالة وقبولها فإنها تساعد كذلك على تغيير الاتجاه ولها قدرة على تحقيق أهداف إعلامية ، وقد كشفت بعض

---

(١) أدب نجيب محفوظ، وإشكالية الصراع بين الإسلام والغرب ، د/ السيد أحمد فرج، ص ٢٨٦ ـ ٣٠٣ بتصرف، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م.

(٢) صورة المرأة في أفلام الفيديو محمود يوسف مصطفى، الوعي الإسلامي شعبان ١٤١٦هـ يناير ١٩٩٦م، عدد (٣٦٠)، ص (٥١ ٥٢) .

الدراسات أن أغلب الأطفال ، وكثيراً من الكبار يميلوا أن يقبلوا بدون أي تساؤل جميع المعلومات التي تظهر في الأفلام وتبدو واقعية ،ويتذكر تلك المواد بشكل أفضل[١] .

وفي دراسة أجريت على أكثر من ثلاث آلاف فرد من بينهم أطفال وبالغون لـ ١٧ فيلما تحتوي على معلومات معينة، ثم تم اختبارهم في التفاصيل ومختلف أنواع المعلومات المقدمة، فقد اكتشفوا أن الأطفال من عمر (٨) سنوات قد اكتسبوا عدداً من الأفكار والمعلومات من هذه الأفلام عالية جداً.

إن مشاهد الفيديو ـ بخاصة إذا كان يملك الجهاز ـ لا يتكبد أي مشاق قد تحول بينه وبين المشاهدة، كما هو الحال بالنسبة للسينما، فهو لا يدفع مقابلاً، ولا ينتقل إلى مكان آخر، ولا يتأثر بظروف المناخ.

فالفيديو يمكن أن يؤثر في المشاهدين إيجابًا وسلبًا، فالصور التي يقدمها للأفراد والمجتمعات والقضايا يكون لها تأثيرها الواضح في تشكيل نظرة المشاهدين إلى الشخصيات والموضوعات المختلفة، وقد نالت المرأة اهتمامًا كبيراً من الأفلام التي خضعت للدراسة، وما دام المسئولون عن هذه الأفلام يرون فيها تعبيراً عن الواقع الذي نعيشه؛ فقد أردنا أن نتعرف على رؤيتهم للمرأة المسلمة في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، وكيف تبدو نساؤنا من أمهات وأخوات وزوجات وبنات؟

هل يظهرن بصورة مشرفة؟

ونترك الإجابة تتولاها السطور التالية:

وُجِدَ أنه تغلب الملامح السلبية للمرأة في هذه الأفلام؛ حيث أظهرت الأفلام المرأة بملامح وسمات يغلب عليها الطابع السلبي، وهذا يوضح بجلاء اتجاه الأفلام إلى تسجيل الجوانب السلبية والسلوكيات غير السوية من حياة المرأة، كما يعني الرغبة في تكريس الملامح السيئة والمعاني المشوهة والمفاهيم الخاطئة عن الأفلام وتثبتها في أذهان المشاهدين، وقد شوهت الأفلام عمداً صورة المرأة في مجتمعاتنا المسلمة وجعلتها تبدو في صورة تفيض بالملامح السلبية، ونوضح ذلك على النحو التالي:

---

(١) الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، ص ٣٦٨، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.

١ ـ إظهار المرأة في صورة المطلقة المنحرفة:

اهتمت الأفلام بإبراز الأنماط غير المألوفة من الحياة الاجتماعية، ومنها نمط حياة المطلقة وأظهرت الأفلام ـ المرأة المطلقة في أحد الأفلام ، وقد تزينت ثم طلبت من بطل الفيلم الأبكم أن يعاشرها في الحرام وفي منزلها ، وشوهدت امرأة أخرى مطلقة وهي تتعاطى المخدرات، وعرض فيلم آخر حياة امرأة مطلقة رضيت بالذهاب إلى فيلا خاصة برجل أجنبي غريب عنها وقضت يومها بصحبة صديقتها في ضيافة هذا الثري، كما عرض فيلم آخر شابًا مثَّل دور ابن بطل الفيلم الكفيف في مشهد من مشاهد الزنى مع مطلقة من جيرانه وهكذا!.

والسؤال: هل هذه هي مجتمعات المسلمين؟ وهل هذه هي نماذج المرأة فيه؟ مشاهد الزنى ومناظر الخيانة وصور العشق ومرائي الفجور والسقوط وصور الإدمان، وهل يصح أن تعرض مشاهد الشذوذ على أنها قواعد ونماذج؟ فإن هذا لا يعني أن كل امرأة مطلقة هي منحرفة وساقطة، كما تصور الأفلام أن هناك خطرًا ينتج عن التقليد ومحاكاة بطلات هذه الأفلام؛ حيث تندفع المرأة إلى تصعيد خلاف بسيط مع زوجها ثم ينتهي الأمر إلى الطلاق ولا سيما أن بعض البطلات قد أثمر ببعض الفوائد فقد ظفرت من زوجها بشقة وبعض المال فلماذا الاستمرار إذن؟ كما أشارت بعضهن إلى أن حياة الزواج قيد، بينما تجد المطلقة حرية في الطلاق.

٢ ـ إظهار المرأة متبرجة تبدي عورتها ومفاتن جسدها:

وقد كان هذا من الملامح السلبية البارزة، فظهرت المرأة بمظهر التبرج وإظهار المفاتن والعورات والاختلاط غير المشروع بالرجال.

٣ ـ أفلام الاختلاط والعري:

لا يخلو فيلم من مشاهد العري والزينة وتجسيد العورات، ومن النادر أن تظهر المرأة في الفيلم دون التخلق بهذا الخلق والظهور بمظهر التبرج الصارخ المبالغ فيه أو شبه عارية وقد أظهرت عورتها ومفاتن جسدها.

٤ ـ الحط من قدر المرأة ومكانتها :

إن هذه المناظر تثير الغرائز وتضرب على أوتار الشهوات وتدعو إلى الانحراف وتحط من قيمة المرأة وقدرها، كما أنها تتعارض مع تعاليم الإسلام . وقد كانت المرأة

في الجاهلية تتبرج، ولكن جميع الصور التي تروي عن تبرج الجاهلية تبدو ساذجة أو محتشمة حين تقاس بتبرج أيامنا هذه.

٥ ـ إشارات وتلميحات جنسية واضحة :

فلم تكتف الأفلام بإبراز المرأة في مجتمعات المسلمين متبرجة متزينة شبه عارية، لكنها أضافت إلى ذلك مشهد المرأة وهي تلفظ قولاً أو تشير إشارة تجعل الأذهان تستحضر ما يثير الغرائز ويذكي الشهوات، ولا أجد نفسي قادرًا على إعطاء المثل خجلاً واستحياء، وأقل ما أستطيع ذكره مشهد الزوجة التي تحدث زوجها وتعيره بعدم القدرة الجنسية، وكذا الإشارة اللفظية التي صدرت عن الخادمة المتزوجة التي تخبر بما يحدث بينها وبين زوجها.

٦ ـ التلفح برداء الرذيلة :

وصورت الأفلام المرأة وهي تمارس السقوط الأخلاقي الذي يتمثل في جريمة الزنى بحيث نستطيع القول: أن السقوط إلى درك الزنى من أوضح ما يميز المرأة في الأفلام[١] .

ومن خلال مشاهد الأفلام رأينا فئات من النساء شُوهدت تتخذ الزنى وسيلة من وسائل الكسب، وفئة أخرى لا يمنعهن من الزنى كونهن متزوجات.

وفئة أخرى تجرى مقبلة على الزنى وممارسة لتجربته دون خجل أو تأنيب ضمير، بل تَرَ فيه عملا لا يُخْجَل منه وتحكي للآخرين عنه.

أي نماذج هذه؟ وهل تصلح أن تقدم؟ وهل يصح أن يرى المشاهدون الفتاة الآثمة تروي لصديقتها قصة سقوطها وتجربة انحرافها في أحد الأفلام؟ إنه مثال التبجح وعدم الخجل والجرأة في الإقدام على المعاصي.

٧ ـ إظهار المرأة وهي تدخن وتشرب الخمر:

وأبرزت الأفلام المرأة وقد اتصفت بصفة سلبية في إقدامها على التدخين وقيامها بشرب الخمر وتعاطي المخدرات، ولا شك في أنها ملامح سلبية شاذة تلفت أنظار النساء إلى ألوان من السلوكيات الشاذة، وتزين لهن عالم الانحراف والفساد.

---

(١) وانظر: (الماركسية والإسلام)، مصطفى محمود دار المعارف ١٩٧٥م، ص (٥١).

وضعت الأفلام بين يدي المرأة مثيلة لها مـن بين الممثلات البطلات، وغيرهن ممن يدخن السجائر على أنها لازمة من لوازم التـحضر، ويشربن الخمر على أنها سمة من سمات الـتمدن والعصريـة، ويتعاطين المخـدرات على أنها وسـيلة من وسائل نـسيان الهمـوم والهروب من الـواقع. وأحيانًا عـلى أنها وسـيلة من وسائـل نسيان الـهموم والهروب من الواقع . وأحيانًا على أنها ـ أي المخدرات وبخاصة الحشيش ـ من لوازم القدرة على التفكير السليم. ولعل عدوى هـذا الملمح قد سرت إلى بعض مجتمعاتنا، فأصبح من المـألوف أن ترى الطالبة الجامعـية تدخن كما يدخن الطـالب، وأن تشاهد الموظفة تدخن كمـا يدخن الموظف، وأحيانًا توجد المرأة التي لا تـعمل في أي وظيفة ومع ذلك فهي تقبل على التدخين.

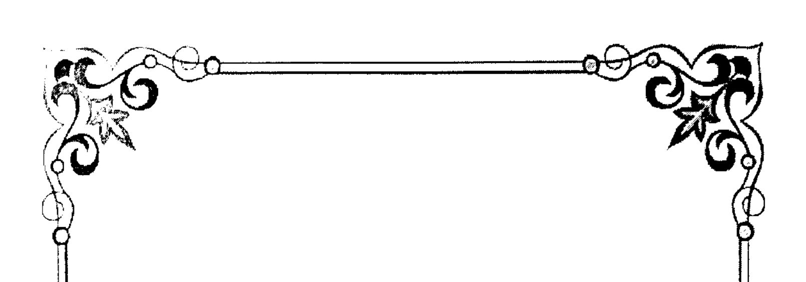
هذا وقـد أبرزت الأفلام المرأة مـوصوفة بـصفات أخـرى ذميمة لا يـتسع المـقام لذكرها.

وفي النهايـة يمكن القول: «أن الأفلام قد عَمَدت إلى تسجيـل الجوانب السلوكية غير السوية من حياة المرأة؛ لكي تعكس ملامح سـلبية يراد تثبيتها في أذهان المشاهدين بشكل يؤدي إلى تشويه صورة المرأة» [١] .

إن إظهار المرأة مدموغة بهذه الصفات يتـعارض مع تعاليم الإسلام، ويتنكر لدور النساء الفضليات قديمًا وحديثًا، ويضع أمام المرأة المعاصرة نماذج تقود إلى الانحراف .

* * *

(١) الأسس العلمية لنظريات الإعلام جيهان أحمد رشتي، ص ٣٦٨ .



الباب الثاني

آثار الانحراف الجنسي

الفصل الأول: الآثار الحضارية.

الفصل الثاني : الآثار المرضية.

الفصل الثالث: الآثار الإجرامية .





الفصل الأول

الآثار الحضارية للانحراف الجنسي

أولاً: ضعف المناعة الداخلية (انهيار المجتمع):

إن التحديات مهما كان حجمها وقوتها لا تصمد أمام حائط صد متين من عقيدة المجتمع، ولقد رأينا أن الأسرة المسلمة بتكوينها والأسس التي قامت عليها... وقدرتها التربوية وعطائها الحضاري من المتانة بحيث تستيطع أن تكون ذلك الحصن المتين والقلعة القادرة على التصدي، ولكن كان الهدف موجه لها نفسها؛ حيث إنه بانهيار هذه المؤسسة ينهار المجتمع الإسلامي كله.

المجتمع المريض :

العالم الإسلامي: يجد أن المجتمع النظيف لم يعد له وجود تقريبًا؛ وذلك بسبب بُعد هذه المجتمعات عن الإسلام شريعة ومنهاجًا وسلوكًا وأخلاقًا، وقد تمثلت مظاهر الأمراض الاجتماعية في المجتمع كالآتي :

١ ـ التبرج الشديد للمرأة المسلمة .

٢ ـ الاختلاط في المجتمع.

٣ ـ القصف الإعلامي اليومي من خلال الإذاعة والتليفزيون والقنوات الفضائية؛ لتدمير كل مفردات القيم في المجتمع.

٤ ـ ظهور الفاحشة في المجتمع والترويج لها من خلال السينما والمسرح والتليفزيون.

٥ ـ الاستخدام السيئ للمرأة كسلعة في وسائل الإعلام.

يقول تقرير عن أوضاع المرأة في مصر: «تتأكد هذه الصورة السلبية للمرأة في مجالات الإعلام حيث تستخدم المرأة جسدها للإعلان عن سلعٍ وبضائع مختلفة بعيدة

كل البعد عن الاتصال بالمرأة [١] .

٦ - البعد العام عن روح الشريعة في جميع التعاملات بما فيها المعاملات داخل الأسرة، مما أدى إلى وجود كثير من التشوهات في العلاقة داخل الأسرة.

يقول الشيخ محمد الغزالي تحت عنوان (إباحية) معقبًا على حال المجتمعات المسلمة: «أعقب احتلال الغرب لبلادنا عسكريًا نتائج بعيدة المدى في أخلاقنا الخاصة وعلاقاتنا العامة.

ويحزنني أن أعترف بأن الأجيال تنبت في مغارس رديئة ملوثة، وأن الفضائل الشخصية والجنسية تذوب في حرارة الإثم الزاحف كما تذوب كتل الجليد فوق ألسنة اللهب..

كنا ونحن يافعين نعتقد أن النظر إلى مفاتن امرأة، سيئة تسطر في صحائف الإنسان وتَدعُ في فؤاده نكتة سوداء.

ونعتقد أن الاتصال الحرام يسمى (الزنى)، وأن الفحش كامن في جرائم القتل والشرك وما إليهما.

وكان وازع الإيمان يصون المجتمع من مزالق الفتنة، ولا يدع المنكر يظهر إلا شذوذًا يتوجس منه صاحبه وتهتز له ضمائر الناس.

أمَّا اليوم فإن النسوة المتبرجات في الطرق يأخذن على المرء كل وجهة .

فإما أن يسير مغمضًا ، وإما أن يفتح عينيه مكرهًا على العورات المفضحة ، وقد صبت في قوالب تستفز الشهوات استفزازاً.

وإلى جانب هذا السيل القذر تُسهِم دور اللهو وأصوات الغناء في تأجيج الشر وإيقاظ الأهواء، وتيسير الفجور وتسمية السعار الحيواني المتمرد (حبًا شريفًا) أو غير شريف،

---

(١) تقرير مقدم من الجمعيات الأهلية للمنتدى العالمي للمرأة بكين ١٩٩٥، عن تطور أوضاع المرأة المصرية من نيروبي إلى بكين بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للأطفال UNICEF وهيئة المعونة الأمريكية USAIDK والصندوق الاجتماعي للتنمية، وأعدت التقرير اللجنة التحضيرية لمنتدى الهيئات الأهلية ١٩٩٥م .

ثم تعتذر عن هذا السقط المتتابع بأنه نداء الطبيعة»[١] .

والواقع أن عمل الدين في علاج هذا الفساد العريض إذا كان دقائق من الوعظ في محطة الإذاعة أو حصصًا من الدروس التافهة يلقنها التلامذة كارهين، فإنه عمل لا طائل تحته.

بل إن هذا الصوت الطيب ـ لو قدرنا أنه خلص واستقام ـ سيعتبر نشازًا وسط الضجة الهائلة المتواصلة سحابة النهار والليل تَصْرِف الناس عن الله وعن دينه وتجرئهم على تعدي حدوده وغيشان محارمه.

وستعتبر الصحافة القليلة التي تخدم الإسلام والتي يقرؤها عدد محدود من المتعلقين به لونًا من التفكير الضيق يحيا ليموت غدًا ويموت معه الآخرون.

٧ ـ أشكال من الارتباط غير الشرعي:

وأمام انتشار مسببات الإثارة في المجتمع وعدم قدرة الشباب على الزواج فإن الشباب يلجأ لتسمية العلاقات الآثمة زواجًا كما كان الجاهليون يسمون علاقاتهم زواجًا كما روت السيدة عائشة.. فانتشرت أنواع من الزواج مثل الزواج العرفي.. وهو الذي يفتقد إلى الولي في الغالب والإشهار ويكتفي فيه بشاهدين ولا يوثق وثيقة رسمية.. وهذا الزواج هو الزواج السري وهو زواج باطل..

وينتشر هذا الزواج في بلاد الخليج العربي لأسباب أهمها:

١ ـ الرغبة في التعدد دون أخبار الآخرين.

٢ ـ الفوارق الاجتماعية.

٢ ـ الزواج بوافدة أجنبية.

٤ ـ الزواج بالخادمة.

---

(١) من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، محمد الغزالي، ص ١٣٣، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨ م.

وقد انتشر الزواج السري في دول الخليج [١] وكذلك انتشر في مصر بين طلبة وطالبات الجامعات.

وهي ظاهرة خطيرة، وخطورتها أنها تتم في الخفاء فلما يعلم بها أكثر الناس الذين من الممكن أن تأخذهم على غرة وتنالهم من حيث لا يحتسبون في أعز ما يملكون.

فهي تختص بالأعراض المصونة والحرمات المكنونة ، والأشد خطورة أنها تتم بالمكر والخداع والتحايل على الشرع، وتحاول إضفاء صفة الشرعية على ما ليس كذلك، وسبب ذلك الجهل بأحكام الدين الحنيف، والجرأة على حدوده، ومع الجري وراء قناع زائل وشهوة مؤقتة والفرار من مسئوليات اجتماعية مقدمة يتم إلباس ثوب الباطل ثوب الحق للتوصل إلى المحرمات باسم ما شرع الله ورسوله ﷺ .

وهو «الزواج العرفي» كما يسمى في بعض الأقطار العربية، أي بلا وثيقة رسمية مسجلة، وعلى هذا يتم العقد دون علم من أهل الفتاة أو من أهل الفتى، ويتوصل الشاب بهذا إلى معاشرة الفتاة كأنها زوجة[٢] .

هذه الظاهرة الخطيرة يقوم بها العديد من الشباب جهلاً بالدين أو تجرؤًا عليه. وإقناع الشابات بالزواج سرًا سببه الاختلاط الذي يعيش فيه كثير من الناس في أماكن التعليم والعمل والتقيف والترفيه، ومع اللقاءات المتكررة يُؤثر الشاب على عواطف من يوقعها سوء حظها فريسة في طريقه، ويدعي لها أنه يمكن أن يتزوجها في السر زواجًا عرفيًا كما يسمى في بعض الأقطار العربية. أي بلا وثيقة رسمية مسجلة، وعلى هذا يتم العقد دون علم من أهل الفتاة أو من أهل الفتى.

ولا يجري أي إعلان أو إشهار، وقد لا يحدد مهرًا ولا يقام زفاف، ولا وليمة، أو مسكنًا للزوجين ، ولا أثاثًا ، ويتوصل الشاب بهذا إلى معاشرة الفتاة كأنها زوجة حيث يلتقيان في أماكن مخصوصة وأوقات معلومة، ويحرصان مع ذلك على الاحتياط حتى لا يتم حمل يكشف للأهلين الخديعة التي تجري من وراء ظهورهم وهم

---

(١) زهرة الخليج العدد ١٠٦ يونيو ص (٣٨ ـ ٣٩).

(٢) الزواج السري باطل.. باطل ، محمود محمد البحيري: الوعي الإسلامي، العدد (٣٥٠) شوال ١٤١٥ هـ.

عنها غافلون(١) .

ولم يقف الأمر عند هذا، فمن اعتقاد بعـض الشباب أن زواجه هذا شرعي يبقي يغرر بمزيد من الفـتيات، فيتزوج في السـر مثنى وثلاث ورباع وكل واحدة مـنهن لا تدري عن الأخرى شيئًا.

وقد فتح هذا الزواج السري الباب واسعًا أمام بعض البنات الصغيرات اللواتي هن في سن مـا قبل السادسة عـشرة، أو ما بعدها يـستمرئ هؤلاء الزواج الـسري مرات ومرات جريًا وراء الشهوات والأموال فإذا تركها واحد من أخدانها بحثت هي عن آخر دون أن تسمـع عن شيء اسمه عدة المـطلقة، وكيـف تسمع والزواج بالأصـل باطل! والأهل عنـها لاهون!! على حين أنـها تنتهك كـرامتها وكرامتـهم وتصير مضـغة في الأفواه ، وتعتاد هذا النوع من الزواج البغائـي مما يستوجب من أولى الأمر سَنَّ قانون يعاقب على هذه الجريمة التي لم تعرفها مجتمعاتنا من قبل.

وإن بعضهم قد وقع في براثن هذا الزواج السـري بحسن نية، وبعضهم يمكن أن يقع فيه بسوء نية كذلك؛ لذا يجب أن نـفرغ وسعنا لكي نبين لماذا لا يعد هذا الزواج السري زواجًا شرعيًا؟

ولا نجد من ملامح الزواج الشرعي شيئًـا في الزواج السري؛ فلا ألفة بين أسرتين ولا إذن لولي، ولا مهـر، ولا نفقة، ولا مسكـن، ولا متاع، ولا أسرة، ولا أولاد، ولا حياة مشتركـة، ولا قوامة للرجل، ولا طاعة من المرأة، ولاعـلم بين الناس، ولا يجري التوارث بين الخليلين؛ مما يجعلنـا نجزم بأن هذا لا يعد زواجًا عرفيًا كما يدعون ولا شرعيًا كما يريد الله تعالى.

﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْـدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]. وقال جل شأنه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

---

(١) المرجع السابق.

فأمر بالولي والشهود والمهر والعقد، والإعلان، وشرع فيه الضرب بالدف والوليمة الموجبة لشهرته.

الزواج الشيطاني (زواج الدم):

تقليعة جديدة تنتشر بين بعض الشباب ، وتعتمد على أن يقوم كل من الشاب والفتاة بجرح أصبعيهما وخلط دميهما زاعمين بذلك أنهما قد أصبحا زوجين. تقول بعض الفتيات : أنهن رأوه في مشهد من فيلم أجنبي(١) .

وزواج الهبة :

وفي محاضر البوليس في مصر كان لقاء محرر جريدة الحياة مع بعض الفتيات اللاتي خدعن بهذا النوع من الارتباط، وهو أن تهب الفتاة نفسها للشاب دون وثيقة رسمية أو حتى شهود أو مهر. . وكان مبرر أحد الفتيان لفتاته أن هذا يحلل اللقاء في أي وقت كزوجين والانفصال في أي وقت أيضًا دون حدوث مشاكل لأي منهما(٢) .

٣ ـ اعتماد قرارات المؤتمرات والاتفاقيات الدولية كمرجعية حاكمة على المرجعية الإسلامية:

تقول فريدة النقاش: «إنني ما زلت عند رأي أن هناك أساسًا وجذورًا في التصورات الدينية جميعًا وبلا استثناء لدونية المرأة، وتجاهل ذلك ليس في مصلحة قضية تحرير المرأة؛ لذلك أنا أدعو لتأسيس مرجعيات أوسع، لا تلغي الدين وإنما تكون حصيلة خبرات كل الجهود الإنسانية في كل الحضارات والثقافات لتأسيس مرجعية للحرية»(٣) .

وعندما تناقش أحد الكاتبات التونسيات قانون الأحوال الشخصية التونسي الصادر سنة ١٩٥٦م، والذي يحرم تعدد الزوجات وينزع حق الطلاق من الرجل. . ويساوي في الميراث بين الذكر والأنثى، ولكنها تعترض على الفقرة التي تتناول ديانة الزوجين

---

(١) مجلة الشباب عدد مايو ١٩٩ .

(٢) جريدة الحياة اللندنية

(٣) المرأة العربية والحياة العامة ، فريدة النقاش، ص (٤٢) عن ندوة المرأة العربية والتحول الديمقراطي، مركز ابن خلدون للدراسات الاجتماعية، القاهرة يونيو ١٩٩٥ ، دار الأمين للنشر، القاهرة ١٩٩٧م.

تقول: «مجلة الأحوال الشخصية صامتة لأنها لم تبين ما إذا كانت هذه الحرية في اختيار الزوج يمكن ممارستها دون تميز ديني».

هناك اتجاه يقول: إن سكوت مجلة الأحوال الشخصية، يجب أن يفهم بأنه يحيلنا إلى التشريع الإسلامي وذلك نظراً إلى أن الإسلام هو دين الدولة التونسية كما ينص الفصل الأول من الدستور، وكما يدل ذلك على أيضًا استعمال لفظة شرعية في الفصل الخامس لمجلة الأحوال الشخصية .

وتقول حفيظة شقير: «إن نصوص مجلة الأحوال الشخصية كافية، في حد ذاتها ولا تحتاج في تفسيرها إلى الرجوع إلى التشريع الديني، فهذا الاتجاه هو الذي يجب أن يكون سائداً في اعتقادنا، وذلك لأسباب أولها: المصادقة من طرف الحكومة التونسية على الاتفاقية الدولية لنيويورك ، المبرمة في ١٠ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٢م، والخاصة بالموافقة على الزواج، والسن الأدنى للزواج وتسجيل الزواج[١] .

وهي الاتفاقية التي تعترف في توطئتها بحق المرأة في اختيار زوجها وحق الرجل في اختيار زوجته وذلك دون أي تحديد، أوتميز، وبخاصة منه التمييز الديني، فالمصادفة على هذه المعاهدات لها قيمة قانونية لا منازع فيها، إضافة إلى ما نص عليه الدستور على أن المعاهدات لا تعد نافذة المفعول إلا بعد المصادقة عليها، والمعاهدات المصادق عليها بصفة قانونية ، أقوى نفوذاً من القوانين ، ولكونها أعلى رتبة من مجلة الأحوال الشخصية فإن هذه الاتفاقية الدولية تفرض نفسها على القوانين الجاري العمل بها؛ إذ هي ترفع التحجير «التقييد» الذي يمس زواج المسلمة بغير المسلم.

وثانيها: أن طبيعة مجلة الأحوال الشخصية كقانون فيه تجديد يريد أن يتميز نوعًا ما عن الشريعة الإسلامية بإبطال تعدد الزوجات والطلاق من جانب واحد، وبتحديده سنًا أدنى للزواج، يعتبر قانونًا يحرض على تبني معاملات زوجية عصرية، ولا يمكنه أن يكون في الوقت نفسه قانونًا تقليديًا ، وفي واقع الأمر فإن التشريع الإسلامي هو: مرجع تاريخي للقضاء كما هو الشأن بالنسبة للقانون الروماني الذي يعتبر مرجعًا تاريخيًا للقانون الفرنسي، فتطبيق التشريع الإسلامي كحل للقانون الوضعي التونسي

---

(١) دراسة للقوانين الخاصة بالمرأة والأسرة في المغرب العربي: تونس والمغرب والجزائر ، د / حفيظة شقير.

يجعل منه مرجعًا شكليًا ، فكأننا طلبنا من القاضي الفرنسي بأن يرجع إلى الحلول التي أتي بها القانون الروماني ، وذلك في كل الحالات التي لم يتعرض لها القانون الفرنسي»[١] .

وثالثها: أن التراتيب الدستورية المتعلقة بالحريات العامة تعترف صراحة بحرية المعتقد، وبحرية الرأي «تضمن الجمهورية التونسية حرية الفرد وحرية المعتقد، وتحمي حرية المعتقد وتحمي حرية القيام بالشعائر الدينية ما لم تخل بالأمن العام[٢] .

إلا أن كل هذه الاعتبارات لم تقنع المحاكم ، ففي حكم صادر عن محكمة التعقيب في سنة ١٩٦٦م، أيدت هذه المحكمة بكل حزم التفسير الديني للفصل الخامس من مجلة الأحوال الشخصية. «وحيث أنه لا منازع في أن المرأة التي تتزوج بغير مسلم ترتكب جرمًا لا يغتفر، وأن التشريع الإسلامي يعتبر أن زواجًا من هذا النوع باطل»، وحتى لو سلمنا أن هذا الحكم قد صدر قبل التوقيع من طرف الحكومة التونسية على الاتفاقية الدولية السالفة الذكر، فإن المنشور الصادر عن وزير العدل بتاريخ ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣جاء ليؤكد من جديد على تحريم زواج المسلمة بغير المسلم»[٣] .

وماذا بقي إذن بيد المرأة؟ وكيف يتسنى لها تجنب هذا التحريم «اللاقانوني» إن صح التعبير الذي ما زال نافذًا؟ لم يبق إذا للزوج غير المسلم إلا أن يعتنق الإسلام وينطق بالشهادة، وهي عملية مجاملة دون شك، ولكنها تفتح في النهاية المجال لإبرام عقد الزواج .

وفي مناقشة كلام الكاتبة تذكرها أخرى بأنه لا يكفي استنادها على الاتفاقية الدولية المتعلقة بالزواج، ولكن هناك اتفاقيات أخرى.

«لقد استندت الباحثة في ورقتها إلى الاتفاقية الدولية المتعلقة بالزواج الصادرة سنة ١٩٦٢، والتي تلزم بتحديد سن أدنى للزواج ، وتوفر رضا الطرفين شخصيًا ، وتسجيل عقد الزواج ، وحسنًا فعلت ، وسأضيف إلى ذلك سائر الاتفاقيات أو

---

(١) انظر: خواطر حول علاقة مجلة الأحوال الشخصية بالتشريع الإسلامي التقليدي ، على المرغني ، المجلة القانونية يونيه ١٩٧٥م ص (٥٣).

(٢) الدستور التونسي ، حزيران يونيو ١٩٥٩م ، الفصل الخامس.

(٣) انظر: مجلة القضاء والتشريع، حزيران / يونيو ١٩٥٩م، الفصل الخامس.

الوثائق التي يقتضي اعتمادها للبحث في الأحكام القانونية المتعلقة بوضع المرأة ومنها:

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨).

الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية (١٩٦٦).

الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والثقافية (١٩٦٦).

إعلان القضاء على التمييز ضد المرأة (١٩٧٩)، وقد وقعها من البلدان العربية تونس ومصر.

الوثائق والدراسات الصادرة عن اللجنة الاقتصادية بغربي آسيا، ولا سيما خطة العمل الإقليمية لإدماج المرأة في التنمية [١] .

٨ ـ تبرير كل ما هو غير إسلامي في مقابل تجريم كل ما هو صادر عن مرجعية الإسلام، فعندما تستعرض أحد الكاتبات تغاضي الغرب عن قسوة الصين في فرض الإجهاض على المرأة إذا أنجبت أكثر من طفل، وقارنته بهجوم الصحافة الغربية على أي شكل من أشكال الالتزام الديني الإسلامي على المرأة تقول :

الميزوجينية الصينية [٢] والخطاب العلمي :

إرغام النساء على إنجاب طفل واحد، وأنه إعدد الصين لعام (٢٠٠٠):

لقد أضحى نظام الأبوة عقبة في النظام الشيوعي الذي لم يكن قادراً على الإسراع في التخطيط الاقتصادي، ومن أن تكون له حرية امتلاك طاقة المرأة، بل عملها وقدرتها على الإنجاب ، وهكذا تصبح المرأة مواطنة منتجة فعالة في الدولة بعد تحررها من سلطة الرجل .

لقد برهن الصينيون خلال السنوات الثلاثة للعالم المندهش كيف أن بلداً من بلدان العالم الثالث استطاع بفضل التخطيط العلمي أن يبني مجتمعًا متقدمًا.

ولكي يمكنه الوصول إلى هذا المستوى من التخطيط عمدت الدولة الصينية التي حاربت النظام الأبوي السابق إلى ممارسة الضغوط على المرأة بانتهاج نزعة ميزونجية تتسم بالقسوة والعنف، وإرغام المرأة إنجاب طفل واحد وبتعبير آخر إلزامها بالتخلص

---

(١) دراسة للقوانين الخاصة بالمرأة والأسرة في المغرب العربي: تونس والمغرب والجزائر، حفيظة شقير.

(٢) الميزوجينية حسب ما جاء فى معجم فى روبرت : هى الحقد على النساء ، واحتقارهن ، أو كره النساء .

من جنينها بالإجهاض.

ولكن كيف تمكن الصينيون من انتهاج سياسية قمعية بهذه الشدة والقسوة دون أن ينصب عليهم غضب زعماء الإعلام الدوليـين وسخطهم، خاصة أن الحركات النسائية الغربية قد نجحت خلال هذه السنوات في كسب الإعلام الغربي إلى جانبها ؟! .

لو أن دولة عربية اعـتمدت سياسة إلزام المرأة بالإجهاض؛ لكـان العرب تعرضوا إلى ضجة عالمية كبري اتهموهم فيها بالتخلف والبربرية الميزونجية [١] .

٩ ـ الدمار الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي :

هذا الشاب الشارد السادر في الشهوة، والمخمور في الحشيش والخمر والأفيون.

والجيل المتحلل المائع المريض جسميًا وعقليًا وخلقيًا ونفسيًا. .

وعصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسي. .

وعصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش. .

وتجار الشهوات والغرائز، وبيع الفتيات وتأجير البغايا. .

وعصابـات من الأطباء والمحامـين والحكام ورجال القانـون. . لتغطيـة الجرائم ، وهضم القانون لقاء الرشوة بالجنس والمال.

نوادي العراة الـعلنية. . يتـعرى فيها روادها من كـل رداء للفضيلـة بلا حياء ولا خجل. .

مواخير مرخصة منتشرة هنا وهناك لتأجير العاهرات. .

أفواج من المومسات يحترفن الزنى للعيش الكفاف. .

الأغاني الفاحشة، والموسيقى الراقصة المثيرة، والمسرحيات الآثمة المهيجة. .

كتب الجنس، ومجلات العري، وكباريهات الرقص والمجون. .

أفواج (الهيبين) الإباحيين المتشهبين بالحيوانات والخنافس. .

أفواج (البوب) اللامنتمين الغارقين في السكر والزنى والفاحشة. .

إباحيون مستهتـرون يكفرون بكل فضيلة، ويستبيحـون كل رذيلة ، ويسيرون مع الأهواء والنزوات. .

---

(١) قواعد تكوين البيت المسلم ، د/ أكرم رضا ، ص ٧٨٤ ـ ٧٨٧ .

إلى غير ذلك من مظاهر الفساد والإباحية التي لا يمكن حصرها ولا تعدادها.

وكان من نتيجة ذلك:

أن صرح «خروتشوف» سنة ١٩٦٢ م بأن مستقبل روسيا في خطر، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها؛ لأنه مائع منحل غارق في الشهوات.

وفي الوقت نفسه صرح «كيندي» أيضًا بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها منحل غارق في الشهوات، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية..

وقد سرت عدوى هذه الموجات الإباحية في المجتمعات الغربية والشرقية على المجتمعات الإسلامية ـ ويا للأسف ـ حتي أصبحنا نسمع عن كثير من أقبية الزنى، ومواخير الفاحشة، وأندية القمار، ومسارح المجون، وأوكار الخمر والحشيش، وصالات العري والرقص.. منتشرة هنا وهناك تحت سمع وبصر المسؤولين ورجالات الحكم في أكثر من البلاد الإسلامية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأصبحنا نسمع ـ والأسى يحز في نفوسنا ـ عن تجار للغرائز والشهوات لشراء الفتيات وتأجير البغايا.. وهذا منتشر في طول البلاد وعرضها دونما نكير ولا نذير!!

وأقبل كثير من شبابنا نحو اللذة والجنس والخمر دونما سائل ولا رقيب!!..

وهذا يعرفه القاصي والداني من المسلمين.

ومن القضايا المسلم بها أن الاسترسال في الفاحشة يضر بمصلحة الفرد والأسرة على حد سواء، بل خطر على المجتمع بشكل عام.

من هذه الأخطار تهديد الأسرة بالزوال؛ لأن الشاب العَزَب حين يشبع نهمه الحيواني بالحرام لا يمكنه بحال أن يفكر بتكوين أسرة وإنجاب أولاد.. وكذلك الزانية، فإنها لا ترغب بالحمل، ولا ترضى بالولد لضرر الحمل الجسمي والنفسي عليها.. فهي تحاول التخلص منه بأية وسيلة!!

من هذه الأخطار ظلم المواليد والأطفال؛ لأن المجتمع الذي يهرب من الزواج، وينساق أبناؤه وراء الانحلال والإباحية.. ويعج بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب..

وفي ذلك ظلم للأولاد وأي ظلم؟

ظلم لهم لأن الولد محروم عطف الأبوين، وأين الحب والعطف والحنان وهو تربية المحاضن والمستشفيات؟

وظلم لهم لأن الولد حين يعي ويستشعر بأنه ابن الزنى والعار فإنه يتعقد نفسيًا، وقد ينحرف سلوكيًا ، وعلى الغالب يكون أداة إجرام على الفرد والمجتمع بل على الأمن والاستقرار!!

من هذه الأخطار شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء، ذلك لأن الرجل والمرأة لا يجدان الحياة الهانئة السعيدة، والعيش المستقر الكريم إلا في ظلال الزوجية القائمة على المودة والرحمة . . وهذا الأمر تراه معدومًا في المجتمع الذي لا يروج فيه سوق الزواج، وفي الأمة التي تسير وراء التمع والانحلال!!

من هذه الأخطار قطع صلة الرحم والقرابة لأن العزب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملذات والمحرمات. . تراه منبوذًا محتقرًا لدى الصلحاء من قرابته ورَحمه. . وهذا ولاشك مما يؤصل في نفسيته روح التمرد والعقوق ، ويؤجج بينه وبينهم نيران العداوة والبغضاء. .

وليس ثمة ذنب ـ بعد الإشراك بالله ـ يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظرات الإسلام ؟

إلى غير ذلك من هذه الأخطار والمضار التي لا تخفي على كل ذي عقل وبصيرة.

الخطر الاقتصادي :

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات هم ممن تخلوا عن الزواج المشروع، وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة. . فهؤلاء يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة وذلك:

لضعف القوى.

وقلة الإنتاج.

واتخاذ الكسب غير المشروع.

أما ضعف القوى:

فلأن العزب الذي ينساق وراء اللذة والفاحشة يمرض عقليًا، ويمرض جسميًا، ويمرض خلقيًا، ويمرض نفسيًا..

ولا شك أن المريض حين يمرض تضعف قواه، وينحط جسمه، وتنهار عزيمته.. فلا يستطيع أن ينهض بمسؤولية على وجهها الأكمل، ولا أن يضطلع بواجب على النهج الصحيح!!

وفي ذلك تعطيل للاقتصاد وتأخير للحضارة..

أما قلة الإنتاج:

فلأن الأموال تبدد في طريق الميوعة والشهوات، وإشباع نهم الغريزة والجنس.. لا في طريق الإنتاج، ومصلحة الاقتصاد.. ولأن المتحلل الماجن لا يخلص في عمله، ولا ينهض بمسؤوليته.. لانعدام الردع الديني، والزاجر الأخلاقي في قلبه وضميره.. وفي ذلك فساد للأخلاق وطعنة للاقتصاد..

أما اتخاذ الكسب غير المشروع:

فلأن الماجن الوضيع الذي ليس له من تقوى الله رادع، يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق.. طريق الربا والميسر، طريق اللهو والترف، طريق الرشوة والاختلاس، طريق الاتجار بالأعراض، والاتجار بالمصورات العارية، والاتجار بالمجلات الماجنة، والاتجار بالأفلام الخليعة، والاتجار بالمسكرات والمخدرات، والاتجار بالكتب الفاحشة والقصص الغرامية..

إلى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لا تعود على المجتمع إلا بالخسران والضرر، والفقر والبطالة، وقتل القِيم ومكارم الأخلاق.. إذ تُهْدَرُ الطاقات المنتجة، وتتعطل المكاسب المشروعة، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية، وسجين الأنانية والمحسوبية، وعبد الشهوة واللذة والهوى!!

وفي ذلك تحطيم لتقدم الأمة، وتضعيف لاقتصادها وإنتاجها (١).

---

(١) انظر: مسؤولية التربية الجنسية من وجهة نظر الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ص ٧٤ - ٨٠ بتصرف.

ثانيًا: انهيار القيم وضياع مفاهيم العرض والمحافظة على الشرف:

من دواعي الفطرة السليمة التي جبُل البشر عليها، قداسة المحافظة على العرض، الشرف والعفة والعفاد، ولا يتحقق ذلك إلا بالحفاظ على الجسد من التردي في شهوة الزنا وما يلحق به من الفواحش الظاهرة والباطنة، وقد جعل الله تبارك وتعالى المحافظة على العرض والتمسك بأسباب الشرف والعفة من شروط الإيمان فقال في القرآن الكريم: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧]. وهذه الآداب تشمل الذكر والأنثى، لا كما يظن البعض عن طريق الخطأ أنها خاصة بالنساء فقط لقوله تعالى: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، كما تشمل البكر والثيب.

وجاء بالتوراة تحذير لارجال من إغواء النساء «احفظ وصاياي لتحيا شريعتي كحدقة عينك. لتحفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة الملقة لكلامها» [الأمثال٧: ٢، ٥).

وجاء عن المرأة الطاهرة: «المرأة الفاضلة تاج لبعلها ، أما المخزية فكنخر في عظامه» [الأمثال ٢ : ٤].

وجاء عن ثواب المرأة الطاهرة التي لا تخضع لأي إغواء مهما كان السبب: «أما العاقر الطاهرة التي لم تعرف المضجع الفاحش فطوبى لها إنها ستحوز ثمرتها في افتقاد النفوس» [الجامعة ٣ : ١٣].

وجاء بالإنجيل الأمر بتزكية النفس والجسد: «مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» [١ كورنثوس ٦ : ٢٠].

إذن لا خلاف على قداسة العرض وكرامة الشرف في الأديان السماوية، والفطرة السوية.

ولكن خروج المرأة من بيتها للعمل بلا داع، وما ارتبط بذلك من مفاهيم غير أخلاقية جديدة، مثل: حرة المرأة في جسدها، وحريتها في مظهرها وملبسها، وسن القوانين التي تؤدي إلى الفسق والتخلي عن الفضيلة ، وغير ذلك أدى إلى انهيار المبادئ الأخلاقية والدينية الكفيلة بحفظ العرض والمحافظة على الشرف.

وحيث إننا ـ للأسف ـ لم نُعِد المرأة لخوض غمار الحياة خارج البيت بدين قويم

أو خلق كريم، وتركنا للأفكــار الغريبة الغربية التسلل إلى أفهامــنا وإزاحة معتقداتنا ، كما أفســحنا المجال أمام دعاة الفجــور لنشر مبادئهــم الهدامة، وتشجيع دعــاة السفور للنيل من مبادئنا البناءة ، فبدأ تحــرر المرأة بكشف الوجوه والسفور، بلا زينة أو تزين، فكشف الشعور، فالتزين بصبغ الوجوه بكافة الألوان ، وطلاء الشفاه بمختلف الألوان حتى الأسود، وذلــك اتباعًا لإله جديد يســمى «الموضة» ثم أزيلت الحواجــب الإلهية بصورة نهائية، ورسمت بالقلم، وفُلجــت الأسنان ووصل الشعر وصبغه وقصه ولبس الباروكات ، وغير ذلك ممــا يسمى بالمكياج والكوافير وغيــره، وتزامن هذا مع كشف الأجساد جزءًا جزءًا ، حتى لم يعد يغطي إلا اليسير، فأصبح العُري هو الأصل وستر الجسد هو الاستثناء ، وصار التكلف والميوعة في الكلام من آيات الجمال، وتلا تحرر الجسد مما يستره، تحرر النفس من الفضيلة وآدب الحياة.

وكان لاختلاط النساء بــالرجال في كافة المصالح والأعمال مع كــثرة اللقاء وطول اللقاء، والخلوة ، الفضل في ظهور أمراض عاطفية جديدة، سُميت بالحب والغرام.

هذا، وقد قام الفن والفنانون بدور يفوق دور شــياطين الجن مجتمعين في الدعوة إلى الرذائــل، ونبذ الفضــائل وتزيين أعمــال الفواحش تحــت مسميات عــدة، كالحب والغرام . وتم غسل عقول البشر من كل قدوة صالحة سواء كانت أنبياء أو صالحين أو علمــاء نابغين، وأصبــح القدوة وحلم الشــباب هم الراقصــون والراقصات والمغــنيون والموسيقيون والممثلون ، وأغلبهم أعوان الشيطان، ومما يؤسف له أن بعضهم لا تنتهي فضائحه الجنسية والأخلاقية، وآخرون حكم عليهم في قضايا جنسية ومع ذلك جعلهم الإعلام نجومًا، أصبحوا حلم كل شاب وفتاة.

وكان من نتائج تحرر المرأة وخروجها للــعمل، أن أزاحت الملايين من الشباب عن سوق العمل، حيث إن فــرص العمل في الدول النامية وغير الــنامية محددوة، وتحت مفهوم المشاركة في التنمية وتطور المجتمع، وإثبات وجود المرأة وتزكية كيانها المستقل، وضرورة استقــلالها المالي، وتفوقــها الاجتماعي، اغــتصبت النساء وظــائف الرجال، ونشأ عن ذلك بــطالة الشباب وعدم قدرتــهم المالية على الزواج، فــارتفع سن الزواج وبالتالي زادت ســنوات التحرق الجنسي لكــل من الذكور والإناث، فتركت لــلشيطان فرصته في ملء الفراغ الــعاطفي والجنسي، بتسهيل الرذيلة والــدعوة إلى الزنا بأنواعه المختلفــة، وزاد التحرق وزينت الأعمــال الفاضحة في السيــنما والمسرح والتلــيفزيون

وأغاني الفيديو كليب وقصص العشق والعشاق، وانتشرت الفاحشة ودعت إليها على استحياء ثم في علانية ، باعتبار أن حق الإنسان في جسده ومتعته ولوكانت حرامًا حق مشروع إنساني طالما تم الزنا بالرضا.

وعلى ذلك لم يعد ينظر إلى العري وإقامة العلاقات الجنسية بين غير الأزواج، والعلاقات الجنسية الشاذة نظرة الاحتقار والمهانة، بل نظرة اللامبالاة والسكون.

وقد ساعدت القوانين الوضعية الجميع على إقامة الزنا واستحلال كل حرم، بإلغاء الحدود والقصاص، والأحكام الدينية الإلهية، والتشجيع على الزنا السري المسمى خطأ بالزواج العرفي ولم يعد للفضائح الجنسية أي عقاب قانوني إذا تمت بالرضا.

ثم تدخلت منظمة الأمم المتحدة في إجبار الدول العربية والإسلامية وغيرها على قبول مفاهيم غير أخلاقية جديدة، تتعارض مع أحكام الأديان، ومع أدنى الأخلاقيات الاجتماعية والإنسانية مهما بلغ مستوي انحطاطها ، فأباحت الزنا والشذوذ بكل أنواعه، وأحلت الإجهاض ، وباسم المساواة الإنسانية التامة والكاملة بين الرجل والمرأة، وتحت شعار حقوق الإنسان ألغيت كافة المبادئ الأخلاقية المنظمة للعلاقات الجنسية السوية والشرعية.

وللأسف من منطق غلبة القوى للضعيف، هز الجميع الرؤوس استحسانًا في الظاهر وألمًا وأسفًا في الباطن ولا نقول إلا: لله الأمر من قبل ومن بعد وصدق حيث قال: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وأصبحت القرية هي العالم جميعه، ومترفيها أنظمة الأمم المتحدة ومؤتمراتها «تآمراتها» ضد الأخلاق الإنسانية الكريمة، وبدأ الدمار بانتشار أمراض جنسية لم تعرف من قبل كالإيدز وغيره.

ونتيجة لما سبق، تغيرت مفاهيم الحفاظ على العرض، وصيانة العفة، وأصبح تفريط العذارى في بكارتهن أمرًا استشرى في المجتمع حتى أنني أعتقد أنه لو استمر الحال لسنوات قليلة قادمة، ستصبح العذرية أثرًا بعد عين وحلمًا من أحلام الماضي السعيد.

وتمخض عن هذه الأمور والبلايا ولادة مفاهيم جديدة منها اعتبار الحياء والعفة

والطهارة للجنسين تـخلفًا وعيبًا ينال من الأخلاق الكريمة، وسهولـة تفريط النساء في شرفهن واعتبار الزنا أمرًا عاديًا وليس بمستهـجن ، ولم تعد أغلب الفتيات يبكين على شرف مسلوب أو هتك غشاء بكارة، بل يبكين على حبيب قد هجر بعد أن نال ما نال وذهب، واعتبرت البنـات والنساء هجر الحبيب المغتصب سـوء خلق وعدم أمانة، أما سرقة عرضــها وهتك شرفها فـهو معتاد لا لوم فـيه ولا عتاب، فنشأت فـي المجتمع مشاكل عاطفية وجنسية جديدة ، كان يُـستحى بالأمس مجرد الإشارة إليها، وبدراسة هذه المشاكل في الجرائد والمجلات يتضح أنها تدور حول:

أولاً: الشكوى من أدب وعفاف وحياء حبيب.

ثانيًا: الشكوى من غدر حبيب بعد غراميات لم تذهب بالعرض.

ثالثًا: الشكوى من غدر حبيب بعد سلب العذرية.

رابعًا: الاستهانة بالفضائح الجنسية وتقبلها كأمر واقع.

خامسًا : ظهور مشاكل هتك غشاء البكارة وضياع العذرية.

أولاً: الشكوى من أدب وعفاف وحياء حبيب:

جاء بمجلـة حريتي العدد (٦٥٠) بتـاريخ ٢١ / ٧ / ٢٠٠٢) م مشكلة عـاطفية تحت عنوان: (رحلة.. ندم):

«هي في التـاسعة عشرة من عمـرها.. رقيقة كأرق مـا يكون النسيم.. جـميلة كأجمل الجميلات كـما تقول.. تهوى الأدب والشعر والموسيقى.. تمـضي أيامها كما الحلم. لكنــها ما عادت تعرف الطريق إلـى راحة البال منذ رأته.. وتخـشى أن تفقد مستقبلها بسبب تعلقها الشديد به.. فهو جارها الخجول الذي يكتفي بالنظر إليها من خلال نافذته البعيـدة.. وهي لا تقنع بهذا القدر وتود لقاءه والحديث مـعه كما يفعل الأحباء.. وهذه الأمـنية التي تبدو مسـتحيلة تكاد تـصيبها بالجنون.. إنــها حائرة لا تدري ماذا تفعل لتخرج الحبيب من عزلته وتخلصه من خجله!!».

وجاء بنفس المجلة الـعدد (٦٥٠) بتاريخ يوليو ٢٠٠٢م مشكلة فتـاة تنعي حظها التعس لخجلها وأنها لم تقم بتجـربة حب واحدة وتخشى أن تكون بسبب ذلك زوجة فاشلة عديمـة التجارب: «أنا فتاة في الثامـنة عشرة من عمري.. يقولـون: إني رقيقة جميلة .. الحياة تبدو في ناظري هادئة نظـيفة .. وفي طلعتي يشع نور طاهر ساذج

يلمع كومضة في سماء عالم أصبحت تحركه ماديات الحياة. وتلوثه علاقات الشباب التي اصطبغت بسلوكيات متحررة مستوردة من هنا. وهناك..

أما أنا فلي رأي آخر في نفسي وشخصيتي .. فما يراه الناس في من جمال وكمال، أفسده أنا بشكل يتفق وإحساسي الحقيقي بالدونية. وضعف الشخصية أتتصورين ـ سيدتي ـ فتاة في مثل عمري، وفي مطلع الألفية الثالثة حيث التكنولوجيا متطورة والعالم متصل متلاحم من خلال الإنترنت، وأنا تتصاعد الدماء متدفقة قانية، ويتصبب مني العرق غزيراً لو واجهت موقفًا ما.. أو شخصًا ما خاصة لو كان محدثي من الجنس الآخر!!

وبهذه الشخصية الخجولة المهزوزة انطويت على نفسي بلا صديقات ، ولا تجربة حب واحدة.. والغريب أن الفكرة لم تطف ببالي، فكيف أندمج مع من حولي وأنا أتعثر في سيري، أكاد أقع على قفاي لو أحسست بنظرات تتابعني.. أو تجرأ أحدهم وفكر في اقتحام وحدتي وحاول محادثتي.. إذ سرعان ما يغلبني وأطلق ساقي للريح هاربة، حتى وإن كان قصده معرفة رأيي فيه كزوج للمستقبل .. وكثيرون اعتبروا هروبي رفضًا لهم، وانسحبوا من طريقي، رغم أن معظمهم في نظر الجميع يعتبر .. لقطة!!

قلت: أخرج من شرنقتي وأحاول أن أكون بنتًا طبيعية وسط البنات، وأعزف مثلهم على أوتار هذا العصر، فتسللت إلى مجتمع زميلاتي، ورحت أتصنت على أحاديثهن وهمساتهن الضاحكة فيطرح التساؤل نفسه: أين أنا وسط هذا العالم الذي يجري من حولي بسرعة البرق، بينما أنا ساكنة لا أتحرك.. وأي رجل يقبل الارتباط بي، ويقدر ضحالة تجاربي وخجلي المبالغ فيه؟!.. من يقبل فتاة تجهل ألف باء العلاقات الإنسانية والزواج؟! .. فتاة لا تدري كيف تقوم بواجباتها تجاه شريك حياتها، ولا كيف تسعده وتدغدغ مشاعره؟!».

هذه المشكلة على وجه الخصوص توضح لنا كيف تسلل إلى أفكار العذاري أن تجربة الجنس مع الغير قبل الزواج هي من أسباب نجاح الزواج ، وسببًا من أسباب اكتساب الخبرة في العلاقة الزوجية الخاصة؟! العفاف أصبح يمثل عقدة نفسية لا حل لها في مجتمع الرذيلة!!

وها هو شاب يشكو خجله الذي سبب له عُقدًا نفسية دفينة فيقول: كما نشر

بجريدة «محبوبتي» في ١٣ / ٢ / ٢٠٠١م: «أحببت فتاة قبل ثلاثة أعوام ومنعني خجلي والعقد الدفينة بداخلي من الاقتراب منها ومحادثتها حتى أصبح قلبي جامدًا باردًا كالجليد لا يدق بحب الفتيات أو حتى الحياة.. مرت سنوات وحالي لا يتبدل حتى عرفت الحب مرة أخرى.. هي فتاة دق قلبي لمرآها .. أراد صديقي التقرب إليها لكنها رفضته .. أشعر في أعماقي أنها تبادلني الحب لكنني أخشى الاقتراب من محرابها. ماذا أفعل وقد أصبحت حزينًا منطويًا كسير القلب والروح والوجدان.. أتوسل إليك ألا تهملي رسالتي فاحتياجي شديد لكلمة تعيد لي الثقة بالنفس والحب والحياة؟!».

وها هي أخرى تداعبها أحلام العذارى وأوهام الحب الذي حيرها وتتساءل: ماذا تفعل:

«أنا في العشرين من عمري.. طالبة بالفرقة الرابعة في إحدى الكليات العلمية.. أعجبني شاب يعمل في نفس المنطقة التي أسكنها، وسرعان ما تحول الإعجاب إلى حب تسلل خلسة إلى قلبي رغم عهد قطعته على نفسي أن يظل قلبي مغلقًا حتى ألتقي من أرتبط به زوجًا لكنها مشيئة الأقدار، فالحب يقتحم حياتنا مثل رشق السكين ..، كنت أتعمد المرور أمامه كي ألفت نظره دون جدوي، لذلك قررت الكف عن محاولاتي الفاشلة ثم حدث أن رآني مرة أسير برفقة صديقة لي وإذا به يطيل النظر إليها، وكأنما يريد أن يعرف منها هويتي لكنه لم يتكلم ولا أعرف عنه شيئًا سوى اسمه فقط.. تتملكني رغبة جارفة أن أعرف مشاعره نحوي فأنا أتمناه زوجًا لي..، فكرت كثيرًا أن أصارحه بحبي بينما لا يطاوعني عقلي بحكم تربيتي الدينية والشرقية.. إنني مهتمة بدروسي كي أنتهي هذا العام من دراستي الجامعية لكنه يشغل تفكيري وأوقاتي وأحلم معه بقصة حب تتوج بالزواج .. ماذا أفعل؟!».

إنها أحلام طبيعية لذات العشرين ربيعًا، وهي لا تنتقص من كرامتها.. ولكن السؤال: ماذا لو تحول الحل والوهم إلى حقيقة؟ هل تستطيع مثل هذه التحكم في عواطفها الفياضة ، وأنوثتها الشابة الدافقة، أم باسم الحب ستتنازل عن بعض أو كل حياتها ، أو عن عرضها لو زاد الحب لهيبًا ، والوعود بالزواج توثيقًا.

ثانيًا الشكوى من غدر حبيب بعد غراميات لم تُذهب العرض:

باسم الحب المتبادل والغرام المستمر المشتعل وتحت إغراء الكلمات المعسولة من

الشاب، وبرضا ورغبة الشابة الملحة في إثبات الأنوثة أفعال العشاق ، قد يستمتع كلا الحبيبين بالآخر بشتى الطرق، ولكن دون اقتحامه الفروج والتفريط في العذرية أو هتك غشاء البكارة، ثم يهجر أحد المحبين الآخر، إما زهدًا لعدم ثقته في عفاف الآخر، أو نتيجة لظروف أخرى، والملاحظ في هذا النوع من المشاكل أن البكاء ليس للتفريط في بعض من العرض أو للمساس بجزء من الكرامة والشرف، حيث إن الطرفين يعتبران ما حدث تجربة لذيذة من تجارب الحياة، ولكن العويل هو للهجران.

فها هو شاب يشكو من هجران المحبوبة بعد قصة حب ساخنة فيقول: «تطورت العلاقة إلى لقاءات خاطفة ثم موعد اعترف فيه كلانا بحب الآخر.. استمرت قصة الحب عامين، ثم عدت إلى المنيا حيث عملي الدائم وموطني الأصلي كانت بيننا خطابات ملتهبة ومكالمات تليفونية ساخنة ورحت أنتظر .. يوم ارتباطي بها.. فاتحت أبي لكن القدر لم يكمل فرحتي فقدت فرحتي فجأة فقد مات أبي، وكان على الانتظار طويلاً وعندما حانت فرصة تحقيق الحلم انتقل عمي إلى العالم الآخر.. أصابني اكتئاب حاد ولزمت غرفتي أنشد العزلة الكاملة .. ومر عام آخر وحبيبتي لم تعد تكترث لرسائلي أو حتى تنتظرني على الهاتف.. في هذه الأثناء التقيت بفتاة ذات سمعة طيبة من عائلة محترمة تعمل مدرسة.. قررت خطبتها كي أضمد جراحي لكن الحب الأول ظل بداخلي يمزق قدرتي على التواصل مع خطيبتي حتى اعترفت لها بقصة حبي وكانت من النبل بحيث أعطتني مهلة للاختيار. قلبي ما زال ينبض بحب الأخري وأحيانًا أشعر أنه بقايا حب وأشواق بينما خطيبتي تحبني وأنا أميل إليها.. الحيرة تنهش عقلي خصوصًا وقد اتفقنا على تحديد موعد عقد القران بعد العيد الصغير.. ماذا أفعل بالله عليك وأين الطريق إلى راحة القلب والضمير والوجدان؟» (١) .

وها هي فتاة الخمسة عشر ربيعًا تشكو الحب والغرام والخوف من هجر الحبيب فتقول، تحت عنوان : (الروح العتمة):

«عمري ١٥ سنة.. تلميذة بالصف الأول في مدرسة مشتركة أحببته قبل عام.. زميلي عربي الجنسية وطلب مني أن يظل حبنا سرًا مكتومًا.. هو يكبرني بأربعة أعوام، وعندما رآنا زميل نتحدث معًا باستمرار نشر قصة حبنا بين التلاميذ فثار حبيبي

---

(١) محبوبتي ٢٩ / ١١ / ٢٠٠١ م.

واتهمني بتدبير ذلك، ثم حاول معي أشياء رفضتها فتركني إلى أعز صديقاتي وحاول الحصول منها على ما لم أسمح له به رغم تحذيري الشديد لها. انتهت قصة الحب الواهم ونسيت بالفعل هذا الشاب المريض نفسيًا لكنني ظللت أعاني من معاملة أمي القاسية كلما تأخرت خارج البيت خمس دقائق؛ لأنها كانت على علم بحكاية حبي القديمة.. عشت مشاعر صعبة مؤلمة كي أجعل أمي تستعيد ثقتها بي لكن حدث ما أعاد القلق إلى الذاكرة فقد رأيت شابًا بكلية الآداب.. أعطاني رقم تليفونه وصورته.. كلما اشتقت إليه رحت أناجي الصورة ثم تحول الإعجاب إلى حب مجنون... مكالمات تليفونية ساخنة ونظرات متبادلة .. صرنا روحين في جسد واحد.. لا نفترق أبدًا حتى انتهت إجازة الصيف وعاد كل منا إلى بيته.. كان لي نعم الصديق.. عوضني حب أمي وأبي وحنانهما المفقود.. كلاهما يعاملني بقسوة شديدة .. فجأة تغيرت أحوال حبيبي وهجرني إلى فتيات أخريات يقضي مع كل منهن فترة.. أصابتني صدمة شديدة فقد تذكرت ما حدث لي مع زميل الدراسة الثانوية.. أخيراً وقعت في حب شاب ثالث يقول: إنه يحبني بجنون لكنني لست واثقة من عهوده رغم أنه أكد لي أنه سوف يتقدم لخطبتي بعد التخرج؟!»[1] .

وهذه مشكلة توضح الفراغ الديني والخلقي ، وضياع معاني العيب من مفاهيم الشاب، فأصبح من اليسير للشاب التنقل في غرامياته من فتاة لأخرى وهي تعلم أنه عابث يريد الاعتداء على عرضها وسلب شرفها، ومع ذلك فهي توافق لكي تتمتع بالحب وتزاول الغرام وتجرب الجنس .

وواضح من صاحبة المشكلة أنها تعاني من فراغ عاطفي، ورغم محافظتها على بكارتها ـ كما تقول ـ إلا أنها سهلة الانقياد وراء كل راغب طالما أعجبت به، إنها في جميع الأحوال أحسن حالاً من غيرها ، ولكنها مرآة صادقة لمشكلة مجتمع يُيسر الرذيلة ويدعو إليها في خفاء ؟!

ثالثًا: الشكوى من غدر الحبيب بعد سلب العذرية :

في هذا النوع من المشاكل المعروضة للحل في الصحف والمجلات يلاحظ أن الشاكيات دائمًا بنات في الأصل عذراء ثم فرطت ـ كما يقول جميعهن ـ في أعز ما

---

(١) مجلة محبوبتي ٢٩ / ١١ / ٢٠٠١م.

تملك، وحيث إنها لم تكن أمينة على عرضها ، فمن الطبيعي ألا يأتمنها من سلبها عرضها على عرضه إذا تزوجها مستقبلاً ، وبالتالي فأغلب هذه الحالات تبدأ بوعود براقة بالزواج، وتنتهي بالهروب، وأحيانًا تفرط البنت في شرفها بكل سهولة نتيجة رغبتها الجنسية الجامحة ، فهي تعلم علم اليقين بأن من تعاشره قد اقترف هذه الأعمال من قبل وليس من المستبعد هجرها ولكنها تكذب على نفسها لقضاء شهوتها، وللأسف القليل من هؤلاء هن اللاتي يبكين على عرض مسلوب، والكثيرات يتباكين على حبيب قد هجر.

ومن هذه المشاكل ما جاء في محبوبتي يوم ٢٩ / ١١ / ٢٠٠١م. تحت عنوان: (غرفة الأحزان):

(طالبة جامعية . . عمري ١٨ . . منذ سنوات وقعت في حب شخص يمت لي بصلة قرابة. . ظل حبنا صامتًا بعض الوقت حتي اعترف لي بحبه وهيامه وتعاهدنا على الوفاء. . رحت أحلم والانتظار صعب. . أحلم بعش دافئ يجمعنا حتى نهاية العمر. . أحلم بالزواج منه حتي لو في غرفة على السطوح. . أحلامي راحت تكبر زهوراً جميلة الألوان. . نخرج معًا. نتبادل الأحاديث والضحكات والأمنيات حتي جاءت لحظة طلب فيها المزيد لكنني رفضت باستماتة. . بدأ يتغير. . لم يعد الشخص الذي وقعت في هواه. . يماطل في تحديد موعد الخطبة. . ينتحل الأعذار الواهية فقررت الابتعاد عنه خوفًا من لحظة صادمة. .

عندما ابتعدت هجرني ولم يسأل عني. . انكسر قلبي وحاولت نسيانه بشخص آخر لكنه استغل ظروفي النفسية وسلبني أعز ما أملك. .أصابني حزن شديد ولزمت غرفتي حتي أصبحت أعيش في غرفة أحزان. . كنت رومانسية حالمة، وفجأة اكتشفت زيف الناس والخداع والنفاق. . زمن جبان أعيشه رغمًا عني. . إنني أفكر في التخلص من حياتي بعد أن خدرني الشخص الذي وثقت به وغدر بي. . لماذا تحولت الدنيا إلى غابة والأحباء إلى وحوش . . هل انتهى زمن الحب إلى غير رجعة؟!».

للأسف طالبة الجامعة ذات الثمانية عشر ربيعًا تفرط في عرضها بسهولة وتسمح لنفسها أن تكون ضحية، ثم تتساءل: لماذا تحولت الدنيا إلى غابة والأحباء إلى وحوش؟ ثم تتعجب : هل انتهى الحب إلى غير رجعة؟!

أيتها الضحية، الحب لا يعني مزاولة الجنس، ولكنك وأمثالك ضحايا مجتمع

مريض نبـذ تعاليم دينه، وخـرج عن عاداته القويمة وأخـلاقه الرفيعة إلى حـيث يريد الشيطـان، فلم يعد لأولادنا ديـن يتبعون شرائعـه ولا قانون يرتدعون بـأحكامه، ولا أخلاق قويمة يستظلون في واحتها.

جاء بجريدة المساء ٢٦ / ٤ / ٢٠٠٢م تحت عنوان: (تنازلات رخيصة):

«تبدأ قصتي عندما كنت أعمل معه في مكان واحد يجمعنا سويًا طول الوقت.. كان على علاقة بصديقة لي في العمل لكنه لم يكن يحبها تركها، وابتعد عنها وتركت هي العمـل وتركتني وحدي مسؤولـة عن محل كبير رغـم صغر سني فأنا في الـثامنة عشرة من عمري.

كانت عليه ديون كثيرة فوقفت بجانبه وأعطيت له كل ما كان يطلبه من نقود ومن ذهب.. صدقينـي.. أحببته أكثر من نفـسي، وكنت أخشاه في كل شـيء أفعله في الملبـس وفي المكياج حتـي في الكلام ثم بعـد ذلك تطورت العـلاقة بيننا إلـى أقصى حد.. وقف والدي إلى جـانبه ووقفت أمي أيضًا إلى جانـبه بإعطائه مبلغًـا كبيرًا من المال تـقدم إلى والدي لـكي يخطـبني علـى أن تتم الخطـبة سرًا حتـي لا يعلم أهـله ويطردونه من المحل.. بعـد إلحاح شديد مني على والدي وبعد تهـديد مني لهم وافق أبي لكـنه غدر بي وأخبـرني تليفـونيًا في الـيوم المحـدد لإعـلان خطبتنـا أن والدته مرضت ودخلت المستـشفى ثم أفاجأ أنه يخطب واحدة أخرى من بـلدته ثم يقول لي أخوه الأكبر : إنه يـحبني لكنه مشتت لا يـعرف ما الذي يفعله.. إنـني أعيش في حزن وحيـرة فرغم الذي حدث مـنه في حقي لا أسـتطيع أن أبتـعد عنه لأنه يـعيش بداخلي، ولقد سيطر على قلبي وعقـلي وكياني كله ، وصرحت لأخيه عن كل شيء بيننا والمشكلة ليست في ذلك فقط المشكـلة أن عريسـًا تقدم لي فإن قلـت لك إنني لو ابتعدت عـنه فهذا معناه الموت بالنـسبة لي.. فأخوه بعد أن عرف الـتنازلات التي تمت بيننا أكد لي أن خطوبته هذه لا تستمر كثيرًا لأنه عنده إحساسًا أكيدًا أنه يحبني ، ولكن ليـست هذه هي المشكـلة.. هل أصارح العريس عـما فعلته مـع الحبيب الأول والأخير أم أنتظـره حتي يصحو ضميره ويعـود إلى ثانية.. فضميري يـعذبني من أن أرتبط بإنسان غيره بـعد هذه التنازلات رغم أنني حافظت على نـفسي وشرفي وآسفة عن إطالة الرسالة ، ولكن لا تطلبي مني أن أبتعد عنه أو لا أفكر فيه لأنني لا أستطيع ذلك».

هذه المشكلة توضح عدة عناصر:

١ ـ الفتاة تعلم مسبقًا أن الحبيب لعوب وكان له علاقة بأخرى طردت خوفًا من الفضيحة.

٢ ـ الفتاة مثقفة جنسيًا تمتعت تمتعًا كاملاً من الناحية الجنسية دون أن يفض بكارتها «زنا بدون إيلاج» وهي أفضل من غيرها.. رغم أخطائها .

٣ ـ المشكلة ليست في حبيب غدر ولكن في حبها الشديد له، فهناك من تقدم للزواج منها.

٤ ـ المشكلة أساسًا سببها الاختلاط غير المشروع بين الشباب والشابات، وعدم اتباع تعاليم الدين في ذلك.

٥ ـ الشاب اعتبر ما ناله من مزايا نقدية مقابل ما بذله من علاقات جنسية لإمتاع الفتاة، كما أنه فقد الثقة بها فتقدم للزواج من غيرها.

وهذه مشكلة أخرى عجيبة شاب خطب فتاة عن حب طاهر عفيف «عذري» وعندما نالها قبل الزفاف مباشرة زهدها : «واستمر حبنا سنوات طويلة تقدمت لخطبتها.. بعد عام من الخطب تعرضت فتاتي لموقف صعب. حاول بعض الشباب المنحرف التهجم عليها في الشارع لكنها استطاعت الهروب منهم. ترك هذا الحادث آثارًا نفسية صعبة لديها حتى باتت حزينة منطوية تهرب من رؤية الناس والحديث معهم.. ذات يوم ذهبت لزيارتها كي أطمئن عليها.. كانت في حالة ذهول وخوف وانهيار.. خائفة أن أتخلى عنها خصوصًا وموعد الزفاف لم يبق عليه سوى شهر واحد.. قمنا بالانتهاء من كافة التجهيزات حتى فستان الزفاف والطرحة والتاج.. يومها أصبحت زوجتي.. لا أعرف كيف حدث ذلك فأنا واثق من أخلاقها وقيم مقدسة تسكن منها القلب والعقل والضمير.. عندما عدت إلى البيت أصابتني حالة من الدهشة والاستغراب فكيف تعطيني نفسها قبل الزفاف.. هل أتزوجها أم أتخلى عنها رغم الحب والاقتناع ؟! » .

هذا وقد جاء بجريدة محبوبتي ١٤ / ٣ / ٢٠٠٢م عمود بعنوان: (ضحايا الخداع العاطفي!)

«رسالة لم تكن الوحيدة.. عشرات الرسائل وصلتني من بنات في سن الزواج

ومراهقات تركن لمشـاعرهن الانطلاق في حدائق الوهم والخيال حيـث تتوهج المشاعر ويدق القلب بعنف لـرؤية شخص ما. . يتبادل العاشقان النظـرات الولهى واللقاءات والأحاديث التليفـونية الهامسة. . يتحول الحب إلى إغـراق في أحلام وردية. عذابات الليل ونهـارات تحرم صاحبها الراحة وطعم الـفرح ثم تأتي الصدمة القاتـلة. . فتيات كثيرات يقعن في نفس الخطأ عندما تستـسلم البنت لوعود كاذبة وكلام معسول يهمس به شباب ليس لديهم وازع من ضمير يخفي الحقيقة ويتمادى في الكذب والخداع دونما مراعاة لمشاعر الطـرف الآخر، وعواطفه ومستقبله والحصاد مزيـد من التعاسة والمرارة وفقدان الثقة بالجنس الآخر.

أزعم أننا استطعنا مساعدة كثيرين خـلطوا بين الحب والجنس بحثًا عن متعة براقة زائفة. . خدعـتهم الموسيقى المخـمورة التي تغيب الـوعي وتدفعهم يرقـصون كالدب الغـبي في قـيود الألم. . سانـدناهم بـالتضـحية وتوخـي الحذر . . غسـل الأحزان والمتاعب. . تجاوزها والقفز فـوقها كعصفور يتخطى العشب والبحـيرات تلمسًا لمباهج الفرح. . اسـتطعت إنقـاذ كثيرات من مـصيدة الخداع والغـدر وكم أسعدتنـي رسائل تتوالـى تؤكد الفـهم والاقتنـاع والعمل بـالنصيـحة . . معرفـة المسافة بـين الصواب والخطأ. . بين الحـرية المسؤولة والفوضـى . . بين الحقيقة والـزيف وبين أولاد الحلال وأولاد الحرام في زمن كثرت فيه الثعالب والذئاب وانتصر فيه ما في الجيب على دقات القلب، والجمال المصـنوع على جمال الروح والأخلاق بينما جمال بـلا فضيلة كزهرة بلا عطر».

وقد أجادت الجريدة التعبير وصدقت في إسداء النصيحة في حدود الواقع الفعلي الحالي.

وكانت النتيجة المتوقعة هي انعدام الثقـة بالنساء فها هو شاب يشكو فيقول ـ كما جاء بمجلة حريتي العدد (٦٤٩) يوليو ٢٠٠٢م:

«كثيرًا ما سـمعت عن انحرافات للشبـاب يقشعر لها البدن ولا يرضـى عنها دين ولا تقرها الأعراف!!

ومن هذا المنـطق أحببت فتاة، وأردتهـا زوجة. . والحمد لله أنـني لم أفعل وإلا كنت وقعت في شر أعمالي. . فالإنسانة الوحيـدة التي اخترتها لتكون شريكة لعمري

فاقت كل حدود التسيب ، وحطمت في ذهـني كل الصور الحلوة لبنات حواء عامة!! أتتصورين ؟! . الفتاة التي تصورتها ملاكًـا عرضت على نفسها. . استعدت أن تفرط في جسدها باسم الحب. . إذن ـ كلهن سواء . . فلماذا كنت أتحرج في إقامة علاقات من هذا النوع ما دامت حواء راضية وتستبيح مـثل هذه العلاقات غير المشروعة، بينما شاب مثلي كان يستهجنها؟!».

رابعًا: الاستهانة بالفضائح الجنسية وتقبلها كأمر واقع:

منذ زمن ليس بالبعـيد كان للفضائح الجنسية وقع أليم مريـر، ويرى فيها المجتمع قمة الاسـتهجان والاحـتقار ، وكان أبـطالها يؤثـرون الاختفاء والـبعد عن المجـتمع ونظرات النـاس العاتبة ، وقد يفـضل بعضهم الانتـحار وعدم مواجهة الفـضحة. ثم توالت الفـضائح وأصبحت مـنتشرة في كل مكـان وزمان وكافة المجتمـعات ، وسائر الأسر، ومن كثرة الـفضائح اعتادتها الأسماع وألـفتها الآذان، وشيئًا فشيـئًا أصبحت أمورًا معتادة، لـم يعد يلفت النظر منها إلى فضائح المشاهير من كبار المسؤولين أو كبار رجال الأعمال أو الفنانين والفنانات الكبار والصغار على السواء. ومن أشهر الفضائح الجنسية مؤخرًا ، ما جاء بمجلة المصور العدد (٤٠٨٧) فبراير ٢٠٠٣م.

«وأثار شريط «راقصـة معروفة » و«رجل أعمال معروف» في الأسـواق كثيرًا من الهواجس والأسـئلة، كلها تـدور حول حرمة الحياة الخاصـة للناس والتلـصص على أمورهم الشخصية جدًا واستخدامها للإساءة إليهم. . مفاجأة. . الشريط الذي يباع في الشارع مختلف عن ١٧ شريطًا هي كل أحراز القضية. . . أما بقية الشرائط في القضية فلم تفتح . . لأن النيابة لـم تستـدع السيدات اللاتي ظهرن في الشرائط. . لأن «رجل الأعمال » لم يذكر أسمـاءهن فقال: إن الشرائط منذ سنوات ولا يتـذكر من فيهن ، كما أن الـنيابة لا يجـوز لها استدعـاؤهن إلا إذا حصلت عـلى موافقة مـن أزواجهن حسب القـانون، ولأن حضورهن لن يفيـد بل قد يزيد الفضائـح . . وأن الشريط لا يشكل جريمة طالما سجل بمعرفة من ظهروا فيه ولم يتم تداوله خارجهم. . .

ويقول أحد المحامين عن رجل الأعمال: الشريـط لا يدين «الراقصة» لأنها ليست زوجة لأحد. . ولا يدين رجـل الأعمال لأن ضبطه باطل؟! وقد سـئل المحامي: هل يقيم هذا الشريط دليلاً على إدانة «الراقصة» يقول المحامي: إن دليل الإدانة يفترض فيه

أن يكون مشروعًـا وحسب المادة (٣٠٩) من قانون العـقوبات بأن التسجيـل خلسة لا يعتبر دليلاً حتـي لو كشف جناية، ولو كانت جريمة زنا طالما أن الذي سجل لم يكن الزوج أو الزوجة ولم يكن بتصريح من النيابة، فالوحيد المسموح له بتسجيل مثل هذه الأدلة هو الزوج باعتباره كما وصفته محكمة النقض «المثلوم شرفه» يضيف أنها ليست زوجة للغير، وبالتـالي لا يصدق عليها جريمة الزنا كما أن ضـبط الشريط من الأصل باطل لأن إذن الضبط كان خاصًا بخمور وأشرطة مستوردة كما أنه علاقة خاصة.

أضاف أن الشريط يرجع لأكثر من ثمانـي سنوات سابقة قبل زواجها ، وأضاف أن القول بأنها لم تكن تعلم بتصوير الشريط جعلها طرفًا في القضية كمجني عليها في جريمة التسجيل خلسة».

وقد تـعرضـت جريـدة الأسبوع في عـددها الصادر ٢٥ / ١ / ٢٠٠٣م لــهذه الفضيحة، فمما جاء فيها تحت عنوان (بعد الفضيحة . . هل تعتزل الرقص؟)

في حوار بدا مبتوراً : الراقصة ـ ظهرت مرتبكة ومتناقضة وتوجه اتهامات بالجملة لفتيات مصر.

مؤخراً ظهرت الراقصــة على الشاشة الصغيرة من خلال الحـوار الذي أجراه معها الكاتب الصحفي محمود سعد في برنامـجه «على ورق» في حلقة خاصة من البرنامج عرضـت على شـاشة ال ـ «MBC» اعترفت فيـه بالندم على ما حدث عـلى طريقة سامحوني!!

بداية. . أكدت أنهـا فوجئت بما نشر وأنها كـانت تستعد لإقامة حفـل عيد ميلاد ابنها (عـلي) وحجزت له قاعـة احتفالات ثم قرأت في الجـرائد عن حفلة مـاجنة في قصر رجل الأعمال المقبوض عليه متورط فيها راقصة حاصلة على مؤهل عال بالمشاهد الجنسية الساخنة، وفي أوضاع مخلة فعرفت أنها المقصودة، فهربت إلى أمريكا.

ونحن نـسأل: لماذا وكيف فوجئت بما حدث؟ ألا تـدري إن كانت قد فعلت ذلك أم لا؟! ثم ما دامـت تعتقد أنهـا بريئة فلمــاذا لم تمكث في مصـر لتدافع عن نفـسها وتثبت براءتها ؟!

واعترفت أنها كانـت متزوجة عرفيًا منه وقالت: تزوجته مـنذ (١١) عامًا وانتهى الزواج بالطلاق عام ١٩٩٣م ، ولا أتوقع مطلقًا خلال معرفتي بشخصيته أن يكون قد

صور لي هذه المشاهد!!

ونحن نسأل: إذا كانت قد تزوجت بالفعل ونحن نشك في ذلك. فلماذا لم تعترف بهذا الزواج إلا الآن؟ ثم إذا كان كلامها صحيحًا فهل يعقل أن يقوم إنسان عاقل - حتي ولو كان ضليعًا في العربدة والفجور - أن يصور زوجته ويلتقط له ولها صورًا وهما يمارسان معًا العملية الجنسية، بل ويظهر إصراره على تسجيل كل لحظة ويظهر بوضوح معرفة الراقصة ودرايتها بالتصوير بدليل أنها شاهدته وهو يقوم بالتأكيد على أن الفيديو يعمل بكفاءة؟!

وعن هذا الزواج العرفي قالت: لم أكن أدري أنه سيسبب لي مشاكل بهذا الحجم، فأنا في البداية لم أكن أشعر بالضيق من الزواج العرفي.. فأول زواج في حياتي كان من زميل لي في فرقة رضا وكان شرعيًا وكان عمري وقتها ١٧سنة، وقد تعذبت حتى أحصل على الطلاق عذابًا لا يمكن تخيله.. بعدها تزوجت عرفيًا والزواج الرابع كان شرعيًا والخامس شرعيًا.. أما زواجي من رجل الأعمال فلم يكن يدري به أحد، وكنا لا نخرج سويًا وأعتقد أن هذه الشخصية التي تزوجتها عرفيًا كانت شخصية محترمة وأمام كل الناس، وهناك الكثير من الزيجات نتجت عنها أضرار وأنا تضررت كثيرًا وإذا اتضح أن هناك فعلاً شرائط فاضحة سيكون الضرر فادحًا.

السيدة لا تشعر بالضيق مطلقًا من الزواج العرفي وتبرر إقدامها عليه بصعوبة طلاقها وهي بذلك تفتح الباب على مصراعيه أمام الإقبال على الزواج العرفي وكما أنها متناقضة في تبريرها هذا لأنها وكما اعترفت تزوجت شرعيًا مرتين بعد ذلك فعلى من تضحك بالضبط ؟!

وعن عدم لجوئها للقضاء . ما دامت ترى أنها بريئة - قالت : أنا أعلم أنني لا أستطيع من الناحية القانونية فعل أي شيء لأن القضية نفسها سقطت لذلك فأنا لا أستطيع إقامة دعوى ضده لأنها ستكون - ساعتها - دعوى تعويض، وأنا لا يستطيع أحد أن يعوضني عما حدث !

وعن إمكانية زواجها للمرة السادسة قالت: منذ عدة شهور قلت في قناة عربية: إنني سأتزوج سادسًا وعاشرًا.. ما دمت أحب.. أما الآن فلا.. اليوم أنا أخاف حتى

من الزواج الشرعي.. فأنا لا أدري ماذا يمكن أن يـفعل بي زوجي ثم راحت في نوبة من البكاء.

ونحن نسأل الفنانة: علام تبكي بالضبط هل ندمًا على ما فعلت ؟! أم ندمًا على معرفتـها برجل الأعمال سـواء أكانت قد تزوجته أم لا؟! أم تـبكي على الفـضيحة؟! وأكدت صحة ما قيل عن رغبة رجل الأعمال فـي اعتزالها الرقص والجلوس في المنزل لكي يتزوجها شرعيًا.

وتؤكد أنا غير مخطـئة وتستعيذ بالله من أن تكون قد صـورت مثل هذه المشاهد الجنسية فهي ـ على حد تعبيرها ـ ليســت شاذة بل امرأة طبيعية !! وهنا يظهر بوضوح التناقض والتضارب في أقوالها ، فهي تارة تـؤكد إنها تزوجت به عرفيًا وتارة تنفي أن تكون قد صورت هذه المشاهد، وتارة تقول إنـها ستكون قد تضررت جدًا إذا كان هذا الرجل قد صـورها ونحن نسألهـا: كيف تنفين أن تكـوني قد قمت بهذه المـشاهد ثم تلومين رجل الأعمال إذا كان قد صورك ؟! ولـم تقل لنا كيف عرفت أن هناك مشاهد شاذة جنسيًا. لتنفي عن نفسها تهمة الشذوذ ؟!

ويترك الحوار الفـضيحة ليتنقل الحـديث إلى موضوعات أخرى تعتـرف بأن لديها مشكلة تؤرقهـا وهي علمها بأن الرقص حرام ، ومع ذلك تصر عـليه ونفت أن تكون قالت: إنها تنفق على ابنها من الرقص لأنها تعلم أن الأرزاق بيد الله.

ولم تقل لنا لم تـصر على الرقص ما دامت تعلم يقـينًا أنه حرام؟! وما دامت لا تنفق منه على ابنها ؟ ولماذا لا تستطيع ـ على حد قولها ـ الاعتزال الآن؟

وتعود لـــتؤكد عـلى نـفسـها التهـــمة من حيـــث أرادت أن تبرئ نفســها حيث تقــول: لست الآن في حــالة تســمح لي باتــخـاذ القــرار ولكنـــي بصـــدد إعـادة حسابــاتي، وبالفعــل أنا نادمة علـــى زواجي من رجـل الأعمال ولم أكن أتــخيل أن يحـدث منه ذلك !! وفـي إصرار شـديد تؤكد أن ما حدث معها يحـــدث مـع كثير من الفتـيات الآن وبخاصة في الجـامعة.. فهل تريـد ذلك أن تسيء إلى كل فـتيات مصر؟!».

ومن المثير للدهشة وللعجب أن الرجـل في مصر وأكثر الدول العربية والإسلامية التي لا تحكم بشريعة الله، يستطيـع أن يزني بمن شاء من نساء طالما ارتضت النساء أو

الأزواج ذلك فلا تثريب عليه. ويستطيع أن يجمع في الزنا أو الزنا السري «الزواج العرفي» بين أي عدد من النساء بلا أي عقاب قانوني.

أما إذا تزوج شرعيًا من أربع وجمع بينهن ثم أخطأ في الزواج من خامسة، قبل انقضاء عدة مطلقة من الأربع، فتقوم الدنيا ولا تقعد وقد يسجن من جراء ذلك.

فقد تزوج أحد رجال الأعمال أكثر من زوجة وكان على ذمته أربع، طلق إحداهن وكما قيل ـ والله أعلم: إنه تزوج الخامسة قبل انقضاء عدة المطلقة وبالتالي اعتبر أنه جميع بين خمس زوجات.

ومما جاء في مجلة حريتي العدد (٦٨٦) مارس ٢٠٠٣م. (دفاع شهريار [١] قدم فتوى للمحكمة تؤكد حقه في الجمع بين خمس زوجات طالما طلق الرابعة . . طلقة بائنة).

تحولت قضية رجل الأعمال فجأة ١٨٠ درجة. . بعد أن كان يواجه عقوبات خطيرة قادته إلى الأشغال الشاقة سبع سنوات. . شهدت محكمة جنايات القاهرة في جلسة إعادة محاكمته «الوحيدة» قبل النطق بالحكم يوم ٢٨ مايو المقبل مفاجأة كبيرة. . قلبت الموازين في القضية بتقديم «دفاع «شهريار المصري» لفتوى من دار الإفتاء. . حصلت «حريتي» على نسخة منها موقعة باسم المفتي الدكتور أحمد محمد الطيب. . جاءت في صالح رجل الأعمال وأعطته الحق في الزواج من خامسة ما دام طلق الرابعة طلقة بائنة ولم يدخل بها.

هذه الفتوى جاء فيها أن طلب الحصول عليها تضمن أن السيدة قد طلقت من قبل الدخول بها وأرفق صورة إقرار من مصلحة الشهر العقاري بأنه لم يدخل بها، وأن ما ورد بوثيقة الطلاق عن طريق الخطأ بأنه دخل بها غير صحيح !! أضافت الفتوى أن الشريعة الإسلامية أباحت للرجل أن يجمع في عصمته ٤ زوجات في وقت واحد وأن الجمع بين أكثر من ٤ زوجات محرم شرعًا».

لقد انطبق علينا وا أسفاه ما وصف الله به اليهود: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ [البقرة: ٨٥]. وقوله تعالى: ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ** ﴾ [النجم: ٢٣].

---

(١) أطلقت وسائل الإعلام على الرجل اسم شهريار ، ولم تطلق هذا اللقب على من عاشر عشرات وربما مئات النساء دون زواج .

خامسًا مشاكل هتك غشاء البكارة في ضياع العذرية:

إن ما يخلفه الاغتصاب الجنسي من مشاكل للنساء، يفوق ما يخلفه من مشاكل للاعتداء الجنسي على الذكور من الأطفال، وتتعاظم هذه المشاكل إذا لحق الاغتصاب الأبكار من النساء اللائي لم يسبق لهن الزواج . ويختلف الاغتصاب للعذارى عن الزنا باتفاق أي برضا المرأة، حيث إنه غالبًا لا يؤدي إلى فضيحة إذا لم يكتشف ، ويمكن حل مشاكله نسبيًا بلا فضائح إذا اكتشف، ومرجع ذلك أن الأهل يستطيعون علاج آثاره بسكون وسكوت وعقل وتعقل كما أن المرأة تستطيع التصرف إذا لم تتزوج عشيقها ، فهي قد تلجأ لإجراء جراحة لمحاولة رتق غشاء البكارة، أو التخلص من الحمل إن وجد والإجهاض.

ودعاة تحرر المرأة لا يعتبرون الزنا المتبادل بالرضا جريمة شرف أو حتى جريمة أخلاقية، حيث إن طرفيها لهما حرية التصرف الكاملة فيما يملكون «حرية الجسد والتصرف فيه».

أما الاغتصاب فهو جريمة لا تمس الشرف ولكنه جريمة إنسانية لأنه امتهان لإرادة المرأة الحرة وإنسانيتها.

ويمكن القول: إن مشاكل الاغتصاب «الوطء بالإكراه»، هي نفس مشاكل الزنا بالتراضي ، ولكن المشاكل تتفاقم إذا أدى ذلك إلى الإضرار ببكارة العذراء .

ثالثًا: انهيار الأسرة :

أدى الانحراف الجنسى إلى انهيار الأسرة على النحو التالى :

المواليد غير الشرعيين :

بين أيدينا أرقامًا صارخة لإحصائيات عن نسبة المواليد غير الشرعيين في سبع من دول أوربا الغنية المتقدمة [1]؛ هي: الدانمارك ، وفرنسا، وبريطانيا ، وأيرلندا، وألمانيا، وهولندا، وإيطاليا، حيث بينت هذه الإحصائيات الزيادة السريعة خلال عقدين من الزمان في هذه الأرقام، وجمعت الدانمارك أعلى الأرقام؛ حيث ارتفعت نسبة المواليد غير الشرعيين فيها من ٥ ٪ عام ١٩٦٠ م إلى ٤٦ ٪ عام ١٩٩٠م؛ أي

---

(١) تقرير ألبرتا (٤ من أغسطس ١٩٩٧م) ، حرره «ليم روزيسلر».

أنها تضاعفت تسع مرات خلال ثلاثين عامًا، أما باقي الدول السبع، فتشير إحصائيات عام ١٩٩١ م إلى أن هذه النسبة هي: ٣١,٨ ٪ في الدانمارك، ٢٩,٨ ٪ في بريطانيا و ١٦,٦ ٪ في فرنسا، وفي أيرلندا (تضاعفت عشر مرات، و١٥,١ ٪ في ألمانيا، و١٢ ٪ في هولندا، و٦٪ في إيطاليا ، أي أن حوالي نصف مواليد الدانمارك لا ينتمون إلى أسرة مستقرة، ويقابلهم ثلث عدد المواليد في بريطانيا، وفرنسا، حيث إن حوالي نصف الأطفال المولودين في الدانمارك والسويد عام ١٩٨٨ م غير شرعيين، وحوالي ٣٥ ٪ في فرنسا و٢٥ ٪ في بريطانيا ، وإن ما يشجع على استمرار هذه الزيادة هو الضمان الاجتماعي الذي يكفل للأم وطفلها الحصول على تكاليف السكن والمعيشة خارج نطاق الأسرة التقليدية الصحية، والتي تحصل عليها المرأة على حساب «دافعي الضرائب» في حالة إنجابها خارج نطاق الأسرة التقليدية، ففي بريطانيا تشير إحصائيات عام ١٩٩٥م إلى وجود (٦٥٠٠٠) حالة حمل سنويًا لفتيات مراهقات، تقل أعمارهن عن السن المسموح به للزواج، فبدأت اليوم مؤخرًا بمحاولة تقليل ما تدفعه لهؤلاء الأمهات من سكن معيشة بإجبار والد الطفل على المساهمة في نفقات معيشته إذا كان متمكنًا ماديًا ، إلا أن هذه الحملة لم تحظ بالنجاح بسبب رفض معظم الفتيات التصريح باسم الأب لحجج مختلفة مثل: خوفهن من الانتقام، وتأثير ذلك على الطفل، ولكن السبب الأساسي هو رغبتهن في استمرار الضمان المادي الكامل من الدولة، إضافة إلى ما يمكن أن تحصل عليه كل منهن من مال في الخفاء من والد الطفل؛ وهو أقل مما سيدفعه حسب القانون [١] .

ولقد تضاعفت أرقام الولادات غير الشرعية عدة مرات في بريطانيا خلال النصف الثاني من القرن العشرين من ٥ ٪ عام ١٩٥٠ إلى ٢٥,٦ ٪ عام ١٩٨٨م.

وفيما يلي جدول يبين عدد الولادات غير الشرعية لكل (١٠٠٠) ولادة في بعض الدول الأوربية (١٩٩٣م) [٢] .

---

(١) المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة ، شذى سلمان الدركزلي ، ص ٨٧ .

(٢) السابق، ص (٨٧).

الدولة	١٩٦٠م	١٩٧٠م	١٩٨٠م	١٩٨٨م
الدانمارك	٧٨,٢	١١٠,٣	٣٣١,٧	٤٤٦,٨
ألمانيا	٦٣,٣	٥٤,٦	٧٨,٦	١٠٠,٧
فرنسا	٦٠,٧	٦٨,٤	١١٣,٨	٣٦٢,٣
أيرلندا	١٥,٩	٢٦,٥	٥٠,٣	١١٦,٧
إيطاليا	٢٤,٢	٢١,٨	٤٢,٩	٥٨,١
المملكة المتحدة	٥٢,٢	٨٠,٤	١١٥,٢	٢٥١,٤
النرويج	٤٠	٦٩	١٤٥	٣٦٠
السويد	١١٢,٨	١٨٣,٩	٣٩٧,٢	٤٨,٣٨

الأسرة الجديدة:

تشير «آبوردين ونيزبيت» بصراحة تامة إلى أنه مما لا شك فيه (أن أي تدمير في العائلة يقع تأثيره بصورة أساسية على الأطفال الذي يحرمون من أشد ما يحتاجون إليه؛ وهو الرعاية والحب، والشعور بالأمان والقيم، والأنموذج القيادي. . والحل المقترح هو إما عودة الأم إلى البيت وترك العمل ، أو عمل المرأة وتكلف الدولة كليًا برعاية الطفل.

وتشير آبوردين ونيزبيت إلى أن النسبة المئوية للأسرة التقليدية ؛ أصبحت تمثل ١٠ ٪ من العوائل في أمريكا ، و١١٪ في بريطانيا ، وهبطت النسبة المئوية للأسر الأمريكية التي تتكون من زوجين وأطفال من ٤٠ ٪ لعام ١٩٧٠م إلى ٢٦ ٪ لعام ١٩٩٠م كما هبط معدل عدد أفراد العائلة التقليدية في أمريكا من ٣,٥ في عام ١٩٥٠ إلى ٢,٦ في عام ١٩٩٠م كذلك تؤكد سوزان هاتمان إلى أن اتجاه المرأة نحو العمل رفع من مستواها الثقافي وقلل معدلات الولادات ، إلا أنه في الوقت نفسه رفع نسبة الذين يعشن مع رجل دون رابطة رسمية من ٨٪ عام ١٩٨١ إلى ٢٠٪ عام ١٩٨٨م.

فهل ـ خلاف ما نعلمه عن الشكل الطبيعي للأسرة الشكل الحالي ـ يمكن أن يطلق عليه مصطلح الأسرة؟ الإجابة قد تكون لا؛ حيث ظهرت سمات مشتركة للأسرة الجديدة في العالم، منها:

١ ـ رفض الأمومة وانخفاض معدل الإنجاب:

لقد كانت أحد أهم شعارات حركة تحرير المرأة إضافة إلى معاداتها الواضحة للعائلة والرجل ـ هو معاداتها لفكرة أن المرأة أم بالطبيعة، وتعتمد على الزوج في حياتها، وأن محيط المرأة الطبيعي هو العائلة، وترى «جين لويس» أن هذا الشعار يتناقض مع تفاخر الحركة النسوية بحصولها على حق المرأة في حضانة طفلها في عام ١٩٥٢م في بريطانيا، بعد أن كانت محرمة منه؛ لأن هذا الحق يناقض اعتراض الحركة على كون المرأة أمًا بالطبيعة ، كما تشير لويس إلى تناقض آخر؛ وهو أن استبيانات المجلات النسوية تشير إلى أن غالبية النساء يعتبرن الزواج والأمومة هنا أهم من أي أمر آخر، إلا أن ٧١٪ من حالات الطلاق لعام ١٩٨٤ م هي من النساء.

٢ ـ الفردية وعائلة الإنسان المنفرد:

تسجل بريطانيا أعلى نسبة لما يسمى بعائلة الوالد المنفرد في الدول الأوربية، كما ورد في صحيفة التايمس الصادرة في ٢٧ من سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ م؛ حيث ارتفعت النسبة من حوالي ٨,٣ في أوئل السبعينيات إلى ضعفها (١٦,٧ ٪) في التسعينيات،وتكون النساء ٩٠ ٪ من هذه العوائل ، وتشابه بذلك الأرقام في أستراليا، وتشير جين لويس إلى أن الاتجاهات الاجتماعية الثلاثة بعد الحرب العالمية الثانية كانت:

١ ـ زيادة عدد العاملات المتزوجات.

٢ ـ الارتفاع الدرامي لنسبة الطلاق خلال السبعينيات والثمانينيات.

٣ ـ الارتفاع المذهل في عدد الولادات غير الشرعية.

ولقد أسهم الاتجاهان في تكوين عائلة الوالد المنفردة.

نشرت مجلة (V. S. D) الفرنسية ملفًا عن المعاشرة الزوجية في فرنسا، ذكرت فيه حقائق مرعبة: لقد انتشرت ظاهرة الأسرة ذات العائل الواحد ـ أبًا أو أمًا ـ وارتفعت ، فبلغت (٧٢٣٠٠٠) حالة عام ١٩٧٥ م ، وأكثر من مليون عام ١٩٨١م، ففي باريس وحدها نصف البيوت يقطنها فرد واحد مطلق، أو أعزب، وهو

ما دفع المسئولين إلى التفكير في بناء بيوت خاصة بهذا النوع، والغريب أن هذا النوع من الوحدة هو اختياري بحت يقع باسم الحب لا غير؛ حيث تنتشر فلسفة جديدة تقول: بإمكاننا أن نحب أما أن يعيش الاثنان معًا حياة زوجية فلا. . .»[١] .

٣ ـ العنف في العائلة:

في أمريكا تشير أرقام سنة ١٩٨٤م إلى أن (٢٩٢٨) حادثة قتل تمت على أيدي أحد أفراد العائلة، وثلث عدد القتيلات في ذلك العام كان على يدي الزوج أو الشريك، كما تذكر «آبوردين ونيزبيت» أن أكثر من مليوني امرأة سنويًا تبلغ الشرطة عن حادث اعتداء زوجها أو شريكها عليها فيما لا يعرف عدد الحوداث غير المبلغ عنها، وتقتل يوميًا أربع نساء بسبب الضرب المبرح في البيت في أمريكا.

كما يعزي ٥٩ ٪ من حوادث الطلاق في النمسا لعام ١٩٨٥م إلى استخدام العنف في البيت. . وتشير بارنيت ولافيوليت إلى أن مشاكل العنف في البيت تؤدي ٨٦٪ منها إلى تعرض المرأة للأذى، و ٦٪ إلى تعرض الرجل، و٨٪ إلى تعرض كليهما، وبقدر بأن ما بين (٢) إلى (٤) ملايين امرأة تتعرض للاعتداد سنويًا في أمريكا (مقارنة مع نصف مليون حادث سيارة سنويًا، ويعود سبب الاعتداء في ٧٥٪ من هذه الحالات إلى طلب المرأة الطلق أو الافتراق ، وأن ١,٥ مليون زيارة للطبيب سببها اعتداء الزوج، ويخمن أن ٩١ ٪ من الاعتداءات لا تبلغ الشرطة[٢] .

وتشير جين لويس إلى أن ما بين ثلثي حالات الطلاق تعزي إلى العنف في البيت بصورة رئيسية إلى تعاطي المسكرات وهبوط المستوى الأخلاقي. . وتسعى الكثير من المنظمات النسوية ـ والتي كان لها السبق في التنبيه إلى مشاكل العنف العائلي ـ لإيجاد حلول ثانوية للمشكلة، مثل: توفير المزيد من الملاجئ والمساعدات المادية والمعنوية للضحايا، وتشديد العقوبة على مرتكبي هذه الحوادث، وتدريب النساء على مواجهة العنف بالعنف ، والحث على إصدار القوانين لحماية حقوق المرأة الهاربة من اعتداء الزوج في حضانة أطفالها المعتادة في الحالات الاعتيادية[٣] .

---

(١) إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، محمد الصالح عزيز، الأمة العدد (٧٠)، السنة السادسة، (شوال ١٤٠٦هـ) ص (٤٨ ، ٤٩).

(٢) السابق ص (٩٧).

(٣) السابق ص (٤٩).

وعن العنف الأسري مع الأطفال يقول الكاتب الفرنسي «بول بيورو»: «كثيراً ما نطلع في الجرائد على مصائب الأطفال الذين يسومهم آباؤهم سوء العذاب ، وهذه الجرائد لا تذكر من تلكم الأحداث إلا ما يكون خطراً، ولكن الناس يعلمون أي قسوة يعامل بها هؤلاء الضيوف الثقلاء الذين ضاق آباؤهم بهم؛ لأنهم نغصوا عليهم لذة الحياة، وهذه الأرواح المسكينة لا تجد إلى الوجود سبيلاً إلا حينما تنكص بعض النساء عن الإقدام على الإسقاط ، ولكنهم جاءوا في هذه الدنيا يذوقون وبال مجيئهم فيها حق مذاقه»(١) .

٤ ـ المسنون:

يمثل إنشاء بيوت المسنين ـ التي تأوي الذين لا يستطيعون العناية بأنفسهم، ويرفض أبناؤهم أو أقاربهم تحمل مسئولية رعايتهم ـ أحد مظاهر تحلل روابط الأسرة، إلا أن الغرب يعتبر هذه البيوت أحد مظاهر الحضارة الحديثة، وهي توصف كذلك عادة من قبل من لم يعش في تلك البيوت، وليس بمستغرب أن يغير رأيه عندما يحكم عليه قدره أن يعيش السنوات العديدة الأخيرة من عمره فيها، كسجين ينتظر التغذية والمساعدة من موظفين لا يمتون له بأي قرابة، ويؤدون عملهم بنمط يفتقد إلى أبسط شروط الإنسانية .

ومن الغريب أن الإحصائيات الخاصة بهذه الشريحة من الناس تلحق عادة بالفصول الخاصة بالصحة، وليس بفصل العائلة؛ حيث يصنف كبار السن مع المعوقين والمرضى العقليين والبطيئين في الدراسة ، فتشير الأرقام مثلاً إلى أن كبار السن في بريطانيا يمثلون حوالي ٧٧,٧ ٪، وفي النرويج لا تجد ثلث النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين (٦٧) و (٧٤)سنة أحداً يساعدهن أو يرعاهن(٢) .

رابعًا: انهيار الأمم والحضارات:

يقول الشهيد عبد الله عزام: «الانحلال النفسي والخلقي هو الذي يؤدي إلى تدمير الحياة المادية ذاتها؛ لأن الحضارة لابد لها من ضمان يحميها، ومؤيدات تحفظها ، فإذا غرقت الأمة في وحل الجنس وعفن النزوات الحيوانية فإنها تزول»(٣) .

---

(١) (إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) ، محمد الصالح عزيز، ص (٤٩).

(٢) السابق ص (٤٨ ، ٤٩).

(٣) الإسلام والجنس / فتحي يكن، ص ١٠ .

ويقول أيضًا: «ذهبت الإمبراطورية الرومانية التي استغرق بناؤها ألف عام، وسقطت على يد ضربات من قبائل متوحشة همجية من الوندال والهون ، وذلك بعد أن ألهت روما فينوس الزانية كإلهة الجمال، وباخوس السكير كإله الخمر، وكيوبيد الذي تقول أساطيرهم الموروثة عن اليونان إنه ابن أفروديت ـ آلهة الحب التي زنت من ثلاث آلهة ـ فأصبح كيوبيد إلهًا للحب » [(١)] .

ويقول الكاتب الفرنسي (أندريا موروا) في كتابه: (أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية): «من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسي نتجية لانتشار الرذيلة بين أفراده» وهذا ما حدا بالجنرال ديجول في أعقاب تسلمه زمام السلطة لأن يستدعي رئيس شرطة باريس ويقول له: أغلق هذه المواخير وأوكار الخنافس في عاصمتي » [(٢)] .

* * *

---

(١) العقيدة وأثرها على بناء الجيل، د/ عبد الله عزام ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) العفة ومنهج الاستعفاف ، للأستاذ : يحيى العقيلي ، مرجع سابق .

الفصل الثاني

الآثار المرضية للانحراف الجنسي

قال رسول الله ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[(١)] .

ففي كل فترة يظهر نوع من الأمراض التي لم تعرف سابقًا وإن هذا الدليل يتجدد على صدق نبوته ﷺ وإلا فما أدراه مرض السيلان، القرح اللين، النمو البلغمي، الالتهاب الجنسي، النمو الحبيبي.. مرض الزهري، مرض السيلان، مرض هربس الجنسي[(٢)] .

يقول الأستاذ يحيى سليمان العقيلي: «هذه هي العقوبة الربانية لأولئك المترفين .. ونتأمل في هذا الحديث فنجد أن هذه العقوبة قد تحولت من العقوبة الفردية للمقترف والعاصي إلى العقوبة الجماعية للمجتمع لماذا؟

لأنه رضي بها وبالإعلان فيها «حتى يعلنوا بها» وهذا هي إشارة البدء للهلاك والدمار أن يتقبل المجتمع الممارسات اللا أخلاقية ويرضى بها ويعلن عنها.. كل ذلك بحجة الترفيه والسياحة والتخفيف على الناس من أعباء الأعمال الرسمية ومسايرة المجتمعات المتحضرة»[(٣)] .

نتأمل هذا الحديث مرة ثانية فنجده يشتمل على أربعة مقاطع أما عن المقطع الأول «لم تظهر الفاحشة في قوم » فهو الآن متحقق وجوده في المجتمع الغربي، ونحن نقرأ ونسمع ونرى كل يوم عن هذه المخازي في وسائل الإعلام المختلفة.

إن الشاذين جنسيًا في هذه المجتمعات قد أصبح لهم حق قانوني واعتراف اجتماعي بهم، وأصبحت لهم أنديتهم وجمعياتهم ومجلاتهم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، وحسنه الألباني.

(٢) انظر: سبل العفة وخطورة الانحراف وأسبابه، مريم خميس محمد، ص ٢٩ وما بعدها، دار الوفاء ط ٢ ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م.

(٣) العفة ومنهج الاستعفاف ، يحيى العقيلي، ص ٢٧ ، دار الدعوة الكويت، دار الوفاء مصر، ط ٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

وقد أصبح الشذوذ الجنسي ظاهرة معلنة منذ أواخر الستينيات في الغرب وبالتالي: فإن الشذوذ الجنسي هناك لم يعد يخدش حياء المرء أو كرامته، وشرفه أو رجولته وغدا أمرًا عاديًا أن يتقدم هذا الصنف الثالث من بشر آخر الزمان ليشغل مختلف المواقع والمناصب.

ومن ثم فقد تحقق شرطا حديث رسول الله ﷺ في المجتمع الغربي من ظهور الفاحشة والإعلان بها، فكان لزامًا أن يتحقق جواب الشرط في الحديث الشريف من تفشي الطواعين والأوجاع في هذه المجتمعات.

وإن موضوع الأمراض الجنسية له أهمية كبرى عند الأطباء لما له من خطر على الصحة الجسمية والنفسية للفرد والجماعة.

وأكبر دليل على الاهتمام العالمي بهذه الأمراض هو ذلك المؤتمر الضخم الذي عقد في أمريكا عام ١٩٧٤م من أجل بحث مرض الزهري والأمراض المشابهة له، وقد حضر هذا المؤتمر ألف وخمسمائة أخصائي من خمسين دولة وجمعت محاضراتهم في كتاب بلغ أكثر من خمسمائة صفحة من الحجم الكبير.

ويقول مرجع مرك الطبي، الطبعة الثالثة عشرة ١٩٧٧م: «إن الأمراض الناتجة عن طريق الجنس (الزنا) والعلاقات الجنسية الشاذة هي أكثر الأمراض انتشارًا في العالم اليوم، ويزداد كل عام عدد المصابين بهذه الأمراض وذلك منذ عقدين من الزمان تقريبًا؛ وتقدر هيئة الصحة العالمية عدد الذين يصابون بالسيلان بأكثر من ١٥٠ ألف شخص سنويًا، ويقدر مركز أتلانتا لمكافحة الأمراض المعدية في ولاية جورجيا بالولايات المتحدة عدد المصابين بالسيلان في الولايات المتحدة بثلاثة ملايين شخص، وعدد المصابين بالزهري بأربعمائة ألف، وذلك في عام ١٩٧٦م، وتقول مجلة (Gradguate Doctor) عدد مايو ١٩٨٣م ومجلة التايم الأمريكية ٤ يوليو ١٩٨٣ إن عشرين مليونًا من الأمريكيين يعانون من مرض الهربز التناسلي، ويتم تشخيص نصف مليون حالة جديدة سنويًا في الولايات المتحدة، وفي بريطانيا تم تشخيص (١٥,٠٠٠) حالة جديدة في عام ١٩٨٢» .

وعلى الرغم من الأبحاث العميقة والمبالغ الطائلة التي صرفت على الأمراض الجنسية في الغرب إلا أنها تزداد انتشارًا يومًا بعد يوم كما تزداد الممارسات الجنسية الشاذة.

ويكمن خطر هذه الأمراض الجنسية المحرمة في أنها سريعة الانتقال من المريض إلى الصحيح، فبعضها ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي، وبعضها عن طريق القبلة لحامل المرض ، وبعضها عن طريق اللمس أو استعمال أدوات المريض مباشرة .

ومن هذه الأمراض:

أولاً: السيلان:

السيلان من الأمراض الجنسية الشائعة وتنتشر عدواه بسهولة وتظهر العدوى بعد ٣ إلى ٧ أيام من الاتصال المشبوه وأعراض السيلان لدى الرجال إفرازات مؤلمة وحرقة أثناء التبول أما لدى المرأة فيؤدي إلى بعض الإفرازات، والسيلان إذا لم يعالج معالجة كاملة للقضاء على جرثومته فإن هذه الجرثومة يمكن أن تكمن فترة قبل أن تظهر في أماكن أخرى تسبب مضاعفات للمرضى فقد تسبب العقم للمرأة والتهاب المفاصل واضطرابات القلب . والسيلان من أكثر الأمراض الجنسية انتشاراً نظراً لسهولة وسرعة العدوى به.

طريقة العدوي:

ينتقل مرض السيلان عن طريق الاتصال الجنسي وفي حالات نادرة نتيجة الجلوس على مقعد الحمام الإفرنجي الملوث أو استعمال منشفة أو إسفنجة أو ميزان أو أي أشياء أخرى تحمل الجرثومة الحية عن طريق اللمس أو الاحتكاك المباشر.

أعراض مرض السيلان:

تبدأ الأعراض عادة بمجرى البول مصحوبا أحيانًا بوخز والبعض يشكو من صعوبة أو عسرة عند التبول، وبعد ٢٤ ساعة أو أكثر يلاحظ المريض خروج صديد من مجرى البول قد يكون كثيفًا أو لزجًا حسب نوع الجرثومة ، وأول ما يجذب انتباه المصاب هو ظهور السيلان من مجرى البول أو المهبل وترتفع درجة حرارة المصاب مع الشعور بالصداع وزيادة سرعة النبض ، وبعد أسبوعين تزداد الحرقة والألم عند التبول والتقطع أو قد يحدث العكس؛ إذ تخف الأعراض لدرجة لا تستدعي انتباه المصاب وقد تصل جرثومة السيلان إلى الدورة الدموية فتؤدي إلى مضاعفات خطيرة في القلب وسحايا المخ أو المفاصل أو قد تصل إلى البربخ والخصيتين ، ولا يمكن الجزم بأن المريض مصاب بالسيلان إلا بعد التأكد من وجود الجراثيم في الإفرازات ، وعدم

الجراثيم في الفحص لا ينفي وجود السيلان ؛ إذ قد تظهر فيما بعد فلابد من فحوص متكررة في أيام متتالية.

ثانيًا: مرض الزهري:

مرض الزهري من أكثر الأمـراض الجنسية خطورة على الإنسان نظـرًا لتأثيره على معظم أجزاء الجسم حتي بعد سنوات طـويلة، وهومرض خطير إذ ظل بلا علاج وقد تكون له نتائج سيئة بعد سنوات مـن الإصابة تزيد من خطورته أن أعراضه الأولية قد تكون بسيطة لا يهتم بها ، فهو يسبب قرحة موضعية غير مؤلمة تزول ظاهريًا من تلقاء نفسها خلال أسبوعين أو ثلاثة وقد انتقلت في أثنائها إلى معظم أجزاء الجسم.

طريقة العدوى:

ينتقل مرض الزهري عن طريق الاتصال الجنـسي المباشر أو التقبيل ونقل الدم من مريض إلى شخص غير مصاب وتمريض حامل المرض، واستعمال الأدوات الخاصة به وشرب الماء مباشرة من كأس استعمله .

أعراض مرض الزهري:

مرض الزهري له ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: المرحلة البدئية:

وهي قرحة السفلس، وهي: قرحة صغيرة قـد لا تلفت نظر المريض، تشبه لسعة السيجارة وتكبر هذه القرحة إلى أن تشفـى بعد ستة أسابيع، وفترة حضانة المرض من ٣ ـ ٤ أسابيع وتظهر هذه القرحة على الأعضاء كما تظهر على أماكن الاحتكاك.

المرحلة الثانية: المرحلة الثانوية:

تكون جرثومـة الزهري منتشرة في الجسـم، وتبدأ هذه المرحلة بعـد ظهور قرحة الزهري وقد تتأخر عدة شهور ، وتتميز هذه المـرحلة بالطفح الجلدي الشديد في أكثر من ٨٠ في المـائة من الحالات، ويصـاب المريض بالتـهابات بالـعظام والعين والـكبد وغثيان وقيء وإمساك وألم في العضلات مع ارتفاع في درجة الحرارة وصداع وضعف عام، وبعد انتهاء الأعراض الجلدية في المرحلة الثانوية بأسابيع يدخل في الكمون، ولا تظهر أي أعراض.

المرحلة الثالثة: المرحلة الأخيرة:

وتتميز هذه المرحلة بظهور أورام تنتشر في جميع أجزاء الجسم وفترة هذه المرحلة من ٣ ـ ٧ سنوات .

ثالثًا: الهربز:

مرض الهربز من أخطر الأمراض الجنسية لسرعة العدوى به فهو ينتقل عن طريق الاحتكاك المباشر بالمريض واستعمال أدواته الخاصة والقبلات وعن طريق الجلوس على مقاعد المراحيض أو الاقتراب من الشخص المريض، فلذلك لم يقتصر على العرب ولكنه انتقل عبر بعض المسافرين من وإلى بعض دول الشرق الأوسط.

مكان العدوى:

يصيب الأعضاء التناسلية ومنطقة العجاب والشرج وأعلى الفخذين وكيس الصفن وعنق الرحم وحشفة الذكر أو جسم القضيب.

أعراض المرض:

يبدأ ظهور الهربز بظهور بثور على العضو التناسلي ويشعر المريض بإجهاد عام، وأن صحته معتلة ويصاب المريض بعد تعرضه للعدوى مباشرة وتستمر مدة الحضانة قبل ظهور الأعراض حوالي خمسة أيام، وسيبدأ المرض ببقع صغيرة ملتهبة على سطح الجلد وتظهر على هذه البقعة عدة بثور صغيرة تمتلئ بالماء مكونة فقاقيع ويحيط بها هالة حمراء ثم تنخدش وتصبح خدوشًا سطحية مبللة مغطاة بمادة شفافة.

رابعًا الإيدز:

الإيدز: هومرض فقد المناعة المكتسبة وهو الوباء الآتي من فساد الأخلاق، ويعتبر البروفيسور لوك مونتانييه أول مكتشف له، وقد اكتشف له أكثر من ٧٤٠ حالة عام ١٩٨٥ م وفق تصريحات منظمة الصحة العالمية، وهو مرض لا شفاء منه ولا فكاك إلا بالموت ، والموت البطيء.

وهذا المرض كغيره من الأمراض الجنسية له فترة حضانة ولكن فترة حصانته طويلة من ٣ إلى ٧ سنوات قد يكون الإنسان حاملاً للمرض ولا تظهر عليه أعراضه.

نشرت مجلة الحوادث في عددها رقم ١٥٢٦ الصادر بتاريخ ٢١ يناير ١٩٨٦ م

مقابلة أجرتها في بون مع البروفيسور الدكتور ماتفريد فرانكيه وهو أحد الاختصاصيين في مرض الإيدز ـ أعرض بعض ما ورد الأسئلة باختصار .

س: سمعت أن القبلة تنقل العدوى بالإيدز فما رأيكم؟

ج: نعم هذا صحـيح ويحدث ذلك في حالة ما إذا كانـت القبلة عنيفة فـيختلط اللعاب أو ينـتج عن هذه القبلة جرح صـغير داخل الفم حيث إنـه عن طريق الجروح وإن كانت صغيرة جدًا يمكن لفيروس الإيدز أن يدخل إلى قنوات الدم.

س: ما هي مظاهر الإصابة بالمرض وماذا يحدث داخل الجسم؟

ج : إذا أصيب شخص ما بمرض الإيدز فإن فترة الإصابة بالمرض قد تأخذ ما بين ٣ ـ ٧ سنوات أما مـا يحدث في الجسم فإن الـفيروس يدخل عن طريـق قنوات الدم وبعد ذلك تبدأ خطورته فيعمل على تقسـيم الخلية الخاصة بالمناعة وهي خلايا كريات الدم البيضاء وفي هذه الحالة تكون وظيفة هذه الخلية قد انتهت، وتبدأ المناعة داخل الجسم في الانقراض بينما يتزايد الميكروب ، وعندما تقل المناعة لا يقاوم الجسم أي مرض .

س : ما هي قصة الإيدز ؟ ومن أين أتي؟ وكيف حدث؟

ج: ظهر هذا الفيروس لأول مرة في السبعينـيات في أواسط أفريقيا حيث يحمل هذا النوع من الميكروب أحد أنواع القرود التي يتناولها السكان، ومن المحتمل أن أحد الأمريكان كان يتنقـل هناك كسائح واختلط بأحد السكان المـرضى بالإيدز وحمل هذا السائح الفيروس مـعه إلى أمريكا ولأنه كان يمارس الشذوذ الجنـسي بدأت العدوى في التنقل إلى أن انتقلت إلينا[١] .

ويؤكد الدكتـور حسين الجزائري ـ المدير الإقليمي لمنظمة الـصحة العالمية لإقليم شرق المتـوسط ـ أن التقـديرات تدل على وجـود ٧٥٠ ألف مصاب بـعدوى الإيدز، ويقول وليد بـدوي ـ المسؤول عن الإيدز في المكتـب الإقليمي لبرنامـج الأمم المتحدة للتنمية في نيويورك ـ إنه في الـعام ٢٠٠٢م وحده، تم تسجيل ٨٣ ألف حالة جديدة في المنطقة.

أما الخبير المـصري الدكتور عبد الهـادي مصباح ـ أستاذ المناعة والتـحاليل الطبي وزميل الأكاديمـية الأمريكية للـمناعة ـ فيشـير إلى أن عدد حاملي فـيروس الإيدز في

---

(١) انظر: الجنسية الإباحية والأمراض، عبد الله الرعوجي، مقال على شبكة الإنترنت.

شمال أفريقيا والشرق الأوسط بلغ مع نهاية ديسمبر الماضي ٦٠٠ ألف شخص ، من إجمالي ٤٢ مليون شخص على مستوى العالم، بينهم ٣٠ مليونًا في القارة الأفريقية، وذكر في دراسته التي شارك بها في فعاليات المؤتمر السنوي لمجموعة ألفا، في مدينة لوساكا في زامبيا، أنه في كل ٧ ثوان يُصاب شخص ما في مكان ما حول العالم بالإيدز ، وقال :إنه لأول مرة يصل عدد النساء المصابات بالإيدز على مستوى العالم إلى ٥٠ ٪ من مجموع المصابين بالعدوى كما أنه توفي في عام ٢٠٠٢ م ٣,١ مليون شخص بسبب إصابتهم بالإيدز .

وتوقعت الدراسة أن يبلغ عدد الضحايا المصابين بالإيدز في أكثر من ٤٥ دولة، بحلول عام ٢٠٢٠ حوالي ٦٨ مليون شخص ، إذا لم يتم التصدي للمرض وعلاجه والتوعية والوقاية من الإصابة بعدواه.

لقد أودى طاعون العصر بحياة ٢١ مليون شخص وتشير الإحصائيات إلى أنه من المتوقع أن يشهد العالم ١٢٠ مليون حالة وفاة، بسبب هذا المرض حتى عام ٢٠٢٥م.

لا يتوقف الأمر عند حد الوفاة فحسب، بل يتعداه إلى أبعاد أخرى اقتصادية واجتماعية ، مخلفًا وراءه الأحزان وتدني مستوى الرفاه للأسرة كلها، وانخفاض نفقات تعليم الأطفال ، مما اعتبرته بعض الدول تهديداً لأمنها القومي ، ومحرقة للأموال والعمال، فعلى سبيل المثال: هناك ست دول هي (ليسوتو ومالاوي وموزمبيق وسويزيلاند وزامبيا وزيمبابوي ، التي يبلغ مجموع سكانها حوالي ١٤ مليون نسمة)، فيها ما يقرب من خمسة ملايين شخص ممن هم في سن الإنتاج من المزارعين، مصابون بالإيدز، إضافة إلى ٧ ملايين شخص من عمال الزراعة في ٢٥ دولة أفريقية ماتوا بسبب الإيدز فهذا ما يعيق عملية التطور الاقتصادي ويزيد مشكلة الفقر، وسيكون لذلك أثره على جميع القارات الأخرى.

ولعلَّ هذه العواقب الوخيمة، هي التي دعت وفد دولة الإمارات العربية المتحدة للتأكيد أمام المؤتمر السادس بعد المائة للاتحاد البرلماني الدولي في بوركينا فاسو، على أن «صلاح الأفراد والمجتمعات أساسه الأخلاق والفضيلة ، موضحًا أن الإسلام وضع قواعد واضحة تمنع ظهور الأمراض الأخلاقية وانتشارها ، وذلك بتأكيده على أن تكون العلاقة بين الجنسين مشروعة من خلال تشجيعه على الزواج، وتسهيل الطريق المؤدية إليه». وعليه فإن وسائل الممارسة الآمنة التي تنادي بتطبيقها منظمات الصحة العالمية لا تتناسب مع خصوصيات المجتمعات الإسلامية التي حددت لها الشريعة

الإسلامية، ضوابط إقامة العلاقات الجنسية، فسدَّت بموجبها الطريق أمام إقامة العلاقات غير السوية ، كممارسة الشذوذ الجنسي، وإشباع الشهوات الجنسية بانتهاك أعراض الآخرين والاعتداء على الأطفال والمحارم من الأقارب والأبناء وإتيان البهائم، التي تطالب بالسماح بها اليوم العديد من الأصوات تحت دعاوى «الحرية الشخصية» وتطبيق «ميثاق حقوق الإنسان»(١) .

ولقد كان من نتيجة إسراف الأوربيين المهاجرين إلى أمريكا (البلاد الجديدة) في ممارسة الجنس مع النساء بدون ضابط أو رابط، حيث انغمسوا في إتيان النساء المهاجرات ، واللاتي كن أشد فسادًا من الرجال في كثير من الأحيان وأمعنوا في اغتصاب النساء الوطنيات بعد أن اعتبروهن والرجال عبيدًا لهم، فضلاً على ممارسة اللواط وكافة ضروب العلاقات الجنسية، كان من نتيجة ذلك أن ظهر مرض جديد لم يسبق للبشرية أن عرفته من قبل، وتفشى فيهم ؛ فقضى على أعداد غفيرة، ذلك المرض هو «الزهري» ، الذي ما لبث أن انتقل إلى أوربا مع المسافرين، وعرف بأسماء مختلفة، وربما كان أكثرها شهرة اسم «لبرا»(٢) .

واتخذ هذا المرض في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي شكلاً وبائيًا حادًا في جميع أنحاء أوربا فأودى بحياة الناس، وخلق في كل مكان مشكل قومية لها خطرها، وأطلقت عليه أسماء مختلفة ، مثل : الجدري، والمرض الفرنسي، والوعكة الإسبانية، ولم يعرف أن له صلة بالحياة الجنسية إلا بعد وقت طويل ، ولم يُسمَّ الاسم الحديث «الزهري» إلا عام ١٥٣٠م.

هذا ما حدث في منتصف القرن السادس عشر؛ حيث أنزل الله عقابه على البشرية بمثل هذا المرض اللعين الذي لا زالت آثاره تظهر بين حين وآخر، أما في أواخر القرن العشرين فإن الله تعالي ينزل نذيرًا آخر وعقابًا مدويًا لهؤلاء المسعورين، وهو مرض فقد المناعة المكتسبة، المعروف باسم «الإيدز» ، وتم التعرف للمرة الأولى على هذا المرض كحالة سريرية مستقلة، في عام ١٩٨١م ، وكان يعتقد أنها لا توجد إلا في الولايات المتحدة الأمريكية بين فئات محدودة هي جماعات الشواذ جنسيًا(٣) .

---

(١) انظر: ثقافة العفة وسيلة ناجعة لوقف طاعون العصر، د / علي بن محمد العجلة، منار الإسلام المحرم ١٤٢٤ هـ ص ٦ ـ ٩ .
(٢) العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، أحمد علي المجدوب، ص (١٧٧).
(٣) السابق ، ص (١٨٠).

ويمكن القول: «إن جميع الحالات المصابة بالإيدز انتقل إليها الفيروس إما عن طريق السائل المنوي، أو المهبلي أو عن طريق الدم».

وقد أجمع كل الباحثين على أن أكثر وسائل العدوى وانتشار المرض هو الاتصال الجنسي.

حيث يتم التبادل بين السوائل في الجسم «وينتقل أيضًا عن طريق تعاطي المخدرات عند استخدام الحقن الملوثة»، وعن طريق نقل الدم ، وعن طريق الأم الحامل للجنين ، وعن طريق الرضاعة على الرغم من قلة حدوث ذلك «ويعد الإيدز مرضًا بيئيًا وليس وراثيًا»(١) .

وعن الحالات المبلغة رسميًا للمصابين بالمرض في سنة ١٩٩٥ م ، فإن الأمريكتين أكثر القارات ؛ حيث تم التبليغ عن أكثر من نصف مليون حالة ، تليها إفريقيا ثم أوربا.

الدولة	١٩٨٥م	١٩٩٠م	١٩٩٥م
إفريقيا	٤٢٣	٤٠٧٦٤	٤١٨٠٥١
الأمريكتين	١٢٦٣١	٥٥٤٠٢	٥٨٠١٢٩
آسيا	٢٣	٤١٦	٢٣٩١٢
أوربا	١٨٧٢	١٦٢٢٦٠	١٤١٢٧٥
أستراليا	١٤٢	٧٣٧	٦٤٤٤
الجملة	١٥٢٠١	١١٣٥٧٩	١١٦٩٨١١

نسبة الحالات المقدرة للمصابين بفيروس الإيدز من البالغين حتى منتصف التسعينيات (يوليو ١٩٩٥م) يقدر كالآتي:

(١) مرض الإيدز ، دراسة تحليلية في الجغرافيا الصحية ، غانم سلطان، الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد رقم (٢٦) .

الدولة	النسبة
إفريقيا	٪ ٥٩,٤
الشمال العربي الإفريقي	٪ ٠,٠٨
الأمريكتان وأوربا	٪ ٢٠
جنوب شرق آسيا	٪ ١٩

ويستطيع الباحث من خلال النسب السابقة للتوزيع الجغرافي للمرض أن يخرج بالحقائق التالية:

١ ـ أن مرض الإيدز يتفشى في المجتمعات الصناعية المتقدمة على الرغم من توافر سبل المكافحة ، والقدرة على الإنفاق العلاجي والوقائي ، ورعاية المرضى، وتطوير برامج التدريب للمشتغلين في مجال التصدي للمرض.

٢ ـ أن المرض يشكل خطراً داهمًا على شعوب القارة الإفريقية ، ولا سيما وسطها وشرقها (جنوب الصحراء الكبرى)[١] .

٣ ـ أن القارة الأسيوية ـ على الرغم من ترامي مساحتها، وتعدد دولها، وتنامي أعداد السكان فيها إلى حد الانفجار ـ لا تشكل الإصابات الفعلية المسجلة فيها إلا نسبة بسيطة تتركز في تايلندا (٨٠ ٪ من إصابات القارة) ، بيد أن التخوف ربما يأتي من عدد الإصابات المقدرة فيها إذا ما صحت هذه التقديرات (٦٪ من جملة إصابات العالم المقدرة).

٤ ـ أن المجتمعات الإسلامية هي أقل المجتمعات ، على مستوى توزيع المرض في العالم، التي يظهر فيها المرض، وأن العدوى إليها قد انتقلت من خارج هذه المجتمعات ؛ إما نتيجة للتحركات البشرية والاتصال بمناطق التركيز عن طريق السياحة ونقل المرض، أو نتيجة دم ملوث بفيروس المرض ، ومن هنا يستطيع الباحث أن يؤكد على دور الإسلام في المحافظة على حياة الشباب الإسلامي من هذا المرض الفتاك.

---

(١) المؤتمر الدولي العاشر للإيدز في اليابان ، تقرير مفصل عن المؤتمر. جريدة الأهرام اليومية المصرية، العدد (٣٩٣٣١) بتاريخ (١٣ / ٨ / ١٩٩٤) ، ص (١٣).

٥ ـ أن فرنسا تأتي على رأس قائمة الدول الأوربية التي يتفشى فيها المرض وبنسبة ٢٥,٣ ٪ من جملة إصابات أوربا، ويمكن أن يعزى ذلك لأسباب منها: التفسخ ، والتحرر الاجتماعي الذي يسود المجتمعات الحضرية فيها، كونها من الدول ذات الخاصية السياحية التي تجذب السائحين من كل صوب في العالم.

٦ ـ أما عن قارة آسيا فيمكن القول أننا نلاحظ انخفاض نسبة الإصابات الفعلية فيها عن مستوى القارات فهذه النسبة لم تتجاوز ٢٪ في منتصف عما ١٩٩٥م. وعلى الرغم من أن عدد سكان القارة قد فاق ثلثي سكان العالم (١٩٩٠م) إلا أن عدد إصابات المرض لم يتعد ٢٣٩١٢ حالة وقد يعزى ذلك إلى أن الإسلام الحنيف ينتشر في دول عديدة من القارة والذي تتعارض تعاليمه وقيمه مع كل الموبقات التي تؤدي بصاحبها إلى مرض الإيدز.

ويلاحظ كذلك أن خمسًا من دول القارة التي يزيد عددها عن ٤٨ دولة هي التي ينتشر فيها المرض بشكل ملحوظ ، بينما تتدنى نسبة ظهور المرض في معظم دول القارة.

على الترتيب : تايلند، الهند، اليابان وتليها الفلبين وماليزيا.

وتجدر الإشارة إلى أن الدول الإسلامية في قارة آسيا (بخلاف ماليزيا ٢٠٠ حالة) تنخفض فيها نسبة الإصابة بالمرض إلى أدنى المتسويات ، فهي لا تزيد ـ على سبيل المثال ـ عن حالة واحدة في تركمانستان، وحالتين في أوزبكستان، و(١٣) حالة في باكستان (حتى منتصف يوليو ١٩٩٥م)، ويعود بالطبع إلى دور تعاليم الإسلام في نبذ كل الشرور، التي تشكل مرتعًا للمرض وبيئة خصبة لانتشار عدوى الفيروس.

عودة إلى الفطرة:

تحت عنوان آلاف الآمريكيين وقَّعوا بطاقات (تأجيل الحب)، جاء أن أنصار العفة يرفعون أصواتهم في وجه شياطين الجنس، وورد تحت هذا العنوان أن الإدارة الأمريكية والمؤسسات الدينية الأمريكية بدأت حملات توعية حول مخاطر العلاقات الجنسية المبكرة، وذلك بهدف الحد من عدد حالات الحمل المبكر وانتشار الأمراض التناسلية لدى الشباب.

وإزاء هذه الحملة ازدهرت نوادي العذرية، وانتشرت بطاقات العفة بين الشبان، فبعد أعوام عديدة من التحرر الجنسي ، عاد أنصار العفة ليرفعوا أصواتهم في وجه

الضلال وشياطين الجنس، ومنذ بداية العام أطلق عدد كبير من المؤسسات الدينية حملات تنشيطية تدعو إلى الامتناع عن ممارسة الجنس تحت شعار تأجيل الحب الكبير.

وتركز هذه الحملات على جيل الشبان من المراهقين الذين تدعوهم إلى التوقيع على بطاقات كتب عليها «أتعهد أمام الله وأمام نفسي وأسرتي وأصدقائي وزوجي المقبل وأطفالي بالمحافظة على طهارتي حتي يوم زواجي» وتقلب العبارة إلى المذكر أو المؤنث .

ويقول المستشرقون على هذه المؤسسات: إن الآلاف من الشبان وقَّعوا هذه البطاقات التي ستعرض في ساحة «مال» في واشنطن خلال مظاهرة سيشارك فيها فنانون يعزفون موسيقى «القرب»، وأكد «ريشارد روس» أحد منسقي الحملة أنه يرى أنه لا يمكن تجاهل هذا الموقف المشترك الذي يتخذه المراهقون.

وإضافة إلى البطاقات ينضم بعض الشبان إلى نوادي العذرية التي أنشئت داخل المؤسسات الدراسية لمناقشة سبل مقاومة «شياطين الجنس»[1] .

أمراض جنسية مختلفة أخرى :

١ ـ الورم القنبيطي المؤتف:

وينتقل عن طريق اللمس، والاحتكاك المباشر، وحضانة المرض من شهر إلى ستة شهور ، ويظهر على المناطق الرطبة مثل: حشفة الذكر، وكيس الصفن، والفخذين، والشرج، وتبدأ الإصابة ببثرة صغيرة جدًا في حجم رأس الدبوس وتنمو حتي تكون بارزة.

٢ ـ المليساء الرخوية السارية:

وهذا المرض ينتشر في المسابح والحمامات وينتقل عن طريق الاحتكاك والاتصال الجنسي ويظهر كبثرة نصف دائرية بيضاء عليها طبقة شمعية مع وجود تجويف في مركز المرض، ويصيب الأعضاء التناسلية والآلية ولا يشعر المريض بألم إلا إذا حدث التهاب.

٣ ـ القمل:

وخاصة قمل العانة الذي ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي والاحتكاك المباشر.

---

(١) قواعد تكوين البيت المسلم، مرجع سابق، ص ٨١٩ ـ ٨٢٣ .

٤ ـ الجرب:

وهو يصيب جميع الجسم إلا الوجه وينتقل بالاحتكاك ويسبب حكة شديدة.

٥ ـ الغرنة اللينة الرخوة:

وهي عبارة عن قرح مؤلمة تصيب الأعضاء التناسلية وهي تسبب ألمًا شديدًا وتكون ملتهبة المظهر وتظهر في أقل من أسبوع بعد العدوى.

٦ ـ التورم الحبيبي الليمفي التناسلي:

وهو مرض جنسي تناسلي مدة حضانته من ١ إلى ٦ أسابيع ويبدأ بوجود حبة منتفخة بالماء صغيرة شفافة وتظهر على الأعضاء التناسلية وقد لا يلاحظها المريض.

٧ ـ ورم حبيبي أربي:

وهو مرض جنسي تناسلي مزمن يبدأ على شكل بثور وفقاقيع، ثم تتقرح ويحدث نبت جلدي مستمر بارز فوق الأعضاء التناسلية والعانة والمقعد والإلية والأرداف وفتحة الشرج.

مثال للعبرة:

ولكي نتعظ نذكر هذه القصة: ذهب شاب إلى أحد البلاد الغربية للسياحة واستأجر شقة مفروشة فأخذت فتيات الليل تأتي إليه فلم يستطع هذا الشاب أن يقاوم الإغراءات فجرفه التيار وانتهى به الأمر إلى الخروج من المعركة خاسرًا حاملاً جراثيم مرض الزهري والسيلان.

وبعد سنوات تزوج ولما لم تنجب زوجته أخذها إلى أحد الأطباء فطلب الطبيب تحليل السائل المنوي لديه وكانت النتيجة أن جميع الحيوانات المنوية ميتة لأن الأمراض قضت عليها وأصبح العلاج معه لا يجدي فقال له الطبيب: هذا عقاب الله لك في الدنيا وإن لم تتب وتطلب العفو والغفران فعذاب الآخرة أشد(١).

٨ ـ المرض النفسي والخلقي:

قد يصاب هذا الشهواني المندفع نحو البهيمة بالأمراض التالية:

(١) انظر: الجنسية الإباحية والأمراض، عبد الله الرعوجي، مقال على شبكة الإنترنت.

٩ ـ مرض الشذوذ الجنسي :

وهو مرض خطير ، من نتائجه : اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، هذا المرض أصيبت به مجتمعات كثيرة تدعي التقدم والحضارة كأمريكا وانكلترا . . فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة «نيويورك» بأمريكا ، وهؤلاء علنيون مجاهرون محترفون . .

أما المتسترون المستخفون فحدث عن كثرة عددهم ولا حرج .

١٠ـ مرض الهوس الجسني :

حيث ترى المريض مشغولاً في جمع أوقاته بتخيلات شهوانية غريزية . . من نكاح، وتقبيل، وضم ، وعناق وتصورات لأعضاء المرأة من وجه، وعينين ، وعُنق، وشفتين ، ونهدين، وسوأة ، وفخذين . . وتراه منصرفًا عن كل شيء فيكثر نسيانه، ويقل اهتمامه ، وتشتد غفلته ويضعف انتباهه . . وتراه كأنه غبي مخمور ، أو كأنه مكروب محزون، وتسبب هذه الظاهرة الأليمة نحولاً في الجسم، وضعفًا في الذاكرة وقلقًا في النفس [١] .

* * *

---

(١) مسؤولية التربية الجنسية من وجهة نظر الإسلام ، مرجع سابق ، ص٧٣ .

الفصل الثالث

الآثار الإجرامية

الاغتصاب كظاهرة تهدد كيان المجتمع

إن الاغتصاب كجريمة جنسية رهيبة تعد ضمن الإرهاب الجنسي، ليس بظاهرة جديدة مستحدثة، ولكنه ظاهرة قديمة عادت إلى المجتمعات كلها في مشرق الأرض ومغربها بقوة تبدو ظاهرة في زيادة حجمها عن المعتاد من قبل، واتساع مداها فلم تعد المرأة الضحية فقط، وإنما الأطفال من الجنسين، وفي كثير من الأحوال أصبح الاغتصاب جماعيًا أي يقوم به أكثر من معتد، ولقساوة القلوب وتطور الجريمة أعقب الاغتصاب في كثير من الأحيان قتل الضحية لمحاولة إخفاء الجريمة.

ومن الإنصاف القول: إن المجتمع حاليًا هو شريك فعال في جرائم الاغتصاب، فخروج النساء خارج بيوتهن للعمل وتبرجهن والاختلاط السهل اليسير بين الجنسين وارتفاع سن الزواج ، وبطالة الرجال وعدم قدرتهم على التمتع بحياة زوجية سعيدة في سن الشباب والرجولة والأنوثة والفورة الجنسية، والإعلام الهابط الحقير الذي يؤدي إلى الهياج الجنسي المستمر والدائم للجنسين كل ذلك وغيره أدى إلى استفحال الداء حيث أصبح مرضًا خطيرًا يصيب المجتمعات كلها بلا استثناء .

ولم يخل مجتمع من المجتمعات القديمة من وجود مثل هذه الجرائم ، وإن كانت تزيد وتنقص من فترة إلى أخرى ، فقد تزيد فى فترة انتهاء عمر الأمم حيث حيث ينتشر النساء الأخلاقى بين الناس ، مما ينذر بالهلاك تحقيقًا لقول الله تعالى: **﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾** [الإسراء] .

وقد أكدت تقارير دولية حديثة أن هناك مليون حالة اغتصاب تتعرض لها النساء فى العالم سنويًا ، أى بمعدل ٦٠٠ حالة يوميًا ، وتحتل جنوب أفريقيا المرتبة الأولى فى قائمة جرائم الاغتصاب ، حيث شهدت أكثر من ٣١ ألف حالة اغتصاب على مدى السنوات الثلاث الماضية ، فى حين أشارت دراسة صادرة عن المركز القومى الأمريكى إلى أن ١٢ مليون سيدة أمريكية تعرضن للاغتصاب خلال حياتهن ، وأن ٣ من بين كل ١٠ حالات لم تكن أعمارهن تتعدى الحادية عشرة عندما تعرضن

للاغتصاب .

وفى جريد الوسط (٩/ ١٠/ ٢٠٠٧م) أشارت إلى أن الدراسات التى أجراها مركز البحوث الجنائية أوضحت أنه يوجد حالة اغتصاب كل نصف ساعة والاغتصاب ظاهرة خطيرة بدأت فى انتشار بشكل واسع خلال السنوات الأخيرة ، وفى جريدة المصرى اليوم (٢٧/ ٢ / ٢٠١٠م) جاء فيها : أن دراسة مبدانية أجرتها مؤسسة المرأة الجديدة ، وقام بها المحامى زياد العليمى والدكتورة أمل عبد الحميد أن ما يتم الإبلاغ عنه لا يمثل سوى نسبة ضئيلة من جرائم الاغتصاب فى مصر . . .

واستطلعت الدراسة آراء القضاء الذين قالوا : إن حصر قضايا الاغتصاب التى تصل إلى المحكمة أمر شديد لصعوبة ، وأضافوا : ٢ ٪ فقط من حالات الاغتصاب تصل إلى المحكمة .

ولا يتوقف الأمر على بلد بعينه ، فالاغتصاب سرطان يسرى فى جسد المجتمعات التى تفتح باب الانحراف الجنسى على مصراعيه ، ولا تخطط لإغلاقه ، ففى جريدة اللواء الأردنية (٢٣/ ٣/ ٢٠١٠م) : « أن أرقام المركز الوطنى للطب الشرعى أشارت إلى وقوع نحو ٧٥٠ حالة اغتصاب أو محاولة اغتصاب العام الماضى».

معنى الاغتصاب في الإسلام : هو الاعتداء الجسدي بهتك عِرض المرأة ثيباً كانت أو بكراً بدون رضاها .

وقد حرص الإسلام على حماية المجتمع من الانحراف الجنسى، وأعلن أن مجرد اتهام مسلمة بارتكاب الزنا دون دليل شرعي على صحة التهمة ولو زاولته فعلاً ولم يكتمل نصاب الشهود، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

فالآية الكريمة أعلت من قدر المرأة فأطلقت على النساء صفة «المحصنات» أي التي تحافظ على شرفها وعرضها وجسدها كأنه حصن منيع لا يجب اقتحامه إلا بشرع الله.

كما وصف الطاعن في شرف المرأة بالقول والادعاء كأنه يرميها بسهام قاتلة لإنسانيته وأنوثتها وكبريائها وعزتها.

ولا ينبغي ادعاء ما يـهين المرأة في عفتها إلا بشهادة أربعـة شهود والحكمة الأربع واضحة فهي توثـيق الشهادة ضد المرأة إلى منتـهى التوثيق، فمحال اتفـاق أربعة على شهادة زور، ومن اليسير كشف كذب الأربعة إن لـم يصدقوا الشهادة بسهولة تضارب الأقوال بينهم إن لم تكن صادقة.

أما العقاب فـهو شديد قاس وهو الجلد ثـمانون جلدة، وهو إيذاء بدنـي ونفسي شديد ربما يكـون سببًا في الهلاك، وكذلك عـدم قبول شهادته وهذا معـناه الطرد من احترام وتبجيل وتوقير الهيئة الاجتماعية له، وواضح أن الجزاء من جنس العمل.

ومن عدالة الإسلام وحمايـته اللانهائية لشرف المرأة أنه لم يـعط الحق للزوج في وصم زوجته واتهامها بالزنا ، وإن فعل فلها حق الدفاع عن نفسها.. والكاذب منهما مستوجب للعنة الله وغضبه، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النور: ٦ ـ ٩].

والآية توضح أن اتهام الزوج لزوجته بالزنا دون وجود أربعة من الشهود، فله أن يقسم بالـله أربع مرات كأنه حل محـل الشهود الأربع أنه صادق في الاتـهام، ثم في المرة الخامسة يدعو الله أن يلعنه ويطرده من رحمته إن كان كاذبًا.

وقد أعطـى الإسلام للمرأة حـق الدفاع عن نفـسها بالـقسم أربع مرات أنـها لم تفعل، والخامسة أن تطلب غضب الله على نفسها إن كانت كاذبة.

وهنا سـاوى في الإسلام في الشـهادة وفي حق الاتـهام وحق دفعه بـين الرجل والمرأة.. إنها عظمة تشريع العزيز الحكيم.

ب ـ رمى المحصنات الغافلات: ويقصد به اتهام الـشريفة العفيفة بالزنا وهي لم تزواله ولم يخطر ببالها، كما لا تعلم شيئًا عن هذه التهمة، أي محاولة إشاعة ما ينال من كرامة امرأة.

يقول الرحمن الرحيم في ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣ ، ٢٤].

ويقول الهادي البشير ﷺ ، كمـا ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**اجتـنبـوا**

السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «... **وقذف المحصنات المؤمنات، الغافلات»** (١) .

والملاحظ أنه كما حاول دعاة التحرر الإساءة إلى شرف المرأة في الدنيا، فقد استوجبوا الطرد من رحمة الله في الدنيا، والعذاب في الآخرة، مع فضحهم علانية بأن تشهد أعضاؤهم بكذبهم.

والاغتصاب ليس فى الحقيقة مجرد القيام بالاعتداء الجنسي على امرأة وفقط ، فالإسلام يراه من علامات الفساد في الأرض، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] .

فمن اختطف امرأة مكابرة فهو محارب لله ، وممن يسعى فى الأرض فساداً ، وقد جاء فى قرار هيئة كبار العلماء بالسعودية رقم (٨٥) فى (١١/ ١١/ ١٤٠١هـ): «أن جرائم الخطف والسطو لانتهاك حرمات المسلمين على سبيل المكابرة والمجاهرة من ضروب المحاربة والسعى فى الأرض فساداً المستحقة للعقاب الذى ذكره الله سبحانه فى آية المائدة ، سواء وقع ذلك على النفس والمال أو العرض ، ولا فرق فى ذلك بين وقوعه فى المدن والقرى أو الصحارى والقفار كما هو الراجح من آراء العلماء رحمهم الله تعالى . . .» .

ويؤيد هذا الرأي مفتي مصر السابق د. نصر فريد واصل فيقول : « وتطبيق حد الحرابة هو القصاص العادل لكل من يخطف أنثى ويعتدي عليها، وهذه العقوبة لا خلاف عليها بين العلماء ورجال القانون والمجتمع كله، فالاغتصاب جريمة كبرى، وإفساد في الأرض، وتهديد لأمن الجماعة والمجتمع . . إن حفظ العرض والنسل من الأمور التي يحث الإسلام على المحافظة عليها » (٢) .

وعلى ذلك فالقتل جزاء المغتصب محصنًا كان أم غير محصن لأنه جريمة غير عادية وتزيد في ترويعها وضررها عن الزنى بالتراضي.

ومن عدالة الإسلام أنه لم يستوجب القصاص على من اغتصبت مكرهة أي بدون رضاها، حيث يسمى الاغتصاب في الإسلام «الوطء بالإكراه» يقول السيد سابق: «إذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٧)، ومسلم (٨٩ / ١٤٥).

(٢) مجلة كل الأسرة العدد (٣١٣) في ١٣ / ١٠ / ١٩٩٩م.

أكرهت المرأة على الزنا فإنه لا حد عليها، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ورسول الله ﷺ يقول: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه**»[١] . وقد استكرهت امرأة على عهد رسول الله ﷺ فدرأ عنها الحد.

وجاءت امرأة إلى عمر فذكرت له أنها استسقت راعيًا فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها، ففعلت ـ فقال علي: ما ترى فيها؟ قال: إنها مضطرة، فأعطاها شيئًا وتركها»[٢] .

فيالعظمة الإسلام أيقن أمير المؤمنين عمر أن المرأة اضطرت للزنا خوفًا من الموت عطشًا، فرفع عنها الحد، وأعطاها من رزق اله ، هل هناك أي عادات اجتماعية أو قوانين وضعية تُعلي من شأن المرأة كالإسلام ؟!

يجب على دعاة التحرر أن ينهلوا من الإسلام وأحكامه ما يُسعد المرأة ودعاة تحررها.

وقد يكون الاعتداء الجنسي واقعًا من المرأة على الرجل، كأن تزين له الفاحشة وتفتنه بجمالها ودلالها وتستغل أنوثتها وتزيين الفاحشة له في إيقاعه للزنا بها، أو تهيء له الأسباب وتحاول الاعتداء عليه عنوة ليفعل بها ما تشاء.

وقد حذر الرسول ﷺ من فتنة النساء، فقال: «**ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء**»[٣] رواه البخاري .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» [٤].

وقد اختلف العلماء حول إكراه الرجل على الزنا :

فقال الأحناف والحنابلة : أنه لا يمكن إكراهه فإذا أكره فزنى حد على زناه ، فالوطء لا يكون إلا بالانتشار والإكراه ينافيه [٥] .

وقال الشافعية : أنه يمكن إكراه الرجل على الزنا فإذا أكره فزنى دُرأ عنه لا فرق

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) وصححه الألباني.
(٢) الشيخ سيد سابق. فقه السنة ٢ / ٤٢٥ .
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).
(٤) مسلم (٢٧٤٢ / ٩٩).
(٥) انظر :شرح فتح القدير ٤/ ١٥٧، والمغنى ١٢/ ٣٤٦ .

بين الرجل والمرأة ، فإذا لم يجب عليها الحد لم يجب عليه أيضًا ، ولأن الانتشار قد يكون لفحولة الشخص أكثر مما يكون دليلاً على الطواعية [(١)] .

ومن أصدق قصص محاولة اغتصاب المرأة للرجل هي قصة يوسف عليه السلام حيث تناولتها التوراة والقرآن الكريم، الذي أوضح محاولة امرأة العزيز النيل من شرف يوسف عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقد حاول يوسف الهروب حتى لا تغتصبه: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥].

إن المرأة أرادته عنوة بدون إرادته ، وعندما حاول الهروب أمسكته من الخلف حت يمُزق قميصه ، ومع ذلك ادعت أنه حاول الاعتداء عليها واغتصابها ـ إنها عادة النساء منذ القدم ـ ولقد دافع يوسف عن نفسه فقال : ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ [يوسف: ٢٦].

وبالرغم من إقامة الدليل على محاولتها اغتصابه: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٦ ـ ٢٨].

وإنما يصدق القضاة ادعاء المرأة ومن الصعب أن يصدق ادعاء الرجل!!

ولعل قصة يوسف ـ عليه السلام ـ توضح لنا أنه من الممكن أن تفتن النساء برجل من أجل أسباب عدة أولها شبابه وجماله فعندما اعترضت نسوة المدينة على فعلها برهنت لهن أنها محقة في الغرام به وأنهن لا يستطعن مقاومة جماله : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣٠ ، ٣١].

ونتذكر الحقوق والواجبات بين الزوجين، هي حصن منيع من حصون العفة ومنع زوجة من الحصول على حقها المشروع فى الاستمتاع العاطفى ، والجنسى بزوجها ،

---

(١) انظر : أسنى المطالب ٤/ ١٢٧، والمهذب ٢/ ٢٨٤ ، والمستصفى للغزالى ١/ ٩١ .

وقضاء شهوتها الجنسية معه ومن خلاله ، هو اغتصاب جنسى رهيب ، فكما أن الاعتداء على حق اغتصاب ، فأيضًا منع الحق اغتصاب .

من دوافع الاغتصاب:

إن اعتقاد المغتصب بحصوله على لذة جنسية يحلم بها ويزينها له شيطانه، بحيث تصبح لديه غاية ضرورية ومُلحة واجبة الإشباع هي الدافع الأول للاغتصاب.

وحين يزاول المغتصب جريمته الجنسية، يُصدم بالواقع الأليم المرير حيث يكتشف أنه لا لذة إطلاقًا في مزاولة الجنس والتعبير عن الشهوة بالقوة، والخوف من فضيحة متوقعة وعقاب رادع يجعله يفكر في التخلص من الضحية باعتبارها محل الجريمة.

ما أكثر الجرائم التي يزاولها أصحابها للانتقام من المجتمع ولإحساسهم باغتصاب كثير من حقوقهم، ومن هذه الجرائم سرقة بالإكراه ، والاختلاس ، والتخريب المتعمد، الإرهاب، ولكن الاغتصاب جريمة هدفها الاعتقاد في الحصول على متعة جنسية، محروم منها الجاني ومزاولتها هو غاية مناه.

إن الاغتصاب هو نتيجة حتمية للعولمة الجنسية التي اقتحمت بيوتنا مع التليفزيون والدش والكومبيوتر وغيرذلك من وسائل تزيين الفاحشة، ثم أقحمت في عقولنا، وقد شاع أخيرًا نوع جديد من الاغتصاب الصامت أي الذي يُحاول الجميع كتمه وعدم الإعلان عنه، وهو يتمثل وا أسفاه في زنى المحارم ، فالأخ والأخت، والأب والابنة والخال وبنت الأخت وغيرهم قد يشاهدون أفلام الجنس معًا كثقافة جنسية كما يشيع دعاة التحرر، فتستبد بهم الشهوة ولا يستطيعون كبح جماح سُعارها ، فتكون النتيجة زنى بالرضى وهو في هذه الحالات أشد وطأة من الاغتصاب. . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

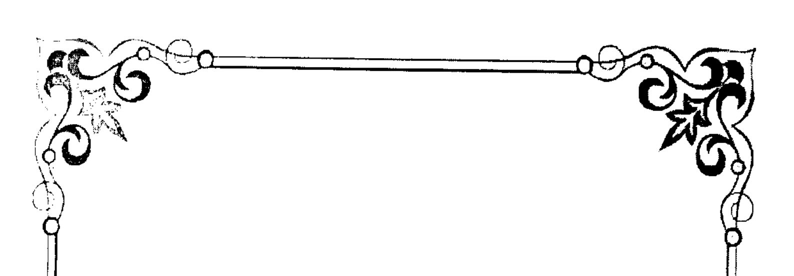
لقد أمرنا الله كمسلمين ألا نتبع أي أفكار أجنبية مستوردة مهما كان مسماها من عولمة أو غير ذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦] كما قال جل وعلا: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

وقد أجلى لنا حقيقة هامة وهي أن الغرب لا يريدون بنا خيرًا فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩].

لقد شاعت فى المجتمع الإسلامى الفواحش حتى ألفناها ـ إلا من رحم ربي - والاغتصاب صورة من صورها .





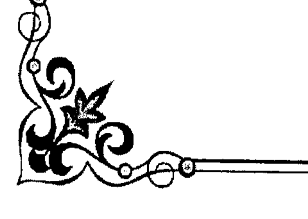
الباب الثالث

سبـــل المواجهـــة

الفصل الأول : تقوية الوازع الديني

الفصل الثاني : قيام الأسرة بواجبها

الفصل الثالث : إقامة التشريع الإسلامي في وجه المنحرف





مدخل

العفـــة

معنى العفة :

قال صاحب اللسان : « **العفة:** هي الكف عما لايحل ويجمل ، وعف عن المحارم والأطماع الدنية يعف عفة وعفا وعفافًا فهو عفيف وعف إذا كف » ، وهي لا تكون إلا إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها ، فإذا لم يكن في النفس دافع إلى ما ينافي في العفة، أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجود أصلاً، فأي معنى لعفة من لا أرب له، أو لعفة معتزل في صومعة لا يتعرض لأي مثير؟ إنها عفة المحروم أو عفة عاجز لم يتعرض لامتحان (١) .

وقال الراغب الأصفهانى فى مفردات القرآن : «العفة وصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة » والعفة مطلوبة من المتزوج ومن غير المتزوج ، وإن كانت في حق المتزوج آكد؛ ولذا كانت العقوبة عليه أشد.

وفي الحديث: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (٢).

وقد ذكر د/ محمد على البار حادثة لطيفة لتبيان معاني الإحصان والعفة يقول: «رأيت رسول الله ﷺ ذات ليلة فلم أستطع أن أرفع بصري إليه إجلالاً وتوقيراً وسألت قائلاً: يا رسول الله لقد تفشت في الناس الأمراض الجنسية فما العلاج فأجابني بكلم واحدة: «الإحصان».

ثم انتبهت من نومي ، وتفكرت في معاني هذه الكلمة البليغة الموجزة التي حوت العديد من المعاني ، ورجعتُ إلى معاني اللغة فوجدت أن للكملة معان عديدة:

أولها: الوقاية والمنعة.

وثانيها: العفة.

وثالثها: الحرية .

ورابعها: الزواج .

---

(١) العفة ومنهج الاستعفاف ، مرجع سابق، ص ٩٥ .

(٢) أخرجه مسلم (١٦٧٦ / ٢٥) عن عبد الله رضي الله عنه.

فمن معاني الإحصان ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [المائدة: ٥] أي متزوجين غير زانين ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ [النساء: ٢٥] أي عفائف غير زانيات ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥] أي أخلاء.

قال تعالى: ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] أي تعففًا وبعدًا عن الزنا. . . »[١] .

وإذا لم يتيسر الزواج للشباب بسبب اقتصادي أو اجتماعي، ولم يقم المجتمع بواجبه نحوهم في هذا السبيل، فماذا يفعلون؟

هنا ينادي الإسلام الشباب ليأخذ بأيديهم إلى سبيل أخرى، ويعلو بهم إلى أفق رفيع . . يحيطه الطهروالعفاف.

وفي المسند وغيره مرفوعًا: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المتزوج يريدُ العفاف والمكاتب يريد الأداء..**»[٢] .

ويبدأ المنهج الإسلام بدعوة تقوم على أساس الإيمان. . دعوة من الله سبحانه للشباب بأن يتسامى ويتعفف ويتطهر.

فالإحساس بالغريزة ليس إثمًا، وتمنى إجابتها بالطريق المشروع لا حرج فيه، ولكن الأمر في نظر الشباب المسلم ـ يرتبط بالحين المناسب ، فهو مع عفته يرجو اليوم الذي يتسنى له فيه أن يأوي إلى رحاب الأسرة ليسعد وينعم في ظل رضوان الله وعونه[٣] .

وقد ذكر سبحانه أن العفة من صفات المؤمنين فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٥] ولما أنزلت هذه الآيات على النبي ﷺ : «**لقد أنزلت عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة**» ثم قرأ هذه الآيات[٤] .

---

(١) الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها نقلاً عن: العفة ومنهج الاستعفاف ، مرجع سابق ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٥٥)، وقال: حسن،وحسنه الألباني.

(٣) الإسلام والمشكلة الجنسية ، د / مصطفى عبد الواحد ،مرجع سابق ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) أحمد ١ / ٣٤، والترمذي (٣١٧٣)، وضعفه الألباني، والأرناؤوط.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣١].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم: ١٢].

المجتمع النظيف وسبل المواجهة :

رغم ما وضع الإسلام من الضوابط التي تخفف من حدَّة الشهوات في المجتمع وتدفعه إلى العفة، ورغم ما تميز به جيل القدوة من الالتزام الكامل بالمرجعية الإسلامية كضابط لهواجس النفس، وهي القلب وحركة الجوارح، فإنه لم يصل إلى مجتمع الملائكة، ولا أظن أن هذا هو هدف الشريعة في المجتمع؛ إنما هو مجتمع البشر الذي فطره الله على الشهوات، فقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤] .

ولكنه يضعه أمام نفسه ، وييسر له سبل الاستعلاء والعفة، ويضع له ضوابط صرف هذه الشهوات. . فلا يهرول هذا المجتمع خلف شهواته، ولا يُطالب بكبتها فيأمره بالرهبانية، ذلك الكبت الْمَرضي. . ولكنه يضبطها، ويقلل من بواعثها ، ثم يترك للضمير تحديد الطريقة: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] أما إذا زَلت الأقدام وأخطأت ، فإن الشعور بالإثم وثقل الذنب يدفعه إلى التطهر والرجوع إلى الله.

ونستعرض هنا ثقل هذه الشهوة على الإنسان المسلم في هذه المرحلة، وكيف يتعامل معها. . ونكرر أن المجتمع كله كان يتجه إلى الفضيلة؛ ولكن كان لله حكمة في وقوع مثل هذه الحوادث[١] ، التي تندرج في الوقوع في اللَّمم[٢] حتي تصل إلى

---

(١) انظر بالتفصيل : تحرير المرأة في عصر الرسالة ، دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم، عبد الحليم محمد أبو شقة، دار القلم، الكويت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م .

(٢) اللمم: أي صغائر الذنوب.

التعدي على حدود الله بسبب ثقل الشهوات. ويكون شعورهم نحو هذا الخطأ بالذنب الشديد. فيسارعوا إلى التخلص من وزر هذا الذنب؛ إما بالاستغفار، أو بالتطهر بالحد.

وهذه بعض الأمثلة التي تدل على غلبة الشهوات ومغالبة هذا الجيل النظيف لها، وتدل ثانيًا على سرعة الالتجاء إلى الله وإلى رسوله للتخلص من ثقل الذنب:

إلحاح الشهوة:

عن جابر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فلما قفلنا تعجلت على بعير قطوف ، فلحقني راكبٌ من خلفي، فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ، قال: «**ما يعجلك؟**» قلت: إني حديث عهد بعرس، قال: «**فبكرًا تزوجت أم ثيبًا**» ، قلتُ: بل ثيبًا، قال: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**»، قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل ، فقال: «**أمهلوا حتي تدخلوا ليلاً (أي عشاءً)؛ لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة**»[١] .

وعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليتُ، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتي تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت فقال: يا رسول الله،أما قولها يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، قال: فقال: لو كانت سورة واحدة لكفت الناس،وأما قولها: يُفطرني، فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: «**لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها**»، وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنا أهل بيت قد عُرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتي تطلع الشمس، قال: «**فإذا استيقظت فصل**»[٢] .

عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**»[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (٧١٥ / ٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٥٩)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٠٣ / ٩).

فهذه الأحاديث تبين قوة الشهوة الحسية ومغالبتها للنفس، ومسارعة التوجيه الإسلامي إلى تفريغها في الحلال دون النظر إليها بأي شكل من أشكال التنفير أو الإنكار فهى طبيعة البشر.

الوقوع في الخطأ:

ورغم ذلك كان البعض يقع في بعض المحرمات التي تتفاوت حدتها، ولكن كان الكل مجمع على المسارعة إلى التوبة والتخلص من هذا الرجس ، وهذه أمثلة متدرجة للوقوع في هذه المحرمات:

أ ـ المباشرة في ليالي رمضان (قبل الإذن بذلك):

قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ[(١)] إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وعن البراء رضي الله عنه: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يختانون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

ب ـ المباشرة أثناء الصوم :

عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ، أليَّ هذا؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**»[(٢)] .

وعن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله : أصبت حدًا[(٣)] فأقمه علي، قال: ولم يسأله عنه قال: وحضرت الصلاة ، فصلى مع رسول الله ﷺ، فلما قضي الصلاة قال: يا رسول الله ، إني أصبت حدًا، فأقم في كتاب الله، قال: «**هل حضرت الصلاة معنا؟**» قال: نعم، قال: «**قد غفر لك**»[(٤)] .

---

(١) الرفث: المقصود هنا الجماع.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦).

(٣) أصبت حدًا: أي ما يوجد الحد في ظني ، والمعصية هنا من المعاصي الموجبة للتعزيز، وهي من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤ / ٤٤).

ج ـ المباشرة إثر الظهار:

رُوي أن سلمان بن صخر الأنصاري (أحد بني بياضة) جعل امرأته عليه كظهر أمه حتى يمضي رمضانُ، فلما مضى نصف من رمضان وقع عليها ليلاً فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال له رسول الله ﷺ: «**أعتق رقبة**»، قال: لا أجدها، قال: «**فصم شهرين متتابعين**»، قال: لا أستطيع، قال: «**أطعم ستين مسكينًا**»، قال: لا أجد، فقال رسول الله ﷺ لفروة بن عمرو: «**أعطه ذلك العرق**»؛ وهو مكتلٌ يأخذُ خمسة عشر صاعًا أو ستة عشر صاعًا إطعام ستين مسكينًا(١) .

د ـ المباشرة أثناء الإحرام:

عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبا هريرة سئلوا عن رجل أصاب أهله وهو محرم بالحج، فقالوا: ينفذان ، يمضيان لوجههما حتى يقضيا حجهما، ثم عليهما حج قابل والهدي، قال: وقال على بن أبي طالب: وإذا أهلا بالحج من عامٍ قابل تفرقا حتى يقضيا حجهما (٢) .

الوقوع في الفاحشة :

وهنا تبذو سلطة الشهوة على البشر رغم طهارة المجتمع ونقاء الضمير؛ حيث توقعهم في الحرام، وهم في غفلة لا يدرون عواقبها، حتى إذا وقعوا في الحرام فاقت الأنفس فلم تستمر، ولم تستمرئ؛ بل تستشعر غَلَبة الذنب ويستقر الندم في القلب، فيطلبون من الرسول ﷺ بصفته الحاكم أن يقيم عليهم الحدَّ كنوع من التطهير ، فتكون توبة يقبلها الله سبحانه وتعالى .

عن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إني قد ظلمت نفسي وزنيت، وإني أريد أن تطهرني ، فرده، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله : إني قد زنيت، فرده الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه، فقال: «**أتعلمون بعقله بأسًا تنكرون منه شيئًا**» فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى ، فأتاه الثالثة ، فأرسل إليهم أيضًا، فسأل عنه ، فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله ، فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرجم . قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهرني ، وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله، لم تردنِّي ؛ لعلك أن تردني كما رددت ماعزًا، فو الله إني

---

(١) أخرجه الترمذي (١٢٠٠)، وقال: « حسن » ، وصححه الألباني.

(٢) الموطأ (١ / ٣٨١) بلاغًا ، والسنن الكبرى للبيهقي (٥ / ١٦٧).

لحبلى ، قال: «**إما لا، فاذهبي حتى تلدي**»، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: «**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**»، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام . فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبلُ خالد بن الوليد بحجر ، فرمى رأسها ، فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها، فقال: «**مهلاً يا خالد، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له**»، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت(١) .

وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما أخبراه أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ ، فقال أحدهما: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله ، وقال الآخر وهو أفقههما: أجل يا رسول الله ، فاقض بيننا بكتاب الله، وأذن لي أن أتكلم ، قال: «**تكلم**» ، فقال: إن ابني كان عسيفًا (أجيرًا) على هذا، فزنى بامرأته ، فأخبرني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني مائة وتغريب عام، وأخبروني أنما الرجم على امرأته ، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله؛ أما غنمك وجاريتك فرد عليك**»، وجلد ابنه مائة وغَرَّبَهُ عامًا، وأمر أنيسًا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها، فاعترفت فرجمها (٢) .

وعن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ، فأتي النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ، أليَّ هذا؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**»(٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله : أصبت حدًا فأقمه علي، قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضرت

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥ / ٢٣)، صاحب مكس: الذي يأخذ الإتاوات ظلمًا.
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٣ ، ٦٦٣٤).
(٣) أخرجه البخاري (٥٢٦).

الصلاة ، فصلى مع النبي ﷺ ، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله ، إني أصبت حدًا، فأقم في كتاب الله، قال: « **أليس قد صليت معنا؟** » قال: نعم، قال: « **فإن الله قد غفر لك** »(١) .

وهكذا يتبين لنا أن معاناة الإنسان من قوة الشهوة الجنسية معاناة فطرية ، حتي في المجتمع النبوي الفاضل، ذلك المجتمع الذي يدفع فيه كل أفراده ناحية الفضيلة، ومن أسرف منهم على نفسه وغلبه الشيطان حتى أوقعه في الفاحشة سرعان ما تذكر وتاب، ومنهم من جاء ليتطهر من ذنبه في الدنيا (٢) .

وهكذا، كان المجتمع مجتمعًا فاضلاً، يسعى للعفة والطهارة، وكان الفرد ملتزمًا قدر طاقته بمنهج الإسلام لتكون البيئة صالحة لنمو الأسرة المسلمة الظاهرة النقية، فتستطيع أن تقوم بأداء ما أمرها الله به من أدوار.

منهج الاستعفاف:

الاستعفاف: هو إخماد الغريزة الجنسية والتسامي بالإحساسات الشهوية ، والميول الجسدية.

والاستعفاف أمر الله ـ عز وجل ـ لكل من لا يجد سبيل النكاح ولا يستطيعه، فقد قال جل شأنه: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

فأمرهم بالاستعفاف إلى وقت الغنى، ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فإنهم إن تزوَّجوا مع الفقر التزموا حقوقًا لم يقدروا عليها ، وليس لهم من يقوم بها عنهم.

وسرُّ الآية أن هؤلاء الذين لا يجدون قدرة مالية على الزواج إذا التزموا جانب العفة أغناهم الله من فضله، فالآية أمر وبشارة من الله ـ تعالى ـ إلى عباده المؤمنين، وهي تربية نفسية تقوى الإرادة وتحفز العزيمة للسعي على أسباب الزواج.

وأهم الخطوات التي نرسمها في منهج الاستعفاف على النحو التالى :

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤).

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة ٦ / ٩٥، الطبعة الرابعة، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م.

الفصل الأول

تقوية الوزاع الديني

أعظم عاصم من المعاصى ، وأعظم رادع عن المحرمات ، وأعظم مذكر دائم للإنسان يرافقه فى سره وعلنه ، وفى حله وترحاله ، فى شهوده وغيبه ـ هو الإيمان بالله ـ تعالى ـ الإيمان الذى ينشئ مملكة الضمير التى لا تفارق العبد المؤمن فتجعله دائمًا يستحضر أمورًا مهمة من أعظمها وأجلها الخوف من الله ، والحياء من الله وتذكر الآخرة .

واستشعار عظمة الله تبعث على الخوف من الله ، واستشعار نعمة الله تبعث على الحياء من الله ، واستحضار هول الآخرة يبعث على قمع الشهوة فى النفس .

ومن المعلوم أن ربط الولد بالعقيدة الربانية، وتربيته على مراقبة الله في السر والعلن، وحضور مجالس العلم والذكر، والمداومة على الفروض وصلاة النفل، والمواظبة على تلاوة القرآن، والتهجد في الليل والناس نيام، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع، والاستماع إلى أخبار الصحابة والسلف، واستذكار الموت وما بعده، والارتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة. .

كل ذلك إذا فعله الشاب قوى في نفسه الوازع الديني، وتجنب مواطن الفساد، وابتعد عن الميوعة والتحلل، ووصل إلى قمة العفة والتسامي.

وإليكم ـ يا شباب ـ نموذجين عظيمين في العفة والتسامي للتأسي والاقتداء:

الأول: يوسف ـ عليه السلام ـ شاب في ريعان الشباب مكتمل الرجولة، رائع الفتوة، تدعوه إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمال، والأبواب مغلقة، والسبل ميسرة كما حكى القرآن :

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار؟

ألانت قناته فاستسلم وخان عرضًا أؤتُمِنَ عليه؟ كلا، إنما قال:

﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها، بكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن تُذيب من صلابته، وتُضعضع من شموخه، وأعلنت ذلك للنسوة في

ضيق وغيظ:

﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكليته إلى الله يسأله المعونة والعصمة:

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

كانت فتنة بين ضمير المؤمن وخشية الربانية.. ومغريات الإثم، ففشلت المغريات، وانتصر الإيمان عليها][1] .

الثاني: وهذه امرأة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد، وغاب عنها كثيراً ، فتخيم عليها كآبة الوحشة، وتهجم عليها هواجس الوحدة، ويثور في عرقها دم الأنوثة، وتتأجج فيها نار الغيرة.. فلا يصدها عن ارتكاب المحرم إلا حاجز الإيمان، ووازع المراقبة لله.. وفي جنح الليل البهيم سمعها عمر رضي الله عنه تنشد:

لقد طال هذا الليلُ واسود جانبه وأرقني ألا حبيـــب ألاعبُه

فو الله لولا الله تُخشى عواقبُه لحُرِّك من هذا السرير جوانبُه

وفي اليوم الثاني دخل عمر بن الخطاب على ابنته حفصة أم المؤمنين ، وقال لها: كم تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب ؟

قالت: أربعة أشهر.

فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم: ألا يحبسوا جنديًا عن أهله أكثر من أربعة أشهر.

كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله.. وبين الدافع إلى الإثم والفاحشة فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان!!.

تلكم أهم بنود المنهج في وصول الشاب المسلم إلى قمة العفة والتسامي..

ولا شك أن الشاب إذا اتبع أصول هذا المنهج، وسار على بنوده بدقة وإحكام

---

(١) «الإسلام والمشكلة الجنسية» للدكتور مصطفى عبد الواحد مرجع سابق.

وتطبيق ومثابرة.. فإنه ينتصر في الحياة على كل الوساوس الشيطانية والنفسية التي تعتلج بين جوانحه، ويتغلب على كل الدوافع الغريزية التي تتوهج في أعماق كيانه.. بل يكون كالأنبياء في الأخلاق ، وكالملائكة في الطهر، وكالسلف الصالح في العفة.. حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله ، ويسهل عليه أسباب الرزق والمعاش.. والله سبحانه دائمًا يتولى المتقين الأبرار ويجعل لهم من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا.. لأنه القائل في محكم تنزيله:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

والقائل أيضًا:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٣].

وهذه العفة والتسامي ليس من الكبت في شيء ـ كما يتوهم البعض ـ لأن الكبت كما عرفه علماء النفس والتربية:

«هو استقذار العملية الجنسية، والاستشعار بالإثم لمن يزاولها ولو كان مزاولتها عن طرايق الزاج».

.. وهذا معناه هو الترهبن ، والإسلام ذم العزوبة، ونفر من الرهبانية..؟ وكيف أنه شرع الزواج تلبية للفطرة، واستجابة للغريزة.. فأيت الكبت وهذا هو الإسلام في مبادئه وواقعيته؟

«وبناء على هذا فإن ـ في الإسلام ـ أن يستعيذ بالله من هذا الإحساس المجرد، لأن الإسلام يقرر في صراحة أن هذه الرغبة أمر طبيعي لا نكران له ولا خلاف عليه.

وعلى ذلك لا يحتاج أن يكبت الشعور بهذه الرغبة، لكي يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه.. ولا يحتاج كذلك أن يشعر بالإثم من مجرد هذا الإحساس ، ومن ثم تنتفي كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالإثم والتي تؤدي إلى الجريمة في حالات الشذوذ .

ولكننا نعلم أن الإسلام لم يُبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف الغريزي حسبما اتفق.. وإنما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحًا في داخلها ، محرمًا فيما وراءها.

هذا صحيح، ولكن هذا شيء والكبت شيء آخر. فهذا التحريم لما وراءها

تعليق ينظم النشاط ولكن لا يقطعه من منبته ، ولا يحرم الإحساس به في أي لحظة بين الإنسان ونفسه » [١] .

ومما يؤكد أن الكبت ليس له وجود في ظلال التربية الإسلامية أن إنسانًا ما وهو في حياة العزوبة إذا تملكته الشهوة. وتحكمت فيه الغريزة ، وترجح لديه أنه سيرتمي في أحضان الفاحشة. . فيجوز له شرعًا أن يلجأ إلى العادة السرية لتسكين غريزته، والتخفيف من حدة شهوته. . أخذًا بالقاعدة الأصولية التي تقول: «يختار أخف الضررين، وأهون الشرين».

لهذا قال الفقهاء: «إن الاستمناء باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة وإثارتها وهي هادئة ، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال، وأقلقت الخاطر، وأرقفت على باب الفاحشة، وتعين الاستمناء طريقًا لتسكينها فإن الأمر جائز ومكافئ بعضه بعضًا، وينجو بصاحبه رأسًا برأس، أي لا أجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولا يعاقب»[٢] .

ألا فلتخرس ألسنة الذين يقولون إن الإسلام دين الكبت والرهبانية، وإن نظرته إلى الجنس نظرة استقذار وترفع وكراهية!! [٣].

وحتى يرى الإنسان ضميره ، ويحيط نفسه بقوة الوازع الدينى ، فلا يكون فريسة للانحراف عليه أن يلحظ الآتى :

عوامل قوة الوازع الديني :

١ ـ المراقبة لله عز وجل :

والمسلم دائمًا يتذكر هذه الآية الكريمة : ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٥].

وهو يجل الله تبارك وتعالى أن يعصيه وهو يرى ويسمع، يحصي سيئاته وحسناته.

«إن شعور الإنسان بأن الله قريب منه، ويراه ، ويحصي سيئاته وحسناته، يبعث في نفسه الرهب والرغب والاطمئنان . . الرهب من مخالفة الله وعصيانه، والرغب في رحمته ورضوانه. والاطمئنان إلى عدله وإحسانه.

---

(١) «الإسلام والمشكلة الجنسية» للدكتور مصطفى عبد الواحد ، مرجع سابق.

(٢) هذا النص الفقهي من كتاب «ردود على أباطيل » للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص ٤٢ .

(٣) انظر: مسئولية التربية الجنسية من وجهة نظرالإسلام، مرجع سابق، ص ١٤٣ ، ١٤٩ .

والقرآن يشير إلى هذه المعاني في كثير من المواقع، منها:

قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١١ ـ ١٤]. وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨] وقوله: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦] »(١) .

والمؤمن إذا تربى على هذه المراقبة في السر والعلن، وتوثقت هذه الصلة الروحية بينه وبين الله تعالى، يصبح إنسانًا سويًا كما أراده الله، لا تستهويه مادة ، ولا تستعبده شهوة، ولا يتسلط عليه شيطان .

قال سهل بن عبد الله التستري: « كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟

فقلت: كيف أذكره ؟

قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلوة في سري.

ثم قال لي يومًا: يا سهل، من كان الله معه وناظر إليه، وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية» (٢).

وبهذه التوجيه السديد ، والترويض المستمر، والتربية الإيمانية الحقة، أصبح سهل رحمه الله من كبار العارفين .

ومما ورد عن التابعي الجليل الربيع بن خثيم قوله: «إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت

---

(١) الإسلام والجنس، مرجع سابق، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ٣ / ١٢٠، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

فاذكر اطلاعه عليك فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وهذه الصلة هي التي تجعل النفس مطواعة لفعل الخير، كارهة لفعل الشر، بعيدة عن الإثم وارتكاب الفواحش.

٢ ـ صدق اللجوء إلى الله عز وجل:

لابد لنحصل على العفة أن نحرص على عمق وقوة وحسن دوام الصلة بالله عز وجل ـ وأن نكثر التلاوة والذكر والدعاء، والصلاة والتبتل والتضرع، والصوم، وكل عبادة من العبادات التى تتطهر بها النفس، ويتزكى بها القلب، وتنحصر وتضيق فيها مجارى الشيطان وتضيق فيها مجارى الشيطان.

وإذا سافر القلب إلى الله عز وجل في طلب العفاف ضمن الله سبحانه أن يحيى صاحبه حياة طيبة تجتمع فيها همومه في هم واحد، هو مرضاة الله.

ومن الوسائل العملية للجوء إلى الله عز وجل: الإكثار من نوافل الصلاة والصدقة والعمرة، وقراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، ويا سعادة من بلغ هذا المنزل، فإنه سيأمن على نفسه من المعصية، وكيف لا، وقد تكفل الله به، وبحفظ سمعه وبصره ويده ورجله وجوارحه، فهو يعيش في أمن من نفسه ومن الناس بأمان الله عز وجل.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن رب العزة تبارك وتعالى أنه قال: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[1].

قال ابن القيم في الجواب الكافي:

«لما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه، فقال: «**ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**» أي كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري والتقرب بمحابي، فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أنا أفعله به، ويستعيذني أن يناله»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) الجواب الكافي، مرجع سابق، ١٨٧، ١٨٨.

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف عليه السلام بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله ، فإن مواقعة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة، وذلك من وجوه:

أحدها: ما ركبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة ، كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام، حتى إن كثيراً من الناس يصبر عن الطعام والشراب، ولا يصبر عن النساء، وهذا لا يذم إذا صادف حلالاً ، بل يحمد كما في كتاب الزهد للإمام أحمد من حديث يوسف بن عطية الصفار، عن ثابت البناني، عن أنس عن النبي ﷺ: «**حبب إلى من الدنيا النساء والطيب**»[1] .

الثاني: أن يوسف عليه السلام كان شابًا، وشهوة الشاب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان عذبًا ليس له زوجة ولا سرية تكسر قوة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة يتأتى للقريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى له في وطنه، وبين أهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها.

السادس: أنها غير ممتنعة ولا أبية، فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها ، لم يجد في نفسه ذل الخضوع والسؤال لها، وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع إرادة وحبًا، كما قال الشاعر:

وزادني كلفا في الحب أن منعت ... أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

السابع: أنها طلبت وأرادت وراودت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب، وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة ، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

التاسع: وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنه كان في الظاهر مملوكًا لها في الدار، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها، ولا ينكر عليه، وكان الأنس سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي، كما

---

(١) النسائي (٣٩٣٩ ، ٣٩٤٠)، وقال الألباني : «حسن صحيح».

قيل لامرأة شريفة من أشراف العرب: ما حملك على الزنا؟

قالت: قرب الوساد وطول السواد.

تعني قرب وساد الرجل من وسادتي وطول السواد بيننا.

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إياهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن، فقال: ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

الثاني عشر: أنها توعدته بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه؛ إذ هو تهديد من يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة، وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار.

الثالث عشر: أن الزواج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كل منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قابلها به أن قال ليوسف: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] وللمرأة ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف: ٢٩] وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع، وهذا لم يظهر منه غيره.

ومع هذا الدواعي كلها آثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنا ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣] وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه، وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه» [١].

ورحم الله ابن كثير، فقد قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٤]: «ذلك لأن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع عن الوقوع فيما لا يليق أشد الامتناع، واختار السجن على ما طلب منه، وهذا في غاية مقامات الكمال؛ لأنه مع شبابه وجماله وكمال رجولته، تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، فيمتنع من ذلك، ويختار السجن خوفًا من الله تعالى، ورجاء في ثوابه» [٢].

ومن الدروس التي تتعلمها من سورة يوسف عليه السلام: أن المصطفين الأخيار

---

(١) الجواب الكافي، لابن القيم، مرجع سابق ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(٢) تفسير ابن كثير عند الآية.

من عباد الله لا يستطيع الشيطان أن يتغلب عليهم، مهما قدم لهم من شهوات ومغريات بل إنهم ليفضلون السجن وما يشبهه من أذى على اقتراف وفعل ما يتنافى من مكارم الأخلاق وصدق الله تعالى إذ يقول إلا إبليس وجنده: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] أي عبادي الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا لا قدرة لك يا إبليس على إغوائهم أو التأثير فيهم.

ولقد ضرب يوسف عليه السلام أروع الأمثال في الطهارة والعفاف والاستعصام بالشرف والأمانة مع خالقه أولا، وثانيًا مع الرجل الذي قال لامرأته: ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. واستطاع بقوة إيمانه، وبعلو همته، ويصدق عزيمته أن ينقلب على عواطفه وشهواته.

وعدن ما أرى تلك المرأة التي جاهرت أمام بنات جنسها بحبها له، وقالت بكل تبجح: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢]. عند ما رأى كل هذا الإصرار على وجوب النزول على أمرها، لجأ إلى ربه عز وجل يسأله ويتضرع إليه أن يصرف عنه كيدهن المرأة وأمثالها يقول كما حكى القرآن عنه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] .

ولقد أجاب الله تعالى بفضله وإحسانه دعوة يوسف عليه السلام، فدفع عنه بلطفه وقدرته كيد هؤلاء النسوة [(١)] .

قال ابن الجوزي: حدثني محمد بن عبيد الزاهد ، قال: كانت عندي جارية فبعتها، فتبعتها نفسي، فصرت إلى مولاها مع جماعة من إخواني ، فسألته أن يقيلني ويربح عشرين دينارًا فأبى عليَّ ، فانصرفت من عنده فرمت فطري فلم أقدر عليه، فبت ساهرًا لا أدري ما أصنع ، فخشي أن أعاوده في غد فأخرجها إلى المدائن ، فلما رأيت ما بي من الجهد كتبت اسمها في راحتي واستقبلت القبلة فكلما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي إلى السماء وقلت: يا سيدي هذه قصتي.

حتى إذا كان في السحر من اليوم الثاني إذا أنا برجل يدق على الباب ، فقلت:

(١) حديث القرآن عن العواطف الإنسانية ، د/ محمد سيد طنطاوي ، ص ٧٤ ، ٧٥، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

من هذا؟ قال: أنا مولى الجارية، فنزلت فإذا أنا به، فقال: خذ الجارية بارك الله لك فيها، فقلت: خذ دنانيرك والربح، فقال: ما كنت لآخذ منك ديناراً ولا درهمًا، قلت: ولم ذاك؟

قال: لأنه أتاني آت الليلة في منامي، فقال لي: رد الجارية على ابن عبيد، ولك على الله الجنة(١) .

ويقول أبو عبد الله النباجي: سمعت هاتفًا يهتف: عجبًا لمن وجد حاجته عند مولاه فأنزلها بالعبيد .

ـ من آثار قوة الوازع الديني:

أ ـ العزيمة:

نقرأ في كتاب الله فنرى عجبا، من حيث يقدر الإنسان السعادة، واللذة يكون الشقاء، والهوى كمينٌ لا يؤمن ، وما سمى هوى إلا لأنه يهوى بصاحبه وطالب الهوى ما يتمنى إلا لذة حاضرة وإن كانت سبب آلامه فيما بعد ، ولذا لم يذكر جل شأنه الهوى في كتابه ، ولا نبيه ﷺ في سننه إلا مذمومًا إلا ما جاء مقيدًا كقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** »(٢) .

وحتى يصبح المؤمن مؤمنًا يتخلص من هواه لابد له من عزيمة حر يغار لنفسه وعليها:

« فأصح الناس عزمًا الغالب لهواه، فاتباع الهوى يحُلُّ العزائم ويوهنها ومخالفته تشدها وتقويها، والعزائم هي مركب العبد الذي يسير إلى الله والدار الآخرة ، فمتى تعطل المركوب أوشك أن ينقطع المسافر.

قيل ليحيي بن معاذ: من أصح الناس عزمًا؟ قال: الغالب لهواه.

ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب، وعنده جارية يقال لها: البدر، من أحسن الناس وجهًا ، فقال له سليمان: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير ما رأت عيناي أحسن منها قط، فقال له: خذ بيدها ، فقال:

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ، مرجع سابق، ص ٥١٤ دار العقيدة.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٩٠) ، وقال النووى فى الأربعين النووية : «حديث صحيح ، رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح » .

ما كنت لأفجع الأمير بها، وقد رأيت شدة عجبه بها، فقال : ويحك خذها على شدة عجبي بها ليعلم هواي أني له غالب، وأخذ بيدها وخرج وهو يقول:

لقد حباني وأعطاني وفـــضلني عن غير مســألة منه سليـــــمان

أعطاني البدر خوداً في محاسنها والبدر لم يعـــطه إنس ولا جان

ولســـت يومًا بناسٍ فضله أبدًا حتـــى يغيـــبني لحدٌ وأكفان(١)

وحتى تتولد العزيمة في النفوس ، ننهل من معين الشرع لنتعرف على مقام التابع لهواه ، ومنزلة المخالف لهواه والمتبع لتعاليم الدين :

أ ـ مقام التابع لهواه:

أ ـ إن الله سبحانه وتعالى شبه أتباع الهوى والشهوات بأخس الحيوانات صورة ومعنى، يشبههم بالكلب تارة كقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف:١٧٦] ، وبالحمر تارة كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر:٥١] ، وقلب صورهم إلى صورة القرد والخنازير تارة .

وقد روى عبد الرزاق عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ الآية [الأعراف:١٧٥]، قال: هو رجل من بني إسرائيل ، يقال له : بلعام بن باعوراء وقال مالك بن دينار : كان من علماء بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، يقدمونه في الشدائد ، بعثه الله موسى إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه فتبع دينه، وترك دين موسى عليه السلام.

فأتبعه الشيطان أي: استحوذ عليه وغلبه على أمره، فمهما أمره امتثل وأطاعه، ولهذا قال: ﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٥]، أي من الهالكين الحائرين البائرين.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ [الأعراف:١٧٦] أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها ولكنه ﴿أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [الأعراف:١٧٦] أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها ، وأقبل على لذاتها ونعيمها ، وغرته كما غرت غيره من غير أولى البصائر والنهى . فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيثه في حالتيه : إن حملت عليه وإن تركته، هو يلهث في الحالين.

---

(١) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص ٤٦٦ ـ ٤٨٢ بتصرف ، الشركة الجزائرية اللبنانية ط ١، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م.

يقول ابن كثير: «فمن خرج عن حيز العلم والهدى، وأقبل على شهوة نفسه واتبع هواه، صار شبيهًا بالكلب وبئس المثل مثله»(١) .

قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦]:

«فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه.

وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمه ، وذلك من وجوه:

أحدها: أنه ضل بعد العلم ، واختار الكفر على الإيمان عمدًا لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة مَنْ لا يعود إليه أبدًا، فإنه انسلخ من الآيات بالجملة ، كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ولم يقل : تبعه فإن في معنى أتبعه: أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظًا ومعنى.

ورابعها: أنه غوى بعد الرشد. والغي: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل ، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد . فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذكر.

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه ؛ لأنه لم يرفع به فصار وبالاً عليه، فلو لم يكن عالمًا كان خيرًا له، وأخف لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خسة همته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاد اللزوم على الدوام ،

---

(١) عمدة التفسير عن الحافظ لابن كثير عند الآية.

وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض ؛ لأن الدنيا هي الأرض، وما فيها، وما يستخرج منها من الزينة والمتاع .

وثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه إمامًا له يقتدي به ويتبعه.

وتاسعها: أنه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة ، وأسقطها نفسًا، وأبخلها وأشدها كلبا ولهذا سمى كلبًا.

وعاشرها: أنه شبه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها ، وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي : تركه والحمل عليه بالطرد وهكذا. . هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا، وإن وعظ وزجر فهو كذلك ، فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب.

قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة، وحال الري وحال العطش ، فضربه الله مثلاً لهذا الكافر .فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث.وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك أخس ما يكون وأشنعه»[(١)] .

يقول اللواء محمود شيت خطاب : « إن الفرق الكبير بين الإنسان والحيوان ، هو أن الإنسان له مثل عليا يؤمن بها ويضحى من أجلها ، وهذه المثل العليا هى العقيدة، والإنسان العاقل يؤثر مثله العليا على متاع الدنيا ؛ لأن تلك المثل هى الباقية . . . أما الحيوان فهو الذى يؤثر فرجه وعلفه وإسطبله ، وهى متاعه فى الدنيا الفانية التى يعيش من أجلها الحيوان ، وبها أصبح حيوانًا ، فكم من البشر أخلدوا إلى الأرض فأصبحوا حيوانات بل هم أضل سبيلاً » [(٢)] .

الخوف على صاحب الهوى من الانسلاخ من الدين :

ب ـ اتباع الهوى وتوحيد الله لا يجتمعان:

يخاف على من اتبع الهوى أن ينسلخ من الإيمان وهو لا يشعر ، وقد ثبت عن

---

(١) الفوائد لابن القيم ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤، الشركة اللبنانية الجزائرية ، ط الأولى، ١٤٢٧ ، ٢٠٠٦م.

(٢) الإسلام والنصر ، محمود شيت خطاب ، دار قتيبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م.

النبي ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[١] .

وصح عنه أنه قال: «**إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**»[٢] .

وأول المهلكات: (الهوى) كما قال ﷺ وهو يتحدث عن المنجيات والمهلكات، فقال ﷺ: «**ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات: فأما المنجيات ؛ فتقوى الله عز وجل في السر والعلانية ، والقول بالحق في الرضا والسخط ، والقصد في الغني والفقر، وأما المهلكات ؛ فهوى متبع، وشح مطاع ، وإعجاب المرء بنفسه وهي أشدهنّ**»[٣] .

والهوى صنم ،ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه ، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته لا شريك له، وليس مراد الله سبحانه كسر الأصنام المجسدة ، وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً.

قال الحسنٍ بن على المُطوعي : صنم لكل إنسان هواه، فمن كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة .

ج ـ اتباع الهوى يفتح أبواب الخذلان:

فاتباع الهوى يغلق على العبد أبواب التوفيق ، ويفتح عليه أبواب الخذلان .

قال الفضيل بن عياض: من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق.

وقال بعض العلماء: الكفر في أربعة أشياء: في الغضب، والشهوة، والرغبة، والرهبة، ثم قال: رأيت منهن اثنتين : رجلا غضب فقتل أمه، ورجلا عشق فتنصر.

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي ـ رحمه الله :

قيل لآخر: قل لا إله إلا الله فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب ،

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٩٠) ، وقال النووي في الأربعين النووية : «حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح ».

(٢) أحمد (٤ / ٤٢٠)، وقال الأرناؤوط: «رجاله ثقات رجال الصحيح».

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٩ / ٣٩٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٤ / ٣٠١).

قال: وهذا الكلام له قصة ، وذلك أن رجلا كان واقفًا بازاء داره ،وكان بابها يشبه باب الحمام ، فمرت به جارية لها منظر، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟

فقال: هذا حمام منجاب.

فدخلت الدار ودخل وراءها ، فلما رأت نفسها في داره ، وعلمت أنه قد خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا ، وتقر به عيوننا.

فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين ، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم تخنه في شيء، فهام الرجل وأكثر الذكر لها، وجعل يمشي في الطرق والأزقة ويقول:

يا رُب قائله يومًا، وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب؟

فبينما هو يقول ذلك، إذا بجارية أجابته من طاق:

هلا جعلت سريعًا إذ ظفرت بها حرزًا على الدار أو قفلاً على الباب

فازداد هيمانه واشتد، ولم يزل على ذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا.

ولقد بكى سفيان الثوري ليلة إلى الصباح ، فلما أصبح قيل له: كل هذا خوفًا من الذنوب ، فأخذ تبنة من الأرض ، وقال: الذنوب أهون من هذا، وإنما أبكي من خوف سوء الخاتمة.

وهذا من أعظم الفقه: أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى.

قال: ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجدًا للأذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة ، فرقي يومًا المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها، فترك الأذان ، ونزل إليها ، ودخل عليها، فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ قال: أريدك . فقالت: لماذا؟ قال: لقد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبدًا، قال: أتزوجك؟ قالت:

أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك. فال: أتنصر . قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر الرجل ليتزوجها وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلم يظفر بها، وفاته دينه (١) .

قال صاحب حياة الحيوان ما نصه :

«ذكر أهل التاريخ وأصحاب السير أن رجلاً من بني إسرائيل اسمه إسحاق في زمن عيسى ابن مريم عليهما السلام كان له ابنة عم من أجمل أهل زمانها، كان مغرمًا بها فماتت فلزم قبرها ومكث زمانًا لا يفتر عن زيارته ، فمر به عيسى يومًا وهو على قبرها يبكي، فقال له عيسى عليه السلام: ما يبكيك يا أبا إسحاق؟

فقال له: يا روح الله كانت لي ابنة عم وهي زوجتي وكنت أحبها حبًا شديدًا، وإنها قد توفيت وهذا قبرها، وإني لا أستطيع الصبر عنها، وقد قتلني فراقها.

فقال له عيسى عليه السلام: أتحب أن أحييها لك بإذن الله؟

قال: نعم يا روح الله.

فوقف عيسى على القبر، وقال: قم يا صاحب هذا القبر بإذن الله فانشق القبر فخرج منه عبد أسود ، والنار خارجة من مناخره وعينيه وهو يقول: لا إله إلا الله عيسى روح الله وكلمته ورسوله.

فقال إسحاق : يا روح الله ما هذا القبر الذي فيه زوجتي ، وإنما هو هذا وأشار إلى قبر آخر .

فقال عيسى للأسود : ارجع إلى ما كنت عليه، فسقط ميتًا فواراه في قبره، ثم وقف على القبر الآخر، وقال: قم يا ساكن هذا القبر بإذن الله.

فقامت المرأة وهي تنثر التراب عن وجهها.

فقال عيسى: هذه زوجتك؟

قال: نعم يا روح الله.

قال: خذ بيدها وانصرف.

---

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص ١٦٨ـ ١٧٠، أندلسية للنشر والتوزيع، ودار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

فأخذها ومضى فأدركه النوم.

فقال لها: إنه قد قتلني السهر على قبرك ، وأريد أن آخذ لي راحة.

قالت: افعل.

فوضع رأسه على فخذها ونام.

فبينما هو نائم إذ مر عليها ابن الملك، وكان ذا حسن وجمال وهيئة عظيمة، راكب على جواد حسن، فلما رأته هوته وقامت إليه مسرعة ، فلما نظرها وقعت في قلبه ، فأتت وقالت: خذني.

فأردفها على جواده وسار.

فاستيقظ زوجها ونظر فلم يرها فقام يطلبها، وقص أثر الجواد فأدركها، وقال لابن الملك: أعطني زوجتي وابنة عمي.

فأنكرته ، وقالت: أنا جارية ابن الملك.

فقال: بلى أنت زوجتي وابنة عمي.

فقالت: ما أعرفك، وما أنا إلا جارية ابن الملك.

فقال له ابن الملك: أفتريد أن تفسد جاريتي؟

فقال: والله إنها لزوجتي ، وإن عيسى ابن مريم أحياها لي بإذن الله بعد أن كانت ميتة فبينما هُم في المنازعة إذ مر عيسى عليه السلام.

فقال إسحاق: يا روح الله ، أما هذه زوجتي التي أحييتها لي بإذن الله؟

قال: نعم.

فقالت: يا روح الله ، إنه يكذب وإني جارية بن الملك، وقال ابن الملك: هذه جاريتي.

قال عيسى: ألست التي أحييتك بإذن الله.

قالت: لا والله يا روح الله. قال: فردي علينا ما أعطيناك ، فسقطت ميتة، فقال: عيسى: من أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله كافرًا ثم أحياه وأماته مسلمًا فلينظر إلى ذلك الأسود، ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها وأماتها كافرة فلينظر إلى هذه ، وإن إسحاق الإسرائيلي عاهد الله تعالي ألا يتزوج

أبدًا، وهام على وجهه في البراري باكيًا.

وفي هذه الحكاية أعظم عبرة لأولى الألباب، وهي من أعجب ما يسمع في التوفيق والخذلان: نسأل الله تعالى السلامة (١) .

مقام المخالف لهواه:

مخالفة الهوى تورث القوة :

لكل عبد بداية ونهاية ، فمن كانت بدايته اتباعه الهوى كانت نهايته الذلة والصغار والحرمان والبلاء المتبوع بحسب ما اتبع من هواه ، بل يصير له ذلك في نهايته عذابًا يعذب به في قلبه ، كما قال القائل:

مآرب كانت في الشباب لأهلها عِذابًا فصارت في المشيب عَذَابًا

قال ابن على الدقاق: مَنْ ملك شهوته في حال شيبته أعزه الله تعالى في حال كهولته.

وقيل للمهلَّب بن أبي صُفرة: بم نلت ما نلت؟ قال: بطاعة الحزم وعصيات الهوى، فهذا في بداية الدنيا ونهايتها، وأما الآخرة فقد جعل الله سبحانه الجنة نهاية من خالف هواه والنهار نهاية من اتبع هواه.

فمخالفة الهوى تورث الإنسان قوة في بدنه وقلبه ولسانه، قال بعض السلف:

الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده، وفي الحديث الصحيح المرفوع: «**ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» (٢) .

وكلما تمرن على مخالفة هواه اكتسب قوة إلى قوته.

المخالف لهواه لو أقسم على الله لأبره:

فمخالفة الهوى تقيم العبد في مقام من لو أقسم على الله لأبره ، فيقضي له من الحوائج أضعاف أضعاف ما فاته من هواه ، فهو كمن رغب عن بعرةٍ فأعطي عوضها درة.

---

(١) حياة الحيوان الكبري للدميري، ١ / ٢٢٠، دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه البخارى (٦١١٤) ، ومسلم (٢٦٠٩ / ١٠٧) .

قال عبد الرحمن بن مهدي: رأيت سفيان الثوري رحمه الله تعالى في المنام فقلت له: ما فعل الله بك ؟ فقال : لم يكن إلا أن وضعت في لحدي حتى وقفت بين يدي الله تبارك وتعالى ، فحاسبني حسابًا يسيرًا ثم أمر بي إلى الجنة، فبينا أنا أدور بين أشجارها وأنهارها لا أسمع حسًا ولا حركة إذ سمعت قائلاً يقول: سفيان بن سعيد؟ فقلت: سفيان بن سعيد، فقال: تحفظ أنك آثرت الله عز وجل على هواك يومًا؟ قلت: إي والله ، فأخذني النثار من كل جانب.

وفي مسند أحمد، وسنن الترمذي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد سمعت من رسول الله حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ما حدثت به، ولكن سمعته أكثر من ذلك قال:

«كان ذو الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أرعدت وبكت، فقال: ما يُبكيك أكرهتك؟! قالت: لا، ولكن هذا عمل لم أعمله قط! قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟ قالت: حملتني عليه الحاجة فتركها، ثم قال: اذهبي والدنانير لك، ثم قال: والله لا يعصي الله ذو الكفل أبدًا، فمات من ليلته ، فأصبح مكتوبًا على بابه : غفر الله لذي الكفل» (١) .

ومخالفة الهوى توجب شرف الدنيا والآخرة: فإنك إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى. . والله سبحانه حدد هذه الوقاية وهو العليم بتكوينهم النفسي، وتكوينهم الفطري، وهو الخبير بما يصنعون بحركات نفوسهم وحركات جوارحهم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

ب ـ غض البصر:

من آثار قوة الوازع الديني غض البصر يعني صرف النظر. .

وعندما نقول غض البصر ونقف. . فإننا نقصد صرف النظر عن الفتيات في

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٦)، وضعفه الألباني.

الشارع، في المدرسة في التليفزيون، في وسائل الإعلام.. إلخ.

والقضية كبيرة وخطيرة.. في مجتمع ترك المجال للمرأة لتبرز زينتها ومفاتنها، بل وتاجر بالمرأة في وسائل الإعلام ليحصد من ورائها المال بدعوى التقدم والحضارة.

وطالب ثانوي.. مظلوم في هذه المعمعة اللا أخلاقية.

ولا يدري ماذا يفعل .. في مشكلة تؤثر تأثيراً هائلاً على حياته ودينه وآخرته.

تعالوا نبحث عن الحل:

١ ـ خطورة النظر للمرأة:

النظرة بريد الزنى.

حديث بسيط.. ولكن عميق يوضح خطورة النظرة الحرام ببلاغة رائعة..

فنظرة الفتى إلى الفتاة يوقع في قلبه الإعجاب بها، ثم التفكير بعدها في الحديث معها بافتعال أي سبب، ثم يتبع الحديث أحاديث أخرى.. وتنشأ العلاقة.

وتتطور إلى أن تصل إلى مرحلة أخطر وأخطر ليست بعيدة عن مجتمعنا الآن.. الزنى والزواج العرفي.. الاسم العصري لجريمة الزنى.. وجرائم أخلاقية تنهش في جسد المجتمع الضعيف.

والبداية.. كانت نظرة..

إن النظرة تولد الخطوة (أي الخاطر)، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوي فتصيرعازمة جازمة ، فيقع الفعل ولابد ما لم يمنع مانع.

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر

أحاديث تحذر من فتنة النظر:

١ ـ قال النبي ﷺ: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي، أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه**»[١].

٢ ـ قال النبي ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء (أي فتنة النساء) ، فإن أول فتنة**

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٣٤٩)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

بني إسرائيل كانت في النساء» [١] .

٣ ـ عن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني فقال: «**اصرف بصرك**» [٢] ، وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**يا علي.. لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**» [٣] .

٤ ـ وقال ﷺ: «**العينان تزنيان، وزناهما النظر**» [٤] .

وكان السلف الصالح يبالغون في غض البصر خوفًا من الوقوع في عقوبته.

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: النظر يزرع في القلب الشهوة وكفى بها خطيئة.

ويقول تعالى في سورة النور:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

ويلاحظ أن الآيتين أمرتا بالغض من البصر لا بغض البصر، ولم تقل: ويحفظوا من فروجهم كما قالت: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ فإن الفرج مأمور بحفظه جملة دون تسامح في شيء منه، أما البصر فقد سمح الله للناس بشيء منه رفعًا للحرج، ورعاية للمصلحة كما سنرى، فالغض من البصر ليس معناه إقفال العين عن النظر، ولا إطراق الرأس إلى الأرض فليس هذا بمراد ولا مستطاع . كما أن الغض من الصوت في قوله: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان:١٩] ، ليس معناه إغلاق الشفتين عن الكلام، وإنما معنى الغض من البصر خفضه، وعدم إرساله طليق العنان يلتهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢ / ٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٤٨)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٤٩) وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد في المسند(٢ / ٣٤٣)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

الغاديات والرائحات أو الغادين والرائحين . فإذا نظر إلى الجنس الآخر لم يغلغل النظر إلى محاسنه، ولم يطل الالتفات إليه والتحدق به.

عقوبات النظر إلى المحرمات:

١ ـ فساد القلب، فالنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية.

٢ ـ نسيان العلم: فقد الشافعي بعض قدرته على الحفظ لأنه نظر إلى كعب امرأة.

٣ ـ نزول البلاء

٤ ـ الغفلة عن الله والدار الآخرة.

فإن القلب إذا شغل بالمحرمات أورثه ذلك كسلاً عن ذكر الله وملازمة الطاعات.

فوائد غض البصر:

١ـ تخليص القلب من ألم الحسرة ، فإن من أطلق نظره دامت حسرته.

٢ ـ يورث القلب نوراً وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح.

٣ ـ يورث صحة الفراسة قال شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، وأكل من الحلال ، لم تخطئ فراسته.

٤ ـ يفتح طرق العلم وأبوابه.

٥ ـ يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، قال بعض الشيوخ، الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله.

٦ ـ يورث في القلب سروراً وفرحة منشأها الحرص على طاعة الله، فلذة العفة أعظم من لذة الذنب.

٧ ـ يخلص القلب من أسر الشهوة.

٨ ـ أنه يسد عن العبد بابًا من أبواب جهنم.

٩ ـ يقوي العقل ويزيده ويثبته ، فإن إطلاق البصر لا يحصل إلا من خفه العقل وطيشه.

١٠ ـ يفرغ القلب من الانشغال بالدنيا.

ج ـ عدم الاختلاط المستهتر:

الاختلاط معناه وجود الفتيان والفتيات أو الشبان والبنات أو الطلبة والطالبات أو الرجال والنساء في مكان واحد بحيث يتمكن كل منهم رؤية الآخر والحديث معه.

وفي مجتمعاتنا وفي أي مجتمع من الطبيعي أن يحدث هذا الاختلاط في السوق وفي العمل، وفي الندوات العامة وفي الشارع وفي الحفلات العائلية.

وفي عصر الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كان يحدث هذا بل زادوا عليه بوجود النساء والرجال في المسجد في الصلاة وفي الدروس، وشاركت النساء مع الرجال في كل غزوات الرسول.

وحضرت النساء أخطر الاجتماعات السياسية في التاريخ مثل حضورها مع الرجال في بيعة العقبة الأولى والثانية .

إذن وجود النساء مع الرجال في عصر الرسول مر بصورة طبيعية بل وإيجابية ومفيدة للمجتمع ومؤثرة في نصرة الإسلام وانتشاره.

لم يكن الأمر سلبيًا أو مرضيًا أو مرعبًا أو مدمرًا.

إذن ما الذي حدث؟ ولماذا أصبح الاختلاط في عصرنا ينشر المعصية ويشيع الرذيلة ويصيب بالتخلف؟ إن هذا الفارق الرهيب يأتي للآتي:

أولاً: في حالة التعامل الفردي. . كان التعامل بين الرجل والمرأة يتم في إطار شرعي منضبط، فالتعامل لا يتم إلا عند الضرورة فقط . . زي المرأة ملتزم بضوابط الشرع من غطاء الرأس وملابس فضافضة لا تكشف عورة ولا تشف عنها، والتحدث بوقار واحترام. . وعلى هذا فإن التعامل كان يتم في حدود ضيقة حيث يمثل استثناء من القاعدة وعندما يتم كان بصورة لا تخرق قواعد الدين.

ثانيًا: في حالة الحضور الجماعي كالحضور في المسجد للصلاة أو الندوات أو حضور الاجتماعات ، كان يحدث فصل بين الرجال والنساء.

وبهذه الصورة كان تواجد الرجال مع النساء لا يسبب أي مشكلة ومرت الأمور بسلام دون أزمات أو تأثيرات سلبية على مجتمع يريد أن يؤسس بنيانه على أسس قوية ومتينة من حسن الخلق.

لكن الأزمة نشأت عندما تم تكسير الإطار الإسلامي الرباني واستبداله بإطار

غربي ظن البعض أنه تقدمي وحضاري ومناسب للعصر ، وأن تواجد الفتى مع الفتاة يجب ألا يتم دون قيد ودون حساسيات ودون تدخل للحلال والحرام، فأصبح تحدث الفتى مع الفتاة والعكس لا يتطلب ضرورة، بل اعتبر كل منهما الآخر كفرد من بني جنسه يمكن أن يتخذه صديقًا له ، يحدثه تليفونيًا ويلتقي به في نزهة أو حفلة ، وبطبيعة الحال فهذا التفكير لا يفرض على الفتاة الالتزام بزي إسلامي يمنع الإثارة ويحجم الشهوة، بل إن الذي يحدث العكس فالفتاة تتعمد أن تتزين قدر الإمكان، والفتى يتصنع الأسباب للتحدث مع الفتاة وترتيب لقاءات معها.

هذا الفكر تسبب في أن تحول محراب العلم - الجامعة - إلى كرنفالات للأزياء المثيرة وملتقى ومصدرًا للزواج غير الشرعي . . بل أصبحت في بعض الجامعات وكرًا للمخدرات والأعمال المنافية للآداب.

وهجم الاختلاط بهذا الأسلوب، وهذا الفكر المدمر وتغلغل في كل مناحي الحياة، وأصبح له أنصار يدافعون عنه بصفته مظهرًا من مظاهر الحضارة الغربية المتقدمة، ويرونه وجهًا من حرية المرأة ينشدونها ودافعًا للتقدم الذي تنشده البلاد.

إلا أن الواقع كان يشهد تخلفًا وتدهورًا أخلاقيًا، وجرائم تعدت أرقام الخطوط الحمراء وأمراضًا اجتماعية خطيرة؛ كالخيانات الزوجية وارتفاع مرعب في نسب الطلاق خصوصًا بين الشباب.

وفي واحد من أخطر المجالات على الإطلاق، والذي يحدث فيه الاختلاط بصورة فجة ومرعبة سواء في التعليم الثانوي، أو التعليم الجامعي تعالوا نرصد آراء الناس والخبراء . .

الاختلاط في العائلات:

يحدث الاختلاط في العائلات بصورة خاطئة ينتج عنها مشاكل عديدة حيث إنها لا تستند إلى شرع، إنما تستند إلى عادات وتقاليد موروثة، مثل: الجلوس مع أخ الزوج، أو زوج الأخت أو أبناء العم وأبناء الخال والخالة. . . ونحوهم من غير محرم، أو بزي غير شرعي أو الاثنين معًا، فهؤلاء ليسوا من المحارم، وليس لهم النظر إلا إلى وجهها حتى لا يفتتن بها فيقعا في الحرام، وقد يخترق العائلة شخص خارج نطاق القرابة أو النسب فيما يسمى في بعض الأسر . . صديق العائلة.

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال

رجل من الأنصار: يا رسول الله : أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت** »[1] والمراد بالحمو: أخو الزوج وعمه ونحوهما ؛ وذلك لأنهم يدخلون البيت بدون ريبة، ولكنهم ليسوا بمحارم بمجرد قرابتهم لزوجها، وعلى ذلك لا يجوز لها أن تكشف عن زينتها ولو كانوا صالحين موثوقًا بهم ؛ لأن الله حصر جواز إبداء الزينة في أناس بينهم في الآية السابقة ، وليس أخ الزوج ولا عمه ونحوهم منهم، وقال في الحديث الصحيح : «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم** »[2] والمراد بذي المحرم: من يحرم عليه نكاحها على التأبيد لنسب أو مصاهرة أو رضاع ، كالأب والابن والأخ والعم ومن يجري مجراهم.

وإنما نهي رسول الله عن ذلك لئلا؛ يرخي لهم الشيطان عنان الغواية، ويمشي بينهم بالفساد، ويوسوس لهم ، ويزين لهم المعصية . وقد ثبت عنه أنه قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان** »[3] .

ومن جرت العادة في بلادهم بخلاف ذلك بحجة أن ذلك عادة أهلهم، أو أهل بلدهم، فعليهم أن يجاهدوا أنفسهم في إزالة هذه العادة ، وأن يتعاونوا في القضاء عليها، والتخلص من شرها؛ محافظة على الأعراض، وتعاونًا على البر والتقوى، وتنفيذًا لأمر الله عز وجل ورسوله، وأن يتوبوا إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ مما سلف منها، وأن يجتهدوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستروا عليه، ولا تأخذهم في نصرة الحق وإبطال الباطل لومة لائم ، ولا يردهم عن ذلك سخرية أو استهزاء من بعض الناس، فإن الواجب على المسلم اتباع شرع الله برضا وطواعية ورغبة فيما عند الله وخوف عقابه، ولو خالفه في ذلك أقرب الناس وأحب الناس إليه. ولا يجوز اتباع الأهواء والعادات التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإسلام هو دين الحق والهدى والعدالة في كل شيء ، وفيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والنهي عما يخالفهما .

كيف يتجنب الشباب مضار الاختلاط؟

لابد أن يدرك المؤمن أن وجوده في مجتمع مختلط ، سيضر بسلوكه وأخلاقه ودينه وصحته النفسية ومستواه الدراسي، ومن ثم فعليه أن يحصن نفسه جيدًا من

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٢) ، ومسلم (٢١٧٢ / ٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٣).
(٣) أخرجه الترمذي (١١٧١)، وقال: «حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني.

أضراره كالآتي:

١ ـ غض البصر.

٢ ـ الابتعاد عن الدروس الخصوصية المشتركة.

٣ ـ عدم محاولة التحدث مع الفتيات مطلقًا، ولا يحاول التحجج بأن هناك ضرورة علمية كأخذ ملزمة أو السؤال في جزئية يصعب فهمها، فهي أمور يستطيع قطعًا الاستعانة بأحد زملائه فيه، وهي بلا شك مداخل من الشيطان يشده بها إلى المعصية.

وأخيراً.. فإننا نود أن نشير إلى عدة نقاط مهمة:

أولاً: إن الإسلام نظر لقضية الاختلاط على أنها ضرورة وليست أصلاً.

ثانيًا: إن الله فطر الفتى والفتاة لينجذب كل منهما للآخر، ولكنه وضع ضوابط لتفادي أضرار هذا الانجذاب ، مثل زي الفتاة المحتشم الذي يستر شعرها وجسدها، ولا يظهر مفاتنها، وأن يكون سلوك كل من الطرفين وقوراً محترمًا ليس فيه نية استمالة للطرف الآخر.

ثالثًا: إن الله وضع طرقًا تحمي المجتمع من الفساد الخلقي عند التقارب بين الطرفين بغرض الزواج ، فبدأت بكيفية الاختيار ثم الخطبة ثم الزواج.

إن العلاقة بين الفتى والفتاة علاقة حساسة ينبغي النظر إليها بالكثير من الحرص لنحمي أنفسنا وإخواننا وأخواتنا ومجتمعنا من أخطار نفسية واجتماعية نطالعها ليل نهار بأسى وبحزن. . وبعجز أيضًا.

يا إخوة. . نحن الذين نصنع المشكلة بأيدينا. . وبأيدينا أن نقي أنفسنا شرها إذا تذكرنا أننا مسلمون ينبغي علينا أن نتبع دينًا اسمه الإسلام وضعه الله وجاء به محمد ﷺ وضرب الصحابة به المثل. . وجئنا لنضعه في خانة الديانة في البطاقة الشخصية.

د ـ الصوم:

هذه أحاديث الرسول صلوات الله عليه تزخر بما كان يوجهه إلى الشباب من حث على العفة وتوجيه إلى المصابرة ولهم أرفع الدرجات. .

فهو يقول: «**يا شباب قريش: احفظوا فروجكم، لا تزنوا ، ألا من حفظ فرجه فله الجنة**»(١) .

«**يا فتيان قريش: لا تزنوا، فإنه من سَلِمَ له شبابه دخل الجنة**»(٢) .

وتلك إشارات إلى التوجيه النفسي تهدي إلى ألوان كثيرة من الدعوة والإقناع.

ومن الوجهة السلوكية يصرف الإسلام الشباب إلى أن يستغلوا طاقاتهم فيما يعود على أنفسهم وعلى أمتهم بالخير والنماء ، فالعبادة بصورها المختلفة والخدمة العامة التي يجعلها الإسلام فريضة على كل قادر ، والفروسية والاستعداد للجهاد، كل ذلك كان سمة من سمات الشباب المسلم في كل العصور. وقد كانت «الفتوة الإسلامية» نظامًا عامًا في الأقطار الإسلامية، تحقيقًا لقول الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول للمسلمين : «علموا أولادكم الرماية وركوب الخيل ومروهم ليثبوا على الخيل وثبًا».

والأمر متروك للمجتمع ليختار للشباب وجوه النشاط والعمل، التي تحقق الإعلاء والتسامي بالغريزة ، وتصرف الطاقة فيما يفيد.

أما الفتاة فالأمثل لها أن تشغل أوقات فراغها بالتهيؤ للأمومة والتخصص في شئون الأسرة ورعاية النشء ، وتعلم ما يتصل بذلك من قريب أو بعيد، ثم بإشاعة المرحمة وبذل العون في كل جانب يحتاج إلى جهدها.

ومن مناهج التسامي بالغريزة وإعلائها مادعا الرسول ﷺ الشباب إليه، حين قال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء**»(٣) أي وقاية وستر.

والصيام فوق كونه يقوي الإرادة ويثبت العزيمة، يهذب الغريزة ويصرف الطاقة، وهو صورة من صور العبادة التي تملأ القلب بالسكينة والطمأنينة والإيمان، فيرتفع عن النزوات والشهوات.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤ / ٣٩٨)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٢٧٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٤ / ٣٦٥)، والطيالسي (٢٨٧١)..

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠ / ٣).

وإلى جوار هذا يهتم الإسلام برعاية الشباب نفسيًا وفكريًا فلابد من الوصول إلى قلوبهم وتصحيح اتجاهاتهم في جانب الغريزة.

وفي هذا الحديث مثل صالح يحتذى به ويُسار على هداه.

روى الطبراني عن أبي أمامة قال: «جاء شاب إلى النبي ﷺ قال له: يا رسول الله، ائذن لي في الزنا.

فتصايح الناس وأنكروا قوله. ولكن رسول الله صلوات الله عليه أدناه منه ودار بينهما الحوار:

قال: هل ترضاه لأمك؟

قال: لا.

قال: كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم.

قال: هل ترضاه لأختك؟

قال: لا.

قال: كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم.،

قال: هل ترضاه لابنتك؟

قال: لا.

قال: كذلك الناس لا يرضونه لبناتهم».

وهكذا وضع الرسول صلوات الله عليه على يد الفتى الحقيقة ولفت نظره إلى حكمة المنع والحظر، وأيقظ في نفسه الشعور الاجتماعي، وكف عنه حدة الأنانية التي تتبع الهوي وتغفل عن علاقة الفرد بالمجتمع وعن العقد الاجتماعي الذي ارتقت به الحياة ثم دعا بدعوات موحية ذات مغزى عميق، فقال: «**اللهم طهر قلبه، وحصن فرجه، وغض بصره**».

قال الفتى : «فو الله ما التفت بعدها لشيء من ذلك أبدًا»[1] .

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩ / ١٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨ / ١٨٣)، وقال الهيثمي في الزوائد (١ / ١٥٥): «رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

فهذا يكشف عن واقعية الإسلام، وتفهمه لمشاعر الشباب وتقديره لما يعانيه من صراع بين الواجب واللذة وبين المثل والواقع، وهي لمحة ينبغي أن يسير على خطاها الهداة والمرشدون في كل زمان[١] .

توجيه مثالي:

ونثبت هنا كلمة طريفة تمثل لونًا من التوجيه الإسلامي المعاصر للشباب فهي نموذج للفهم البصير والإقناع الهادئ الذي يدعو إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة:

«لماذا تكتب إلى على تردد واستحياء؟

أتحسب أنك أنت وحدك الذي يحس هذه الوقدة في أعصابه من ضرم الشهوة، وأنك أنت وحدك الذي اختص بها دون الناس أجمعين؟!

لا يا بني، هون عليك ، فليس الذي تشكو داءك وحدك، ولكنه داء الشباب.

ولئن أرقك هذا الذي تجد، وأنت في السابعة عشرة ، فلطالما أرق كثيرين غيرك، صغارًا وكبارًا، ولطالما نفى عن عيونهم لذيد الكرى، ولطالما صرف عن درسه التلميذ، وعن عمله العامل ، وعن تجارته التاجر . .

وما الحب الذي افتن في وصفه الشعراء، وفي تحليله الأدباء، إلا ما تجده أنت سواء بسواء، ولكنك أخذته مجردًا مكشوفًا فعرفه الناس ولم يخدعوا عنه، وأخذوه فلفوه ليخدعوا عن حقيقته الناس، وشربت بفيك من الينبوع ، وشربوا بالكأس المذهبة الحواشي ، والماء في كأس أبي نواس التي أقام في قرارتها كسرى، كالماء في الساقية، والشهوة في رسالتك إلى، كالشهوة في غزل الشعراء، وشعر الغزليين، ولوحات المصورين، وألحان المغنين ، ولكن الضمير هاهنا بارز ظاهر ، والضمير هنالك مستتر خفي، وشر الداء ما خفي واستتر!

إنه ما أشرف على مثل سنك أحد إلا توقد في نفسه شيء كان خامدًا. فأحس حره في أعصابه ، وتبدلت في عينه الدنيا غير الدنيا والناس غير الناس.

فلم يعد يرى المرأة على حقيقتها إنسانًا من دم ولحم، له ما للإنسان من المزايا وما فيه من العيوب ، ولكن أملاً فيه تجتمع الآمال كلها، وأمنية فيها تلتقي الأماني، ويلبسها من خيال غريزته ثوبًا يخفي عيوبها ويستر نقائصها ، ويبرزها تمثالاً للخير

(١) الإسلام والمشكلة الجنسية، د/ مصطفى عبد الواحد، مرجع سابق ص ٨٠ ، ٨١ .

المحض والجمال المكمل، ويعمل منها ما يعمل الوثني من الحجر ينحته بيده صنمًا ثم يعبده بطوعه ربًا!

إن الصنم للوثني رب من حجر ، والمرأة للعاشق وثن من خيال!

كل هذا طبيعي معقول ، ولكن الذي لا يكون أبدًا طبيعيا ولا معقولا أن يحس الفتى بهذا كله في سن خمس عشرة أو ست عشرة سنة، ثم يضطره أسلوب التعليم إلى البقاء في المدرسة إلى سن العشرين أو خمس وعشرين.

فماذا يصنع في هذه السنوات ، وهي أشد سني العمر اضطرام شهوة واضطراب جسد، وهياجًا وغليانًا؟

ماذا يصنع ؟

هذه هي المشكلة!

أما سنة الله ، وطبيعة النفس، فتقول له: تزوج.

وأما أوضاع المجتمع وأساليب التعليم فتقول له: اختر إحدى ثلاث كلها شر، ولكن إياك أن تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير، وهي الزواج!

١ ـ إما أن تنطوي على نفسك، على أوهام غريزتك وأحلام شهوتك ، تدأب على التفكير فيها، وتغذيها بالروايات الداعرة والأفلام الفاجرة والصور العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك، وتستأثر بسمعك وبصرك فلا ترى حيثما نظرت إلا صور الغيد الفواتن، تراهن في كتاب «الجغرافيا» إن فتحته وفي طلعة البدر إن لمحته ، وفي حمرة الشفق ، وفي سواد الليل ، وفي أحلام اليقظة وفي رؤى المنام.

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لي ليلى بكل سبيل

ثم لا تنتهي بك الحال إلا إلى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب.

٢ ـ وإما أن تعمد إلى ما يسمونه اليوم «الاستمناء» وقد كان يسمى قديمًا غير هذا، وقد تكلم في حكمه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ، وكان له في كتب الآداب باب، لا أحب أن أدل عليه أو أرشد إليه، وهو وإن كان أقل الثلاثة شرًا وأخفها ضررًا، لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلاً محطمًا، كئيبًا مستوحشًا، يفر من الناس ويجبن عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة.

٣ ـ وإما أن تعرف من حمأة اللذة المحرمة وتسلك سبيل الضلال ، وتؤم بيوت الفحش، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة ، ومتعة عابرة، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التي تسعى إليها، والوظيفة التي تحرص عليها، والعلم الذي أملت فيه، ولم يبق لك من قوتك وفتوتك ما تضرب به في لج العمل الحر.

ولا تحسب بعد أنك تشبع. . . كلا، إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهمًا، كشارب الماء المثلج لا يزداد شربًا إلا ازداد عطشًا، ولو أنك عرفت آلافًا منهن ثم رأيت أخرى متمنعة عليك ، معرضة عنك ، لرغبت فيها وحدها ، وأحسست من الألم لفقدها مثل الذي يحسه من لم يعرف امرأة قط!

وهبك وجدت منهن كل ما طلبت، ووسعك السلطان والمال، فهل يسعك الجسد؟

وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة؟!

دون ذلك وتنهار أقوى الأجساد، وكم من رجال كانوا أعاجيب في القوة، وكانوا أبطالاً في الربّع والصرع والرمي والسّبق ، ما هي إلا أن استجابوا إلى شهواتهم وانقادوا إلى غرائزهم حتى أمسوا حطامًا.

إن من عجائب حكمة الله، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها، الصحة والنشاط، وجعل من الرذيلة عقابها، الانحطاط والمرض ، ولرب رجل ما جاوز الثلاثين ، يبدو مما جار على نفسه كابن ستين، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين ، ومن أمثال الإفرنج التي سمعناها وهي حق وصدق: من حفظ شبابه حُفظت له شيخوخته.

وكأني أسمعك تقول: هذا الداء فما الدواء؟

الدواء أن تعود إلى سنة الله وطبائع الأشياء التي طبعها الله عليها، إن الله ما حرم شيئًا إلا أحل شيئًا مكانه، حرم المراباة وأحل التجارة، وحرم الزنا وأحل الزواج، فالدواء هو الزواج.

فإذا لم يتيسر لك الزواج، ولم ترد الفاحشة، فليس إلا التسامي، وأنا لا أريد أن أعقد هذا الفصل، الذي كتبته ليكون مفهومًا واضحًا، بمصطلحات علم النفس لذلك أعمد إلى مثال أمثله لك:

أترى إلى إبريق الشاي الذي يغلى على النار!

إنك إن سددته فأحكمت سده، وأوقدت عليه ، فجره البخار المحبوس ، وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الإبريق ، وإن وصلت به ذراعا كذراع القاطرة، أدار لك المصنع، وسير القطار وعمل الأعاجيب.

فالأولى: حالة من يحبس نفسه على شهوته ،يفكر فيها ويعكف عليها، والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ويؤم مواطن اللذة المحرمة، والثالثة: حالة المتسامي.

فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي ، يستنفذ هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس في البحث، أو بالتفرغ للفن والتعبير عن هذه الصورة التي تصورها لك غريزتك ، بالألفاظ شعراً أو بالألوان لوحة، أو بالألحان نغمًا ، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة ،والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية ، والإنسان ـ يا ابني ـ محب لنفسه لا يقدم أحدًا عليها ، فإذا وقف أمام المرآة ورأى استدارة كتفيه، ومتانة صدره، وقوة يديه، كان هذا الجسم الرياضي المتناسق القوي، أحب إليه من كل جسد أنثى ، ولم يرض أن يضحي به، ويذهب قوته ويعصر عضلاته ،يعود به جلدًا على عظم ، من أجل سواد عيني فتاة ولا من أجل زرقتهما.

هذا هو الدواء: الزواج، وهو العلاج الكامل. فإن لم يمكن فالتسامي، وهو مسكن مؤقت ولكنه مسكن قوي، ينفع ولا يؤذي.

أما ما يقوله المغفلون ، أو المفسدون، من أن دواء هذا الفساد الاجتماعي هو تعويد الجنسين الاختلاط حتى تنكسر حدة الشهوة ، وفتح «المحلات العمومية» حتى يقضي بها على البغاء السري، فكلام فارغ، وقد جربت الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها إلا شهوة وفسادًا، أما المحلات العمومية فإننا إذا أقررناها وجب أن نوسعها حتى تكفي الشبان جميعا ، وإذن فينبغي أن يكون في القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغي؛ لأن في القاهرة مائة ألف شاب على الأقل . . ، وإذا نحن جوزنا للشباب ارتيادها فاستغنوا بذلك عن الزواج ، فماذا نصنع بالبنات؟ هل نفتح لهن أيضًا محلات عمومية فيها «بغايا» من الذكور؟!

كلام فارغ يا بني والله:

وما تقوله عقولهم، ولكن غرائزهم، وما يريدون إصلاح الأخلاق ،ولا تقدم

المرأة ولا ونشر المدنية، ولا الروح الرياضية، ولا الحياة الجامعية، إنما هي ألفاظ يتلفظون بها ويبتدعون كل يوم جديدًا منها، يهولون به على الناس ، ويروجون به لدعوتهم، وما يريدون إلا أن نخرج لهم بناتنا وأخواتنا ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفي من أجسادهن ، وينالوا الحلال والحرام من المتعة بهن، ويصاحبونهن منفردات في الأسفار، ويراقصونهن متجملات في الحفلات ، وينخدع مع ذلك بعض الآباء فيضحون بأعراض بناتهن ليقال إنهم من المتمدنين[١] .

في ظل الإسلام يجد الشاب الرعاية والتوجيه، فلا تبقى مشكلتهم سلعة للتجارة، ولا عبثًا في أيدي الفارغين الجاهلين بسنن الحياة ، المولعين بالتقليد ينعقون بما لا يعقلون . . من الذين قال الله فيهم:

﴿ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة : ٧٧].

* * *

(١) مقال للأستاذ علي الطنطاوي، نقلاً عن: الإسلام والمشكلة الجنسية، مرجع سابق، ص ٨٠ _ ٨٥).

الفصل الثاني

قيام الأسرة بواجبها

صلاح الفرد من صلاح الأسرة، بل صلاح المجتمع بأسره مرتبط بصلاحها، فالأسرة هي المحضن الذي يتربى فيه الفرد ويتلقى فيه القيم والأخلاق والسلوك، والقرآن ينبه على دور الوالدين تجاه الأبناء ورعايتهم وتوجههم ومراقبتهم وحفظهم فيقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

ورؤية الأطفال لمشاهد التليفزيون الآثمة المستمرة لها أثرها الأكبر في تعويدهم الإثم، واستحلالهم المنكر، وتدرجهم على الفساد لأن الولد ـ كما يقول الإمام الغزالي في إحيائه: «أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُود الشر، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له، وقد قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد » (١) .

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب : « إن على الوالدين أن يثبتا وجودهما فى تربية الأولاد ، والذى لا يسيطر على أبنائه من أجل سعادتهم وخيرهم خائن وجبان ؛خائن لأنه ضيع الأمانة ، وجبان لأنه يخشى من لا يجب أن يخشاه ، فالولد هو الذى يجب أن يخشى أباه » (٢) .

وما أحسن ما قال بعضهم :

وينشأ ناشئ الفـــــتيان فينا ... على ما كان عـــودہ أبوه

---

(١) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، ٣ / ١٠٤، ١٠٥ ، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) حاضر المسلمين ومستقبلهم بين الآلام والآمال ، ص١٧٩، مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٧م.

وما دان الفتى بحجى ، ولكن يعوده التـــدين أقربوه

ورحم الله من قال:

قد ينفع الأدب الأولاد في صغر وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا عدلتها اعـتدلت ولا يلين ولو لينته الخشـب

يقول د/ عبد الله ناصح علوان: «وقد حدثني من أثق به: أنه دخل غرفة نوم الأولاد فرأى ابنه وابنته اللذين لم يتجاوزا سن العاشرة بَعْدُ في حالة مريبة، رأى الولد يعانق أخته ويقبلها ، فذهل لهذا المنظر الفظيع . . ولكن تذكر أن السبب في هذا ما رأوه من جهاز التلفزيون قبل قليل من مظاهر الفساد في عرض سينمائي متحلل، فراح الأولاد يحاكون ما رأوه في خلوة لا يراهم فيها أحد»[(١)] .

فأي تقصير في عدم اتخاذ التدابير الواقية من انحراف وسائل الإعلام يهوي بالأولاد إلى مساوئ الأخلاق ، ومراتع الهوى والرذيلة ؛ لذا كان على الآباء مراعاة الحيطة والتعليم والتربية كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] أي علموهم وأدبوهم» .

«والمسئولية لا تنفك عن الوالدين كما قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته**»[(٢)] .

لاحظ الأب ، الأم ، الخادم ، الولد في مال أبيه، فالمسئولية تضامنية مشتركة بين الجميع .

وقال ﷺ: «**علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم**» [(٣)] .

قال الإمام ابن القيم: وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو

---

(١) حكم الإسلام في وسائل الإعلام، عبد الله ناصح علوان، ص ٢٠ ، ٢١ ،دار دالسلام، ط ٦، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩ / ٤٤٧) والطبراني في الكبير (١٠ / ٢٨٤)، وقال الهيثمي في الزوائد (٨ / ٢١): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط نحوه وإسناد الطبراني فيهما حسن». وحسنه الألباني

والباطل، والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعزّ على وليه استنفاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداء طبيعة ثانية، والخروج عن الطبيعة عسر جدا»(١).

وبالنظر إلى صلاح السلف الصالح نجد أن آباءهم قد لزموا تربيتهم، وقاموا بواجبهم ، وقد جاء في الصحيح عن سمرة رضي الله عنه قال:

«كنا أطفالاً على عهد رسول الله ﷺ تعلمنا الإيمان قبل القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا » (٢) .

ويروى أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو عقوق ولده فأحضر عمر الأب ابنه فقال الابن: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقًا على أبيه؟

قال عمر: بلى. قال: فما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال: أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه القرآن .

فقال الابن: يا أمير المؤمنين ، إنه لم يفعل شيئًا من ذلك .

أما أمي فزنجية كانت لمجوسي وقد سماني جعلاً ـ أي جعرانًا ـ ولم يعلمني من كتاب الله حرفًا، فالتفت عمر إلى أبيه وقال له: جئت إلى تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك .

من واجبات الأسرة :

أولاً : التربية الجنسية :

بُعث الرسول ﷺ بدين الحق ليظهره على الأديان كلها، والإسلام ليس مجرد شعائر وأحكام شرعية ، ولكنه أيضًا أسمى دعوة لمكارم الأخلاق، يقول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» (٣) وقد سئل ﷺ : أي المؤمنين أكمل إيمانًا؟ فقال: ﷺ: «**أحسنهم خلقًا**» (٤) ، ومن ثم فما جاء به الرسول ﷺ من آيات القرآن والسنة

---

(١) تحفة المودود ، لابن القيم ، ص٢٤٠ ، مكتبة دار البيان ـ دمشق الطبعة الأولى .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٦١) ، وقال فى الزوائد : «إسناده صحيح رجاله ثقات» ، وصححه الألبانى .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٩٢) والمستدرك (٢ / ٦٧٠)، وقال الحاكم: «صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

يُعين على التربية الجنسية المحترمة، ويجعلها ثقافة مبجلة ـ مقدسة ـ طالما أديت وفقًا لأحكام الدين.

وصف القرآن الكريم للشهوة الجنسية وحالاتها:

لقد وصف السياق القرآن أدق تفاصيل الحياة الجنسية بسمو وعفة بما لا يحرك شهوة عند الناس ولا يورث عواقب غير حميدة ، والأمثلة على هذا كثيرة، منها صياق الأحكام عن الوضوء والغسل والملامسة وقضاء الوطر في مواقع متعددة من القرآن الكريم، وكذلك سياق الإغواء والرغبة كما في تفاصيل قصة يوسف عليه السلام بتفاصيل دقيقة ومعبرة جاءت في سياق قرآني راق لا يمكن أن يكون له آثار سلبية كما للسياق الروائي الإغرائي، وكذلك في أحكام النظر والتركيز على العفة وغض البصر وحفظ الفرج في إشارات واضحةلنقطة ضعف طبيعية عند الإنسان وتحذيره من أن يخرجها عن إطارها البناء الصحيح، وتتمثل أحد هذه الطرق للتوعية في تقرير أهمية الشهوة الجنسية لدى الجنسين في سياق قرآني يصف الشهوات الإنسانية، قال الله جل شأنه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ثم وصف طبيعة التجاذب بين الجنسين وتأسيس مفهوم المسئولية الفردية في حفظ النفس والآخرين عن الفواحش ومناطق الزلل ، ثم وصف طبيعة اللقاء البشري وجاذبيته وأنه قضاء للوطر ونوع من التكامل الإنساني السامي لا شهوة مستقذرة يتخلص منها المرء تخلصًا.

الغاية من هذه التربية:

المقصود منها هو تعليم الولد أو البنت وتوعية كل منهما ومصارحته منذ أن يعقل بالقضايا التي تتعلق بالجنس، وترتبط بالغريزة، وتتصل بالزواج، حتى إذا شب الولد، وتفهم أمور الحياة عرف ما يحل وما يحرم، وأصبح السلوك الإسلامي المتميز خُلقًا له وعادة، فلا يجري وراء الشهوة ، ولا يتخبط في طريق تحلل.

وتلك مسئولية الآباء والأمهات ووسائل التنشئة الاجتماعية، فالأب يتكلم مع ابنه، والأم مع ابنتها، ومؤسسات التنشئة توفر جواً من الطهر والعفاف ينشأ فيه الجيل المسلم بعيداً عن مثيرات التشويش والإثارة، وقد صرح الشرع **مسئول عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده،**

مسئول عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»(١) .

الإطار الخاص بها:

من الضروري أن يكون هناك إطار خاص ضمن عناصر التربية بحيث يتلقى الأبناء ذكوراً وإناثًا قدرًا مناسبًا منها يليق ويتفق مع مراحل السن ومستوى الثقافة والوعي، ويتفق أيضًا مع أعراف العصر وعاداته وتقاليده.

وذلك بهدف إبعاد الطلاسم والأكاذيب التي قد يتلقونها من مصادر جاهلة تسيء إلى فهمهم ورؤاهم للعلاقة الحميمة، وتحذر دراسات أكاديمية من خطورة ت ك المراهقين يواجهون لحظة البلوغ بمفردهم من غير أي تمهيد مسبق أو إعداد، ومن النصوص الشرعية التي تشير إلى هذا المعنى ما يأتى من تنظيم عملية دخول الأطفال على آبائهم.

التدرج في التعليم والتربية:

ومصارحة الأبوين لا تأتي في سن محددة، بل تكون بالتدريج من خلال عمر الطفل، وذلك بشرح ما يحدث من نضوج جنسي للإنسان وللطفل خلال عمره، أي شرح ما يطرأ على المراهق أو المراهقة كتغيير في شكل الجسم خلال فترة النضوج، وذلك يكون خلال الطفولة، وبعدما يكبر قليلاً يبدأ الأبوان بشرح معنى الزواج ـ بصفة عامة ـ وحاجة الكون إليه للحفاظ على النوع ، وعند بداية سن المراهقة من الطبيعي أن يبدأ المراهق بتساؤل عن ماهية الزواج والاتصال الجنسي، وهنا يجد الإجابة عند الأب أو الأم وسيكون للمراهق سلوك تجاه ذلك يختلف بمراحل عما إذا تعرف من مصدر آخر، ويجب أن يهتم شرح الوالدين بالواجبات الدينية والبعد عن المحرمات.

مراحل هذه التربية:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة ابتدائية ، ويتعلم فيها الأبناء آداب الاستئذان والنظر، حتى يتكون لديهم من القيم أن هنالك حرمات ينبغي أن تقدس، وهذه تكون ما بين سن (٧ ـ ١٠).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٠).

المرحلة الثانية: شرح ما يطرأ على المراهق والمراهقة من تغيرات فسيولوجية ، وهذه غالبًا تكون ما بين سن (١٠ ـ ١٤) وهنا لابد من التفريق بينهم في المضاجع.

المرحلة الثالثة: شرح معنى الزواج ـ بصفة عامة ـ وحاجة الكون إليه الحفاظ على النوع، وهذه تكون غالبًا عندما يدخل الشباب مرحلة المراهقة (١٧) سنة وما بعدها، وفي هذه الفترة يعطى قدرًا وافيًا من واجبات الزوج نحو زوجته ، وواجبات الزوجة نحو زوجها، وإشعار المراهق بأعباء وتكاليف تكوين الأسرة وأهداف الزواج.

نقاط هامة:

١ ـ إنما يتحدث في مثل هذه الأمور مع من يحتاجها، فقبل وصول الابن ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ لسن التمييز لا قيمة للكلام معه في مثل هذه الأمور.

٢ ـ عرض هذه المسائل لكل إنسان بحسب حالته واحتياجه، فليس من يبدأ سن المراهقة مثلاً ـ كمن هو مقبل على الزواج بعد أيام.

٣ ـ تقديم جرعات مناسبة للأبناء تتناسب مع أعمارهم واحتياجاتهم، ومن خلال مؤسسة التنشئة الاجتماعية اللصيقة بالطفل كالأسرة، حتى لا يكون الأمر مفاجأة عندما يشب الابن أو البنت، وهذه المرحلية في التثقيف مناسبة حت يجد الابن ردودًا على تساؤلاته المتعلقة بهذا الأمر، وإلا سيطلبها من مصادر غير آمنة، أو من خلال طرق غير مشروعة، فكأن تقديم هذا النوع من المعلومات بهذه الصورة المتدرجة هو في الحقيقة جرعات مناعة وحماية للأبناء من خطوات الشياطين ومن إغواء المارقين.

٤ ـ التمسك بأدب القرآن الكريم والسنة المطهرة فى هذه الأمور قدر الطاقة، وهو الوصول للغاية المطلوبة بأكثر الطرق أدبًا وتهذيبًا، فيتعلم الإنسان الجنس والأدب جميعًا، وما زال الحياء شعبة من الإيمان إلى أن تقوم الساعة.

٥ ـ الحذر من أن يكون هذا الموضوع هو كل هم الإنسان ومحور تفكيره، فالإفراط في مثل هذا له أضرار كثيرة ربما تخرج بصاحبها عن حد الاعتدال.

الأسرة محضن التربية وغرس القيم:

إن أهم الآثار النفسية والفكرية للأسرة هي نشأة أطفال في ظل منظومات اجتماعية تحفظ عليهم سلامتهم النفسية وتعلمهم المبادئ الأساسية كالتعاون والتراحم،

فالأسرة هي المحضن الطبيعي الأمثل للطفل، محضن فيه الحرارة والدفء المطلوبان، وفيه الحنان والرعاية، وهذا ما تفقده وتفتقر إليه وسائل التنشئة الاجتماعية الأخرى.

والأسرة هي محضن الأفراد، لا برعاية أجسادهم فقط، بل كذلك بغرس القيم الدينية الخُلقية في نفوسهم، وتبدأ مسئولية الأسرة في هذا المجال قبل تكوين الجنين بحسن اختيار كل من الزوجين للآخر، وأولوية المعيار الديني والخُلقي في هذا الاختيار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1] . وقال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[2] .

وتستمر هذه المسئولية بتعليم العقيدة، والعبادة والأخلاق لأفراد الأسرة وتدريبهم على ممارستها، ومتابعة ذلك حتى بلوغ الأطفال رُشدهم واستقلالهم بالمسئولية الدينية والقانونية عن تصرفاتهم[3] .

وللتربية الجنسية في القرآن الكريم عدة محاور:

المحور الأول: تعريف النشء معني ومفهوم العورات:

لا يدعو الإسلام لإثارة الشهوات قبل الزواج، فجعل العلاقة الزوجية بين الأب والأم كأنها سر دفين، وحصن حصين، لا ينبغي اطلاع الأبناء على دقائقه وخفاياه، ولذلك شرع الله الاستئذان داخل البيوت، يقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ [النور: ٥٨].

كما شرع الاستئذان لدخول بيوت الغير، حتى يحمي عورات أهلها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني.

(٣) انظر: الرؤية الإسلامية في مواجهة مرض الإيدز، إصدار الجمعية الشرعية الرئيسية بمصر، ص ٣٦ ـ ٣٩، د. ت.

فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور: ٢٧ ـ ٢٩].

وأوضح الرسول ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**»[1] ، كما قال ﷺ: «**من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينيه**»[2]، فالحديث يوضح أن التلصص على بيوت الناس ومحاولة معرفة ما يجري فيها من أسرار، سواء علاقات جنسية أو رؤية النساء والاطلاع على جمالهن أو أجسادهن، أو غير ذلك، أمر خطير له عقاب شديد يصل إلى الإضرار بعيون المتلصص، وبالطبع يدخل في هذا التحريم من يشاهد أفلام الجنس الهابطة، وأغاني الفيديو كليب السافلة التي تثير الغرائز ، وتدعو إلى الزنا والشذوذ فيها باللحم وليس باللحن، والتعبيرات فيها آهات جنسية وليست نغمات صوتية، ويدخل في دائرة التحريم الأفلام الدرامية والمسلسلات التلفزيونية التي تظهر ضمن أحداثها القبلات الحارة والأحضان الملتهبة بين المحبين أو العشاق أو المخطوبين أو الأزواج ، وكلها لا تهدف إلا لزرع الرذيلة وجنى الزنا والمهالك.

المحور الثاني: حماية النفس من الشهوات قبل الزواج :

يؤمن الإسلام بأن هناك شهوة جنسية تبدأ من سكون بعد البلوغ ، وكلما مرت الأيام زادت اشتعالاً ، وكبتها إن لم يتم وفقًا لأحكام الشريعة قد يؤدي إلى الصراع النفسي المرضي ، والعضوي والأخلاقي، والكبت في الإسلام لا يعني القمع والضغط، ولكن معناه البعد عن المثيرات الجنسية وتهدئة النفس وتصحيح مسار الشهوة، ويتم ذلك من عدة طرق:

١ ـ **الحجاب وآدابه:** نقصد بالحجاب: الحجاب كزي وملبس، والحجاب بمعني عدم إبداء الزينة وغض البصر.

أ ـ **الحجاب كزي:** يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، كما يقول جل شأنه: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣ / ٣٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٥٨ / ٤٣).

والمعنى يحتمل أكثر من تفسير، حتى يتيسر لكل مجتمع ولكل شخص التصرف في حدود شرع الله وفقًا للتقاليد والأعراف السائدة ، وحاجة المجتمع، فهناك من يرى تغطية الوجه كله والشعر مع كشف عين واحدة، وآخرون يسمحون بعينين، والبعض يسمح بالوجه والكفين ما دام لا مجال للفتنة.

وحتى لا يحرك الزي شهوة الرجال ويثير الغرائز ويؤدي إلى الزنا أو الاغتصاب أو على الأقل التحرق ، فله شروط شرعية:

١ ـ ألا يشف أو يصف ، أي لا يظهر ما تحته لرقته أو لونه الشفاف، وأن يكون كثيفًا لا يجسد أو يوضح ما تحته.

٢ ـ ألا يكون زينة في ذاته، مبهرًا جذابًا، زاهي الألوان يلفت إليه، ولا يُعطر ليثير غرائز الرجال.

٣ ـ ألا يشبه ملابس الرجال لحديث أبي هريرة عن لعن النبي ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل ، وحديث: «**لعن رسول الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**»(١) .

ب ـ الحجاب كخلق عفيف سام:

يرى الإسلام أن عرض المرأة لجمالها وإظهار مفاتنها في سفور وأحيانًا في سفور وفجور ـ لغير من أحل الله ـ هو بداية إغراء الرجل ثم إغواؤه لارتكاب المحرمات، أو على الأقل إثارة الشهوات، وذلك بداية عمل الشيطان، ولهذا أمر الله بعدم إبداء الزينة وغض البصر، فقال العليم الخبير: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

كما قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

---

(١) أخرجه أحمد (١ / ٢٢٧)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح علي شرط البخاري..».

إن تأمل مواطن الجمال والفتنة من قوام ممشوق ووجه مزين مكشوف ، وشعر عار مصبوغ، هو بداية عمل الشيطان ، فالعين أول أدوات العشق، يقول الشاعر:

نظرة فابتـــسام فسلام فكلام فموعـــد فلقاء

خدعوها بقولهم حسناء والحسان يغرهن الثـــناء

ومن الكمال غض الصوت، فقد تعشق الأذن قبل العين أحيانًا[1] ، فيقول تعالى: ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقد يكون الصوت الصادر عن حركة المرأة يثير الغرائز ، يقول تعالى: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

هذا وقد رأى الإسلام في إظهار فتن المرأة عودة إلى الجاهلية ، فقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٢][2] .

المحور الثالث: تعاليم الثقافة الجنسية الضرورية للذكر والأنثى:

الذكورة والأنوثة في الإسلام لا تعني استعلاء طرف على آخر ، ولكن معناها: أن لكل منهما وظيفة وغاية وهدفًا لا يكتمل إلا بمعرفة كل طرف التعاليم والثقافات للمحافظة على أعضائه ولحسن أداء فرائض دينه.

ب ـ الثقافة الجنسية «الجماع» والاستمتاع الزوجي في الإسلام:

يؤمن الإسلام بأهمية الاستمتاع الجنسي الكامل بين الزوج وزوجته، وهو ما أطلق عليه السكن ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١].

فدوام السعادة الزوجية مرتبط إلى حد بعيد بنجاح العلاقة الزوجية الجنسية المشروعة، وأيضًا هي السبيل الأكيد للحماية من الانحراف الجنسي للزوج والزوجة؛ لذلك أوضح القرآن الكريم في إجمال يتميز بالجمال والحياء بعض أحكام الجماع، وفسرها الرسول ﷺ في أدب يفيض بالكمال في أحاديثه النبوية الشريفة، بحيث

(١) وهذا ما نراه من حب وهيام وعشق النساء بالفنانين الرجال أو عشق الرجال بالمغنيات من النساء.

(٢) لقد وصل الأمر اليوم لما هو أشد من الجاهلية تخلفًا خلقيًا، فالنساء يجرين جراحات تجميل لتغيير أشكالهن، وإبراز الصدور، وتوسيع العيون، وإعادة استدارة المناطق الحساسة، والشفاه والخدود، وكل جزء في جسدها للعرض لإغراء الرجال.

تؤدي هذه التعاليم إلى الثقافة الجنسية دون الإثارة الجسدية والدعوة للفجور.

ومن تعاليم الجماع وأحكامه:

إباحة طرق الجماع في الإسلام:

أباح القرآن الكريم جماع الزوج والزوجة بأي طريقة طالما في الفرج، يقول تعالى: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وهذه الآية كانت تكذيبًا لما ادعاه اليهود من أن إتيان الرجل زوجته بطريقة ما تأتي بالوليد معيبًا[١].

والشرط الوحيد هو أن يتم الجماع في وقت طهارة الموضع من الحيض أو النفاس ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقد أوضح الرسول ﷺ أداب وثقافة الجماع، ومنها:

١ ـ المداعبة الجنسية وإثارة الشهوة:

أوصى الرسول ﷺ الرجال بمداعبة النساء لإعدادهن عاطفيًا ثم جنسيًا للجماع الإيجابي الذي يحقق لهما الحصول على إفراغ الشهوة والاستمتاع الكامل، قال جابر رضي الله عنه: نهي رسول الله ﷺ عن المواقعة «الجماع» قبل الملاعبة[٢].

٢ ـ الحرص على إشباع المرأة جنسيًا أسوة بالرجل:

العلاقة الجنسية الزوجية الحميمة تقوم على الإعداد النفسي والجنسي، ثم المزاولة التي لا تنجح إلا إذا قضى الرجل حاجته والمرأة حاجتها، ووصل كلاهما إلى قمة السعادة بالقذف والإحساس بالراحة بعد الجماع، وقد أمر الرسول ﷺ بذلك فقال: **«إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ثم إذا قضي حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها»**[٣].

---

(١) روى البخاري (٤٥٢٨) أن اليهود زعموا أنه إذا أتى الرجل زوجته من دبرها في فرجها، جاء الولد أحول فكذبت هذه الآية.

(٢) أخرجه النسائي في عشرة النساء (١ / ٨١)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو يعلى في المسند (٧ / ٢٠٨) وقال حسين سليم أسد: «إسناده ضعيف».

٣ ـ تشجيع الأزواج على الجماع عند الرغبة:

لقد حث الرسول ﷺ على دوام معاشرته الزوجية لامرأته ونصح ألا يتركها تتحرق كما روى مسلم أن الرسول ﷺ قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، فقالوا: يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال: «**أرأيتم إن وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فذلك إن وضعها في حلال كان له أجر**»[١] .

كما نصح الزوجات بعدم الإعراض عن الأزواج إذا رغبوا في جماعهن، فقال: ﷺ: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**»[٢] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»[٣] .

والأحاديث توضح تعاون الزوجين في رضا كل منهما الآخر وتلبية رغبته الجنسية عند الحاجة.

حق الزوجة في مداومة العلاقة الجنسية الزوجية:

كما فرض الإسلام على المرأة الاستجابة لمطالب زوجها الجنسية المشروعة عند الحاجة ، فقد أوجب على الزوج حق الزوجة في الاستمتاع الجنسي بزوجها أيضًا، وهذا الحق لا يعد منحة قابلة للمنح أو المنع،ولكنه حق مشروع ولا يجب حجبه إلا على سبيل التأديب دون إفراط أو تفريط، يقول تعالى: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤ ، ٣٥].

فقد نهى الإسلام ورسوله ﷺ اعتزال الرجل لامرأته حتى ولو كان من أجل العبادة ، فقد بلغ النبي ﷺ أن هناك بعض المسلمين حرموا على أنفسهم الاستمتاع

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦ / ٥٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٣٩٩)، والطبراني في الكبير (٧ / ٣٨٩)، وصحيح ابن حبان (٩ / ٩٧٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه مسلم (١٤٣٦ / ١٢١).

بنسائهم تفرغًا للعبادة، فقام خطيبًا وقال: «**ما بال أقوام حرموا النساء، والطعام والنوم ، إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١) .

كما نصح الرجال إذا اشتهوا نساء أخريات غير زوجاتهم، أن يسارعوا بقضاء شهواتهم مع الزوجات ، حتى لا يترك في النفس رغبة واشتياقًا لغير الزوجة فقال ﷺ: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج، وقال: «**إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها**»(٢) .

هذا وقد أحل الإسلام جماع النساء ليلة الصيام فقال جل شأنه: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

ج ـ ما حرمه الإسلام من عادات جاهلية تضر بحق الزوجة الجنسي:

كان للعرب قبل الإسلام عادات وموروثات لعقاب المرأة ومنعها حقها الطبيعي في الاستمتاع العاطفي والجنسي ، ولا شك أن هذا المنع يفتح عمل للشيطان وييسر طريق الخيانة الزوجية، ومن هذه العادات :

١ ـ الإيلاء :

وهو أن يترك الزوج زوجته لمدة طويلة دون مباشرة، فعدل الإسلام ذلك وجعله لا يزيد عن أربعة أشهر لقوله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٢٦ ، ٢٢٧].

فإذا زادت المدة فللزوج أن يعطيها حقها في المعاشرة أو يطلقها ، قال ابن عباس: كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك.

---

(١) انظر: تفسير الكشف والبيان، للثعلبي (٤ / ١٠١)، وتفسير الخازن (٢ / ٨٤)، وتفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٢ / ٨٢٥) ولم يُذكر مسندًا.

(٢) أخرجه مسلم (٩/١٤٣) ، وأبو داود (٢١٥١) ، والترمذي (١١٥٨) واللفظ له وقال: «صحيح حسن غريب».

٢ ـ الظهار:

قد يتزايد الخصام والغضب بين الزوج وزوجته فيقسم أنها محرمة عليه كظهر أمه، وهذ العادة تفشت قبل الإسلام وأبطلها الإسلام قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

كما قال جل شأنه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤].

وحتى يكون الردع شديداً فقد أوجب الله كفارة للظهار، يقول الحكيم الخبير: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٣ ـ ٤].

٣ ـ تحريم الإعضال:

الإعضال معناه: أن يتمسك الرجل بزوجته، فيمنعها من حقوق الزوجية خاصة الجماع، ولا يمنحها الطلاق لتتزوج غيره، وقد حرم الله ذلك فقال: ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩].

وقد سن الإسلام عدة أحكام لمنع الإعضال، منها:

تقييد حق الرجل في عدد مرات الطلاق:

كان العرب قبل الإسلام يطلقون دون التقيد بعدد مرات الطلاق، وكلما أوشكت عدة المرأة على الانتهاء، عادت لعصمة الزوج كزوجة اسمًا لا فعلاً، حتى إذا أوشكت العدة مرات ومرات على الانتهاء، أرجعها لعصمته، وهكذا بحيث تصبح الزوجة زوجة مع وقف التنفيذ، ومسجونة في سجن لا يطاق من زوج ظالم، فجاء الإسلام وحدد الطلاق بثلاث مرات، فيقول الله عز وجل: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ويقول أيضًا جل شأنه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

روى الدارقطني عن أنس؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله ، الطلاق مرتان فلم صار ثلاثة؟ قال: «**إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**»[1] .

٤ ـ عدم ابتزاز الزوجة ماليًا:

هناك بعض الأزواج يطلبون المساعدة المالية من نسائهم ، سواء بمنحها إياه المهر أو جزءًا منه، أو إرثها أو جزءًا منه، أو غير ذلك، فإذا لم تستجب الزوجة عاقبها بهجرها جنسيًا ، وقد نهى الإسلام عن ذلك فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ١٩].

كما يقول تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [النساء: ٢٠ ، ٢١].

د ـ أوقات تحريم جماع النساء:

هناك أوقات ـ وبمعنى أدق ـ أحوال وعبادات ومناسك لا يجب فيها الجماع، وهي كلها مؤقتة تنتهي بزوال السبب، ومنها:

١ ـ اعتزال النساء عند الاعتكاف في المساجد:

يقول تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٢ ـ اعتزال النساء عند أداء الحج:

قال تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

---

(١) أخرجه الدارقطني في السنن (٤ / ٣).

٣ ـ اعتزال النساء أثناء الدورة الشهرية والنفاس:

يقول جل شأنه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وهذا التحريم ليس كاملاً ، فيجوز للرجل مداعبة زوجته والتمتع بها دون الفرج والدبر ، فقد سأل حكيم بن حزام الرسول ﷺ : ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: «لك ما فوق الإزار »[1] أي ما فوق السرة .

هـ ـ المحرمات من الزواج:

يحرم الإسلام الزواج من أصناف محددة من النساء، وسبب التحريم : إما بسبب الدم «القرابة» أو بسبب المصاهرة ، أو بسبب الرضاع.

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣].

هـ ـ السكن وفنون الاستمتاع:

١ ـ بيان تفاصيل العلاقة لتتعلم الأمة:

السنة الشريفة ـ مع الحرص على خلق الحياء ـ لم تجد حرجًا في معالجة الأمور الجنسية بكل وضوح، فقدمت لنا بذلك ثقافة جنسية رصينة . ونتوج هذه المجموعة بعدد من النصوص تدلنا على مدى الحرص على بيان شرع الله أكمل بيان، ولو أدى هذا الحرص إلى تحمل المزيد من مشقة مغالبة الحياء.

وإذا تأملنا النصوص ، فسوف يتبين لنا أنه كان يكفي قول كلمة أو كلمات في عرض الأمور أو في إجابة الأسئلة وبيان الحكم الشرعي، لكنه ﷺ ـ ومعه أمهات المؤمنين وصحابته الكرام رغبة منهم أن يكون البيان أكمل بيان ـ آثروا تحمل مزيد من مغالبة الحياء، وصدق الحافظ ابن حجر إذ يعقب على حديث عائشة بعد قليل: «إن

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٢)، وصححه الألباني.

كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض أزواجه وهو صائم، ثم ضحكت»[١]: «يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا ، وقيل: تعجبت من نفسها؛ إذا تحدث بمثل هذا، مما يستحي من ذكر النساء مثله للرجال، ولكنها ألجأتها الضرورة في تبليغ العلم إلى ذكر ذلك، وقد يكون الضحك خجلاً لإخبارها عن نفسها ذلك، أو تنبيهًا على أنها صاحبة القصة ليكون أبلغ في الثقة بها أو سرورًا بمكانها من النبي ﷺ وبمنزلتها منه، ومحبته لها»[٢] .

وعن عُمر بن أبي سلمة أنه سأل رسلو الله ﷺ : أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**سل هذه**» لأم سلمة. فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك. فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال له رسول الله ﷺ: «**أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له**»[٣] .

المعاشرة الزوجية:

عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن عائشة بنت طلحة أخبرته أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هنالك وهو عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وهو صائم، فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها. فقال: أقبلها وأنا صائم؟! قالت: نعم[٤] .

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل ؛ هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأفعل ذلك أنا وهذه ، ثم نغتسل**»[٥] .

وعن أبي بكر بن عبد الرحمن: كنت أنا وأبي فذهبت معه حتى دخلنا على عائشة ـ رضي الله عنها قالت: أشهد على رسول الله ﷺ إن كان ليصبح جنبًا من جماع غير احتلام ، ثم يصومه[٥] .

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤ / ١٥٢) دار المعرفة.
(٢) أخرجه مسلم (١١٠٨ / ٧٤).
(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١ / ٢٩٢)، وعبد الرزاق في المصنف (٤ / ١٨٣).
(٤) أخرجه مسلم (٣٥٠ / ٨٩).
(٥) أخرجه البخاري (١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩ / ٧٨) .

وعن زينب بنت أبي سلمة حدثته أن أم سلمة قالت: حضت وأنا مع النبي ﷺ في الخميلة[١] ، فانسللت ، فخرجت منها، فأخذت ثياب حيضتي فلبستها ، فقال لي رسول الله ﷺ: «أنفست؟» قلت: نعم. فدعاني فأدخلني معه في الخميلة . قالت: وحدثتني أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم، وكنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد من الجنابة[٢] .

وعن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض أزواجه وهو صائم ، ثم ضحكت[٣] .

وفي رواية عن سفيان قال: قلت لعبد الرحمن بن القاسم : أسمعت أباك يحدث عن عائشة رضي الله عنها ثم إن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم . فسكت ساعة، ثم قال: نعم[٤] .

وعن عبد الله بن شهاب الخولاني قال: كنت نازلاً على عائشة ، فاحتلمت في ثوبي، فغمستهما في الماء، فرأتني جارية لعائشة فأخبرتها ، فبعثت إلى عائشة فقالت: ما حملك على ما صنعت بثوبيك؟ قال: قلت: رأيت ما يرى النائم في منامه. قالت: هل رأيت فيهما شيئًا ؟ قلت: لا. قالت: فلو رأيت شيئًا غسلته ، لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله ﷺ يابسًا بظفري[٥] .

وعن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها، فقضي حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**»[٦] .

---

(١) الخميلة : هي القطيفة، وكل ثوب له حمل من أي شيء ، وقيل: هي الأسود من الثياب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢)، ومسلم (٢٩٦ / ٥).

(٣) البخاري (١٩٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (١١٠٦ / ٦٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٠ / ١٠٩).

(٦) أخرجه مسلم (١٤٠٣ / ٩)، تمعس منيئة: أي تدبغ جلدة ، وأصل المعس الدلك باليد، والمنيئة هي الجلد أو ما يوضع في الدباغ ، ثم يسمى أفيقًا ، ثم أديمًا ،في صورة شيطان: المراد هنا الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بالمرأة، لما جعله الله تعالى في نفس الرجال من الميل والهوى.

وعن معاوية بن خديج عن معاوية بن أبي سفيان أنه سأل أخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامعها فيه؟ فقالت: نعم، إذا لم ير فيه أذى[١] .

٢ ـ مواقف نادرة تتعلق بالمباشرة الزوجية:

وقد أفردنا هذه المجموعة عن بقية الشواهد، وذلك لصراحتها ، ولقوة دلالتها على تقرير رسول الله ﷺ،ثم فهم صحابته الأطهار لمعنى الحياء المحمود. وسنرى أن منها ما ألجأت إليه الحاجة؛ سواء الحاجة إلى التقاضي ، أو إلى المشورة والفتوى، أوإلى رواية خبر فيه عبرة بالغة، ومنها ما وقع دون حاجة، ولكن كان تعبيراً يصدر عفو الخاطر، أو كان رواية لأمر قد حدث، ولم يجد الراوي حرجًا في ذكره كما حدث، ثم إن بعضًا منها كان فيه طرافة ، ما دعا رسول الله ﷺ إلى الضحك مرة، وإلى التبسم أخرى، كما دعا الصحابي إلى الضحك أيضًا وإن كان جميعها قد حدث في إطار من الجد، لا مجون فيه ألبتة:

عن أنس قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه قال: فجاء فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تَصنَّعُ قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأيت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم؛ ألهم أن يمنعوهم ؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك ، قال: فغضب، وقال: تركتني حتي تلطخت ، ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتي رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: **«بارك الله لكما في غابر ليلتكما»**، قال: فحملت[٢] .

وعن عكرمة أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظي، قالت عائشة : وعليها خمار أخضر ، فشكت إليها وأرتها خضرة بجلدها فلما جاء رسول الله ﷺ والنساء ينصر بعضهن بعضًا، قالت عائشة: ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات لجلدها أشد خضرة من ثوبها، قال: وسمع أنها قد أتت رسول الله ﷺ ، فجاء ومعه ابنان له من غيرها، قالت: والله ما لي إليه من ذنب إلا أن ما معه ليس بأغنى عني

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٤ / ١٠٧)، تصنعت: تزينت، فوقع بها: جامعها.

من هذه، وأخذت هُدْبَةٌ من ثوبها ، فقال: كذبت والله يا رسول الله ، إني لأنفضها نفض الأديم ولكنها ناشز تريد رفاعة، فقال رسول الله ﷺ: **«فإن كان ذلك لم تحلي له أو لم تصلحي له حتى يذوق من عسيلتك»**. قال: وأبصر معه ابنين له، فقال: **«بنوك هؤلاء؟»** قال: نعم. قال: **«هذا الذي تزعمين ما تزعمين، فو الله لهم أشبه به من الغراب بالغراب»**[1] .

وعن سلمة بن صخر الأنصاري قال: كنت رجلاً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري ، فلما دخل رمضان تظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقًا من أن أصيب منها في ليلتي ، فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار، وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء، فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري، فقلت: انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمري، قالوا: لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا قرآن أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك، قال: فخرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبري، فقال: **«أنت بذاك؟»** قلت: أنا بذاك. قال: **«أنت بذاك؟»** قلت: أنا بذاك. قال: **«أنت بذاك؟»** قلت: أنا بذاك. وها أنا ذا، فامض في حكم الله، فإني صابر لذلك. قال: **«أعتق رقبة»**، قال: فضربت صفحة عنقي بيدي ، فقلت: لا والذي بعثك بالحق لا أملك غيرها. قال: **«صم شهرين»**، قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: **«فأطعم ستين مسكينًا»** قلت: والذي بعثك بالحق ، لقد بتنا ليلتنا هذه وَحْشَى ما لنا عشاء. قال: **«اذهب إلى صاحب صدقة بن زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقًا ستين مسكينًا، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك»** قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلى، فدفعوها إلي[2] .

وعن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ قد ظاهر من امرأته فوقع عليها، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٩)، وقال: «حسن» وصححه الألباني. وظاهر من امرأته قال لها: أنت علي حرام، وكان هذا طلاقًا في الجاهلية، فنهى عنه الإسلام ، وحْشَى: جوعى، وسقًا الوسق ستون صاعًا، وقيل: الوسق حمل البعير.

يا رسول الله، إني قد ظاهرت من زوجتي فوقعت عليها قبل أن أكفر . فقال: «**وما حملك على ذلك يرحمك الله؟**»، قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: «**فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به**»[١] .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ أرسل إلى رجل من الأنصار فجاء ورأسه يقطر، فقال النبي ﷺ: «**لعلنا أعجلناك؟!**»، فقال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أعجلت أو قُحِطْتَ فعليك الوضوء**»[٢] .

وفي رواية مسلم: عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: ثم خرجت مع رسول الله ﷺ يوم الاثنين إلى قباء، حتى إذا كنا في بني سالم وقف رسول الله ﷺ باب عتبان فصرخ به، فخرج يجر إزاره، فقال رسول الله ﷺ: «**أعجلنا الرجل**»، فقال عتبان: يا رسول الله، أرأيت الرجل يعجل عن امرأته ولم يمن؛ ماذا عليه؟ قال رسول الله ﷺ: «**إنما الماء من الماء**»[٣] .

وعن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: خرجنا محرمين ، فقال رسول الله ﷺ: «**من كان معه هدي فليقم على إحرامه ، ومن لم يكن معه هدي فليحلل**» فلم يكن معي هدي فحللت، وكان مع الزبير هدي فلم يحلل ، قالت: فلبست ثيابي، ثم خرجت ، فجلست إلى الزبير، فقال: قومي عني. فقلت: أتخشى أن أثب عليك[٤] .

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن رجلاً أتي القاسم بن محمد فقال: إني أفضت وأفضت معي بأهلي، ثم عدلت إلى شعب فذهبت لأدنو من أهلي ، فقالت: إني لم أقصر من شعري بعد، فأخذت من شعرها بأسناني، ثم وقعت بها ، فضحك القاسم، وقال: مرها فلتأخذ من شعرها بالجلمين[٥] .

---

(١) أخرجه الترمذي، (١١٩٩)، وقال: «حسن غريب صحيح»، وحسنه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٠)، ومسلم (٣٤٥ / ٨٣)، قحطت: من أقحط أي جامع ولم ينزل، حكم الوضوء هنا منسوخ بحديث: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل.
(٣) أخرجه مسلم (٣٤٣ / ٨٠)، أي حملناه أن يعجل من فوق امرأته.
(٤) أخرجه مسلم (١٢٣٦ / ١٩١).
(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٥٩٠) ، الجلمان: ما يجز به أي المقص. أفضت: أفاض من عرفات يعني .

وعن جابر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فلما قفلنا تعجلت على بعير قطوف، فلحقني راكب من خلفي ، فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ قال: «**ما يعجلك؟**» قلت: إني حديث عهد بعرس. قال: «**فبكرًا تزوجت أم ثيبًا؟**» قلت: بل ثيبًا. قال: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟**» قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل ، فقال: «**أمهلوا حتي تدخلوا ليلاً (أي عشاءً)؛ لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة**»[1] .

و ـ تبادل مسئولية العبادة والإيمان:

في قصة الرميصاء: عن أنس قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه قال: فجاء فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم؛ ألهم أن يمنعوهم ؟ قال: لا ، قالت: فاحتسب ابنك ، قال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت ، ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**»، قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا ، فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ قال: يقول أبو طلحة إنك لتعلم يا رب إنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى ، قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ، ما أجد الذي كنت أجد، انطلق ، فانطلقنا . قال :وضربها المخاض حين قدما ، فولدت غلامًا، فقالت لي أمي: يا أنس، لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ قال: فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «**لعل أم سليم ولدت**». قلت: نعم، فوضع الميسم ، قال: وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت، ثم قذفها في في الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**انظروا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٤٥) ومسلم (٧١٥ / ٥٧).

إلى حب الأنصار التمر»، قال فمسح وجهه وسماه عبد الله[١] .

هذا التعاون على أداء واجبات الإيمان والعبادة يعتبر أساسًا وقاعدة لاستقرار البيت والشعور بالأمان والطمأنينة فيه؛ فإن الله سبحانه وتعالى ينبئ أنه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

ثانيًا: اختيار الأصدقاء:

الواقع يشهد أن العشرات مما نعرفهم، كانوا شبابًا معروفين بحسن الخلق وجمال الطبع، ويعرف عن آبائهم الاحترام والوقار وحسن السيرة ، فإذا بهم ينقلبون على أعقابهم.. انقلابًا غريبًا عجيبًا مدهشًا لآبائهم وأصدقائهم.. بل وربما لأنفسهم أيضًا. . .

وتنطلق عشرات الأسئلة من الأفواه والعقول، وتطرق أبواب مئات الإجابات. .

وبعد عناء . . تنكشف الحقيقة. . إنه. . الصديق.

يا إلهي. . ألهذا الدرجة يؤثر الصديق على الصديق. . ألهذه الدرجة يستطيع الصديق أن يمحو سنوات وسنوات من ذاكرة صديقه ويهوي به إلى هوة سحيقة بإرادته واختياره.

إنني لا أبالغ . . هوة سحيقة . . أو هناك هوة أكثر سحقًا من الكفر.

ولكني أثبت لكم ما أقول سأحكي لكم مأساة رجل خسر ملايين الجنيهات وعشرات القصور وألوف الخدم وهي على بعد أمتار منها. .

ويا للهول . فقد خسرها بإرادته الكاملة واختياره الحر. . أتعرفون ماذا خسر. . لقد خسر الجنة. . وإلى الأبد . .

بطل المأساة. . رجل اسمه عقبة بن أبي معيط. .

كان كافرًا كمعظم أهل مكة. . كثيرًا ما سمع كلام النبي ﷺ ،ولم يلق بالاً لحديثه.

---

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٤ / ١٠٧)، تغدو به: تذهب به في الغداة، لا يطرقها: أي لا يدخلها في الليل، ميسم: هي الآلة التي يكوى بها الحيوان، يتلمظها: أي يتبع بلسانه بقيتها ويمسح به شفتيه، تغدو به: تذهب به في الغداة

ولكنه في لحظة صدق نادرة كانت أشبه بصفقة كصفقات رجال الأعمال التي قد ترفعه في لحظة إلى السماء..

تأثر.. ورق قلبه.. ووعي عقله.. وأراد أن يسلم.. لقد قرر أن يذهب لمحمد ويعقد الصفقة.

الجنة مقابل الإسلام. إنها صفقة تجدر أن تكون سراً لا يطلع عليه أحد.

ولكن هل يخفى على صديقه الحميم هذا السر وإن أخفاه على الناس.. كل الناس..

ما كان هذا أن يحدث .. وقرر أن يخبر صديقه الحميم..

يا إلهي..

كم كنت غبيًا يا عقبة عندما اتخذت هذا القرار ، ألم تستطع أن تصبر حتى الصباح دون أن تكشف السر لصديقك الذي تعلم تمامًا أنه لن يوافقك!!

بل لن يسامحك.. بل لن يتركك حتى تقوم بعكس ما كنت تنوي.. ألم تكن تعلم أن هذا حتمًا، ولابد أن يكون موقفًا طبيعيًا من ألد أعداء النبي (أبو جهل)؟!

ألم تكن تتوقع أن يجن جنونه لما تقول ..؟!

ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد ..

لقد فاجأ أبو جهل التاريخ يطلبه. من عقبه أنه لن يتخذه صديقًا بعد اليوم إلا إذا ذهب إلى محمد في اليوم التالي وبصق على وجهه..

يا لها من جرأة .. وثقة في النفس.. ويا لها من مفاجأة..

ولكن المفاجأة الكبرى هي التي فاجئنا بها عقبة..

لقد قبل عقبة أن يفعل.. بل فعل.. وفعل.. وفعل.. حتى كان من أشد الناس إيذاء للنبي.. وظل بعدها عقبة كافراً حتى الموت . هنيئًا لك يا عقبة ما أنت فيه.

فلم أر في حياتي مغفلاً مثلك.

لقد حشر عقبة مع من أحب أبو جهل.. وذهب معًا إلى الجحيم.

وعلى جانب آخر كان هناك من هو على وعد بالحشر مع من أحب أيضًا.. ولكن في جنات النعيم..

تأكلني الغيرة أحيانًا كلما قرأت أن عياش بن أبي ربيعة كان صديقًا لعمر.. وأى عمر.. إنه عمر بن الخطاب.. الفاروق.. هنيئًا لك يا عياش بصداقة الفوز العظيم.

أتذكر يوم الهجرة للمدينة، كان موعدك مع صديقك عمر، وكانت النية صادقة، والعزم قوي..

ولكن حيلة أمك كانت أقوى.

لقد بلغك وأنت في الطريق أن أمك تنشدك الرجوع وإلا فستقف في الشمس لا تتحرك وتحرم على نفسها الاغتسال حتى يصبها المرض.

رق قلبك يومها .. واهتزت مشاعرك واضطربت أفكارك..

وكنت في حاجة إلى صديق.. ولقد كان .. عمر..

فلقد حاول أن يقنعك أنه مجرد كلام يصعب تنفيذه ، فإن صبرت أمك اليوم على حر الشمس فلن تصبر غدًا، وإن حرمت على نفسها الاغتسال اليوم فستغتسل غدًا..

كلام منطقي مقنع، لكن العاطفة غلبتك وقررت الرجوع..

فماذا يفعل الصديق عمر وقد أعيته الحيلة؟ لا أمل إذن في إقناعك بالاستمرار .

ولكن ربما هناك أمل في عودتك مرة أخرى، أعطاك حبيبك وصديقك ناقته لتتذكره كلما ركبتها أو رأيتها.

كنت أتمني أن تشرح لنا ما قيمة ناقة في وقتكم لنعرف كم أحبك صديقك عمر..

ولكني سأقر بها.. إنها تعادل في زماننا هذا.. سيارة.

نعم.. سيارة تركها عمر لصديقه عياش ليتذكره بها.. مجرد أن يتذكره..

ما أجمل الصداقة لو كانت من أجل الله.. حتمًا ستصل بالصديقين إلى الفوز والنجاة..

ولقد فزت يا عياش بعد أن ثبت .. وعندما حانت الفرصة عدت وقررت الهجرة للمدينة لتقابل محمدًا وصحبه.. وتعانقت مع الحبيب.. عمر..

هنيئًا لك يا عياش .. لقد حشرت مع من أحببت.

وحقيقة.. فإنه لا يتحمل إنسان أن ينصحه آخر بأن يقطع علاقته بصديق له قد ارتبط به منذ فترة طويلة، بدعوى أنه إنسان يفتقر إلى الأخلاق ويدعو إلى الرذيلة ويشجع على الفساد والفشل ، وغالبًا ما فشلت كل نصائح الآباء في هذا الشأن عندما يلاحظون أن شخصًا ما يؤثر عليهم بالسلب، وربما ينظر الأب إلى هذا الموضوع من زاوية واحدة فقط.. هي زاوية المذاكرة، ويلاحظ ارتباط هذا الصديق بضعف المستوى الدراسي، وهي زاوية قوية لا شك، إلا أننا عندما ننظر لهذا الموضوع بمنظار الإسلام ، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل زوايا أخرى عديدة وخطيرة.

أثر الصديق على الصديق:

صعوبة الأمر تكمن في أن المرء منا لا يرى في صديقه ما يراه الآخرون، فهو يرى فيه الأنيس والرفيق، وأنه الشخص الوحيد الذي يتفهم أفكاره ورغباته وطموحاته، وكل هذا شيء جميل ولكن المشكلة تأتي من أن هذا الصديق قد يتفق معنا في الخطأ ويشترك معنا في السقوط في مستنقع الفساد واللا أخلاقيات، والأخطر من ذلك أنه ربما يدعونا إلى محرمات لم نكن قد عاهدناها طيلة حياتنا، ولكننا نقبلها منه بدافع الحرج أو تحت ضغط نفسي معين.

يقول الشيخ الغزالي ـ رحمه الله:

إن الصديق العظيم قد يقود صديقه إلى النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة أما الصديق الغبي فهو شؤم على صاحبه قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

نقل الطباع والسلوكيات:

من السهل أن تحدث عملية انتقال للطباع والعادات بين الصديق وصديقه وجميل أن تنتقل الأخلاق الحسنة من طرف إلى آخر، إنما الخطير أن تنتقل العادات الرذيلة والأخلاق الفاسدة كالاستهانة بالصلاة والسب ومعاكسة الفتيات وشرب السجائر، مثلاً: الكثير من الطلبة المدخنين لو سألتهم كيف عرفوا طريق التدخين ، يجيبون أنها جاءت عن طريق صديق مدخن كان قد عرض عليه سيجارة في وقت تصادف فيه أنه يمر بمشكلة أو أزمة نفسية ولا يزال هذا الصديق يقنعه بالتدخين وأن (نفسًا واحدًا سينسيه الدنيا) حتى يدخن ، والمرة الأولى تأتي بالمرة الثانية والثالثة إلى أن ينضم إلى

شلة المدخنين ، وبذلك يضع نفسه على أول عتبة الإدمان والمخدرات ، وكم من طالب متفوق ومجتهد أغراه صديقه بالنزوات وتضييع الوقت وإهمال المذاكرة واعتراف عدد غير قليل من طلبة الثانوية العامة بالتحديد ، أن المجاميع القليلة التي حصلوا عليها كانت بسبب المذاكرة الجماعية التي تنقلب إلى جلسات فرفشة، وهو أمر يستميل النفس ويأخذها بعيدًا عن الالتزام والجدية، أما المعاكسات فحدث عنها ولا حرج، فالجميع يتسابق في معرفة أكبر عدد من البنات، وأخذ أرقام تليفوناتهم ويفوز من يستطيع أن يحصل على أكبر عدد من أرقام التليفونات أو (يعلق) أكبر عدد من البنات، والطرق اشتكت من كثرة المعاكسات التي تتم عليها طالما هناك شباب وفتيات وكأننا أناس لا دين لنا ولا حياء!!

ومن المفيد أن نذكر هنا ملاحظتين:

الأولى: في مجتمعنا عادة ما يكون الشخص ذو الخلق السيئ هوالشخص الأقوى الذي يستطيع أن ينقل سلوكه وتصرفاته إلى الآخرين الهادئين المستسلمين أو ضعاف الشخصية.

مثال: ما يحدث في الميكروباص أو الميني باص حيث نجد هذه النوعية هم الذين يقومون بالغناء الفاحش، ومعاكسة البنات بأعلى صوتهم وهن سائرات في الشوارع ونجد الهادئ الخلوق هو الهادئ الساكن الذي يتردد كثيراً قبل الاعتراض لعدم افتعال المشاكل.

الثانية: عدوى انتقال السيئات يكون أكثر سرعة من عدوى انتقال الحسنات فالهدم أسرع من البناء ، وانتقال المرض أسرع من اتباع إجراءات الشفاء من المرض .

الثالثة: كلما كانت الصلة قوية بين الصديقين كلما كانت الاستجابة ونقل الطباع سهلاً وسريعًا، ولخطورة الأمر، وحماية للخلق الحسن ، والعادات الكريمة فلقد شدد الرسول ﷺ على تخير الجليس (لاحظ الجليس وليس الصديق) فقال: «**مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**» (١) .

فإذا كان هذا هو حال الجليس . . فما بالك بالصاحب والصديق؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨ / ١٤٦).

إن صداقة الأتقياء الأذكياء قد ترفع إلى القمة أما صداقة السفهاء فهي منزلق سريع إلى الحضيض قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ١٩ ، ٢٠].

صداقة الإنترنت:

وإذا كانت هذه الصداقة السيئة تتيح هذه الأفعال، وهي تتم بين صديقين مسلمين، هناك أمل أن يعودا في يوم من الأيام إلى الله، وأن يمتنعا عن أفعال محرمة في يوم يشعرون فيه أن هناك إلهًا سوف يحاسبهم وعذابًا ينتظرهم ، إلا أن الأدهى والأمر هي صداقات من نوع جديد، من أجانب تتم عن طريق المراسلات أو عبر الإنترنت.. وهو أمر مثير للعجب!

إذ كيف يصادق المرء آخر في دولة كفرنسا أو انجلترا حيث الاختلاف الجذري في القيم والأفكار والسلوك.. إنها بلا شك مهلكة.

أسس اختيار الأصدقاء:

ولا يتصور أحد من الحديث السابق أننا نهاجم الصداقة في حد ذاتها بل إننا فقط نهاجم صداقة السوء التي يحاول أحد أطرافها أو الأطراف جميعها هدم الأخلاق والقيم الدينية ، والاتفاق معًا على السير في طريق شيطاني لا آخر له إلا الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، وفي الوقت نفسه ندعو إلى الصداقة الحقيقية التي نبحث عنها، هي صداقة الوفاء والنصح وتحمل المسئولية والتشجيع على الطاعات والوقوف مع الصديق عند الأزمات ، فشتان بين ما نهاجمه وبين المجموعة التي تعرف ربها وتخشي أن تغضبه، إذا أخطأ الواحد منهم أو ارتكب معصية يجد من يذكره، وإذا حضرت الصلاة تجد الجميع ينهضون للصلاة في المسجد مهما تكن الظروف حتى إن الفرد الذي لا يتحرك للصلاة يمنعه الخجل ألا يصلي معهم، فيتغلب على كسله ويهب إلى الصلاة، وإذا تلفظ شخص ما بلفظ محرم يجد استهجان كل من حوله فيشعر وكأنه شخص غريب عنهم فلا يلبث أن يعود .

إن الصداقة هي التي توحد المشاعر والأفكار بين شخصين أو أكثر، والخطورة أن تتوحد هذه المشاعر والأفكار في طريق مليء بالمعصية والمحرمات وغضب الله ، قال رسول الله ﷺ : «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» [١] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٥٧٨)، وقال : «حسن غريب»، وحسنه الألباني.

كيف نختارصديقًا:

وأنت عندما تصادق شخصًا ما.. فإنه لا يشاركك طعامك ولا شرابك وبعض أوقاتك فقط ، بل إنه في الحقيقة يشاركك أفكارك وهمومك وطموحاتك ، يطلب رأيك وأنت تطلب رأيه، وتتفقان أكثر مما تختلفان، إنه في الواقع يشاركك حياتك، وإذا كانت الحياة طريق واحد يسير فيه الصديق وصديقه على السواء، فإن المصير واحد أيضًا ، والمصير عند المسلم أحد أمرين لا ثالث لهما: إما الجنة وإما النار. ولذلك كان لزامًا عليك أن تفكر وتفكر في مواصفات شخص سينتهي الأمر بكما في النهاية إلى مصير واحد.

وهذه المواصفات هي:

أولاً: الالتزام بفرائض الدين: وهي في هذه السن الصلاة والصيام فليس من المعقول أن نصادق شخصًا يختلف معك حين يؤذن هل تصلي أم لا!! وأن يسخر منك حين أداء الصلاة، والطامة الكبرى أن يستدرجك هو إلى المعصية، كأن يعطلك عن أداء الفريضة ، أو يجعلك تتكاسل عنها، وتصبح بذلك على (دينه) أي على سلوكه وطريقته في الحياة ،وهو ما حذرنا رسول الله ﷺ حيث قال: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[١] .

ثانيًا: أن يكون مستقيم الخلق: فيحفظ لسانه عن السب والشتائم ، ويراعي الله فلا يقوم بمعاكسة الفتيات في الطريق ، فهذا الشخص لا تستأمنه على نفسك أو على أهل بيتك فهو إن دخل بيتك سيستحل النظر إلى أقرب الناس إليك.

ثالثًا: ألا يكون مستهترًا : فيدفعك بسلوكه إلى إضاعة وقتك بصورة تصرفك عن المذاكرة والالتزام بمسئوليات الحياة تجاه نفسك وأسرتك ودينك.

هذا هو الحد الأدنى الذي يجب أن يتوافر في صديق تري فيه المعين على مصاعب الحياة، والرفيق في طريق يرضى الله ورسوله ﷺ وينتهي بالجنة بإذن الله.

رابعًا: أن تقوم الصداقة على أساس من الحب في الله، وهو الحب الصادق المخلص الذي لا تعيبه مصلحة أو غرض قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجلين تحابا في**

---

(١) سبق تخريجه.

الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبًا لصاحبه»[١] . هذان الصديقان المتحابان يكونان في حماية الله ورعايته.

روي عن رسول الله ﷺ قال: «**قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي.. وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وقد حقت محبتي للذين يتصافون من أجلي**» [٢] .

خامسًا: يجب أن تعتمد الصداقة على صدق العقيدة وسمو الأعمال وحسن العشرة وفي الأثر:

«من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت إخوته».

وإذا نشأت الصداقة بين اثنين فإن عمرها يطول بمقدار طاعة الصديقين لله ويقصر عمرها إذا طالتها المعصية وتسرب إليها النفاق والفساد.. ففي الحديث: «**... والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما**»[٣] .

من أجل ذلك كان أصحاب الرسول ﷺ يتواصون بينهم بالطاعة ليحتفظوا بينهم من محبة.

عن أبي قلابة قال: التقى رجلان في السوق فقال أحدهما للآخر: تعالى نستغفر الله في غفلة الناس ففعلا، فمات أحدهما فلقيه الآخر في النوم فقال: علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق)[٤] .

عن أنس بن مالك : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «تعالى نؤمن بربنا ساعة فقال ذات يوم لرجل! فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٢٧٩)، وقال الهيثمي في الزوائد (١ / ٢٧٦): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير المعافى بن سليمان وهو ثقة». وقال المنذري في الترغيب: «رواه الطبراني بإسناد جيد قوي».

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ٣٨٦) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح».

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ٦٨)، وقال الأرناؤوط: «صحيح» ، وقال الهيثمي في الزوائد، (١٠ / ٧٥): «رواه أحمد وإسناده حسن».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٦٩٢).

ساعة؟ فقال النبي : «**رحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة**»[١] .

سادسًا: التقارب في التفكير والطباع فقد قيل: (رب أخ لك لم تلده أمك) فقد تلتقي بشخص تشعر معه بسرعة التجاوب والانجذاب إليه وكأنك تعرفه منذ سنين ففي الحديث:

«**الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[٢] .

وبهذه الشروط يكون عقدًا غاية في الخطورة اسمه عقد الصداقة وهو عقد كبير عظيم الأثر.

قال تعالى في وصف حال المشركين حين يقاسون العذاب: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٩٧ ـ ١٠١].

قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[٣] .

ثالثًا : تيسير الزواج :

الإسلام يقر للإنسان حقه في تلبية الغريزة ، ولا يفرض عليه كبتها، ولا يوحي إليها باستقذارها والترفع عنها فإن لتلك الغريزة مكانها في نظام الحياة وفي طبيعة الإنسان.

ولكن هناك طريقًا واحدًا للاستجابة للغريزة ، في نظر الإسلام هو الزواج في صورته التي ارتضاها الإسلام .

ذلك: لأن فيه على وجه الإجمال : بناء أسرة ، وتنظيم علاقة تنمي الحياة وترقى بمشاعر الإنسان وتهذب من طباعه .

ولأنه الوسيلة المثلى التي تجد فيها الغريزة ما تنشده من استجابة متوازنة، لا تخل

---

(١) أخرجه أحمد (٣ / ٢٦٥)، وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٧٥) : «رواه أحمد وإسناده حسن» ، وضعفه الأرناؤوط.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨ / ١٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وحسنه الألباني.

(٤) انظر : دليل البرامج التربوية للعمل الطلابى الثانوى ، أحمد صلاح ، ١/ ٢١٧ ـ ٢٢٣، مكتبة الوفاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .

بطمأنينة المجتمع، ولا تزعزع بناء الأخلاق.

ولأنه كذلك الحرث الذي تنمو فيه عواطف الخير ومشاعر الإيثار والتضحية، في رعاية الجيل الجديد.

والإسلام يرى أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها تقتضي أن يكون لكل رجل سوي زوجة يسكن إليها وتشاركه أعباء حياته.

يقول الله سبحانه:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ومن هنا فإن المجتمع الإسلامي كله يتحمل تلك المسئولية ، فعليه أن يهيئ نظمه بحيث ييسر السبيل لكل من يبتغي بناء أسرة على قواعد الإسلام الفاضلة.

ولهذا يتجه الخطاب في القرآن إلى جماعة المؤمنين ، في قوله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

وفي قوله سبحانه: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢] رد على الذين يجعلون من الضيق الاقتصادي ذريعة للدعوة إلى الإعراض عن الزواج ، أو حجة لتبرير التهاون في الحفاظ على الأخلاق.

فحين تصدق العزائم وتخلص النيات فإن الزواج قد يكون باعثًا قويًا على السعي والكدح وابتغاء فضل الله، وفي ذلك عمران للمجتمع وشد من أزره.

وهذا الوعد الإلهي حقيقة من حقائق الاجتماع الإنساني في نظر المؤمن، وهي حقيقة يجب أن تستقر في نظام المجتمع ، كما بين ذلك النبي ﷺ في قوله: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف**» (١) .

وأيا كان الأمر فيمن يبتغي العفاف بالزواج ، فإن النظر الإسلامي المستقيم يجعل على بيت مال المسلمين، وعلى المؤسسات الاجتماعية أن تقدم له العون وأن تيسر له سبيل العمل والكسب، فما تقدمه له اليوم ستجنيه غدًا . . في أسرة صالحة وأفرادٍ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٥٥)، وقال: «حسن» ، وحسنه الألباني.

مخلصين.

وقد فطنت إلى تلك الحقيقة في عصرنا دول أوربية أدركت أن قيام الأسرة عبء يجب ألا يتحمله الفرد وحده، بل على الدولة أن تعينه عليه، فجعلت إعانة سنوية تقدمها لكل أسرة تزاد بزيادة أفرادها.

الزواج هو النظام الأمثل :

وذلك هو النظر البصير، الذي يتلمح الحقيقة الاجتماعية من كل جوانبها، ولا يدع الأفراد يشقون في سلوكهم ويشقون المجتمع معهم.

إن الإسلام يري في الزواج ضرورة للفرد السوي، كما هو ضرورة للمجتمع كله إذ يؤدي إلى بناء الأسرة واستمرار الأجيال.

ولذا يخص الإسلام كل قادر على الزواج ، وييسر أمامه السبيل حتى يوصد السبيل أمام دعوات الشذوذ والانحراف.

فماذا بعد أن يذكر القرآن أن الزواج هو السلوك الأمثل، وليس الرهبانية ومقاومة نوازع الفطرة ؟!

وأنه سلوك الأنبياء والمرسلين ، وهم المثل الأعلى للإنسانية ، فلا مكان بعد ذلك لمن يحاولون التأبي على طبيعة الإنسان.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

ومن أولى بالنزوع إلى الكمال وابتغاء الرشاد . . من صفوة خلق الله وأكرم عباده. . ؟!

وحين ظن بعض الصحابة أن الأولى بهم الانقطاع إلى العبادة والعزوف عن حياة الأسرة والتخفف من أعباء الزواج ، لم يرض لهم ذلك الرسول ﷺ ، وأرشدهم إلى أن مسلك الترهب لا يقربهم إلى الله سبحانه ، ولا يرفع درجاتهم عنده، وضرب لهم المثل بنفسه ﷺ ، فهو من شدة خشيته لله، وكمال إخلاصه في عبادته وقربه منه لم يعزف عن الزواج ، ولم يحرم الطيبات على نفسه، لأن الإسلام دين لا يصادم الحياة ولا يقف في وجه الفطرة ، بل يستجيب لها ويوائم حاجاتها في سهولة ويسر. . وذلك هو السلوك الأمثل الذي ينبغي للمسلم أن يحرص عليه.

فقد روي البخاري أن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ اجتمعوا فذكروا أمر العبادة ،

فذهبوا يسألون أزواج النبي ﷺ عن عبادته فلما أخبروا بها فكأنهم تقالوها - أي رأوها مقتصدة - فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!

فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا..

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدًا..

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا..

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟**»

أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)] .

هذا هو الحق.. لا رهبانية ولا مقاومة للفطرة في الإسلام..

وقد استأذن أحد الصحابة رسول الله ﷺ في التبتل وإماتة دواعي الغريزة فلم يأذن له[(٢)] .

بل كان النبي ﷺ يرغب المسلمين في تحمل أعباء الأسرة بكل وسائل الترغيب.. وهل هناك أشد ترغيبًا من أن يعلم المسلم أن هذا هو طريق الفطرة . وهو أيضًا هدي السنة.. «**من أحب فطرتي فليستن بسنتي ، وإن من سنتي النكاح**»[(٣)] .

ويكفي المسلم في ذلك أن يري القرآن قد وضع نعمة الأسرة موضعها بين نعم الله على عباده.. فجعلها قبل نعمة الرزق من الطيبات.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢ / ٦)، عن سعيد بن المسيب عن سعب بن أبي وقاص قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل (وهو الانقطاع عن النساء)، ولو أذن له لا ختصينا).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٧ / ٣٣٦)، وعبد الرزاق في المصنف (٥ / ٤٩٩).

إنها نعمة ورحمة .. ووقاية من العنت والشقاء... ولذلك جعل الرسول ﷺ الزوجة الصالحة خير متاع الدنيا.. وذلك في قوله: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»(١) .

إن الزواج كما يرى الإسلام هو النظام الأمثل الذي يضمن حل مشكلة الغريزة دون إعنات للفرد أو تدمير للمجتمع..

إنه علاج ناجع يشفي أمراض الغريزة ويريحها من الإلحاح الدائب والنشاط المفسد.. وهذا ما يفهم من تصوير القرآن لتلك العلاقة الطبيعية ،وما فيها من سكن ومودة واطمئنان ..

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فهنا لا موضع للحظر أو المنع .. ولا مكان للخوف أو الريبة ، ولا شعور بالمخالسة أو الانتهاب .. كما هو الحال في فوضى العلاقات..

وقد جاء في أحكام الإسلام ما يحقق استجابة الزواج لدواعي الغريزة وكفاية مطالبها لكل من الزوجين.

فمن ناحية الرجل .. يتيح له الإسلام الفرصة ليختار زوجة عن رضا ورغبة وبعد تجاوب واستحسان ومن هنا كانت مشروعية الخطبة.. إذ هي مقدمة للزواج تتيح للزوج فرصة التعرف على شخصية زوجته بأبعادها الشكلية والنفسية قبل الإقدام على الزواج . ولذا شرع فيها النظر إلى المخطوبة ليرى الخاطب: هل يجد فيها الصورة التي يبتغيها وهل يوحي إليه تمثله لملامحها النفسية والجسمية بالسن والمودة حتي لا يقع بعد ذلك النفور والشقاق .

عن جابر بن عبد الله أن رسول ﷺ قال: «**إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**» قال جابر: «فخطبت امرأة من بني سلمة ، فكنت أختبئ لها، حتى رأيت منها ما دعاني إليها»(٢) .

بل كان النبي ﷺ لا يرضى عن الزواج الذي يهمل فيه التحري والتعرف على

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧ / ٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٨٢)، وحسنه الألباني .

خصائص الزوجية وسماتها، لأن مصير هذا الغامض غالبًا: الفشل في تحقيق الأهداف النفسية والاجتماعية المقصودة منه . .

فقد خطب المغيرة بن شعبة امرأة فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليها؟**» قال: لا، قال: «**انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»(١) أي تثبت علاقة الزواج وتستقر على أساس متين.

كما خطب رجل امرأة من الأنصار فقال له الرسول : أنظرت إليها؟ قال: لا. قال: «**فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا**»(٢) .

وليس تشريع الخطبة والنظر إلا لحرص الإسلام على أن يقوم الزواج على أساس متين يحمل عناصر الاستقرار، ويستجيب للرغائب النفسية والمادية، فلا يدع مجالاً لفساد الغرائز وانحراف السلوك.

فإذا قام بناء الأسرة بين الزوجين . . فإن من فرائض الإسلام على الزوجة أن تلبي رغائب الفطرة في نفس زوجها . . وهي في ذلك تطيع ربها وتبتغي رضاه.

فما أبعد الفرق بين نزوات الفوضى. . وبين طيب الحلال. . الذي يصل إلى درجة العبادة. . ويحاط بالرضا والتكريم .

وهكذا يريد الإسلام للإنسان أن يبتغي في ظلاله الفطرية المشروعة . فإن تعدى إلى الفسوق والطغيان . . فلا كرامة له ولا أمان.

بين الحس والروح:

نهدف إلى ما يبتغيه الإسلام بعلاقة الزواج من تكامل بين الحس والروح، وما ينوط بها من إسعاد وإصلاح. .

إنه يرغب في كل ما يوثقها ويزيدها تقاربًا وامتزاجًا. . حتى ليجعل النبي ﷺ لهو الرجل مع امرأته نوعًا من الحق؛ إذ إن غايته المحمودة وهدفه الذي يرجوه الإسلام، وهو تأكيد الارتباط النفسي بين الزوجين. . وذلك في قوله ﷺ: «**كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل، إلا رمية بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من**

---

(١) أخرجه النسائي (٣٢٣٥) عن المغيرة، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٢٤ / ٧٤) عن أبي هريرة.

الحق»[1] .

وهذا أيضًا هو مغزى حث الإسلام على مراعاة التقارب بين الزوجين في السن. . والتلاؤم بينهما في ملامح الشخصية، حتي يمكن أن يكون بينهما السكن والاطمئنان. . ففي الحديث أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه تزوج امرأة ثيبًا. . فقال له النبي ﷺ: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك**»[2] .

لولا أن جابرا أبدى علة اختياره لهذه المرأة. . وهي وجود إخوة له صغار يحتاجون إلى أم حانية. . لا إلى فتاة خبرة لها ولا طاقة برعاية الصغار. .

إن علينا أن ندرك أن الزواج في نظر الإسلام، ليس علاقة تقوم على التقاليد المتوارثة. . بل هو امتزاج بين نفسين. . يرضى كل منهما في صاحبه نزعاته ويستجيب لحاجاته ولا يدع في نفسه فراغًا للقلق والشقاء.

وإنا لنجد هذا المعنى وأكثر منه في تصوير القرآن لحقيقة الصلة بين الزوجين هذا التصوير المليء بالإيحاء في قوله سبحانه: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ونترك المجال هنا لصاحب كتاب «الإنسان بين المادية والإسلام» ليحدثنا عن دقائق هذا التصوير الجميل فيقول:

«ففي هذه الكلمات القليلة تصوير بارع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح في آن. فاللباس ألصق شيء ببدن الإنسان، وهو الستر الذي يستتر به، وهو في الوقت ذاته مفصل على قده لا ينقص ولا يزيد، والرجل والمرأة ألصق شيء بعضهما ببعض: يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة ، وفي لحظة يذوب كل منهما في الآخر فلا تعرف لهما حدود . وهما أبدًا يهفون إلى هذا الاتصال الوثيق الذي يشبه اتحاد اللباس بلابسه.

ثم هما ستر، كل واحد للآخر ، فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة، وهما على الدوام ستر روحي ونفسي ، فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٣٧) ، والترمذى (١٦٣٧) ، وقال: «حسن صحيح»، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٤٧)، ومسلم (٧١٥ / ٥٤).

يحرص كل منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره، أن ينكشف منها شيء فتنهبه الأفواه والعيون. وهما كذلك وقاية تغني كلا منهما عن الفاحشة وأعمال السوء، كما يقي الثوب لابسه من أذى الهاجرة والزمهرير.

وهما بعد ذلك كاللباس في تفصيله مضبوطًا على القد . يلبسه صاحبه فيستريح إليه، ويتحرك نشيطًا في محيطه، ويكتسب به زينة وجمالاً تعجب صاحبها وتعجب الناظرين .

فليس أروع من تصوير هذه المعاني كلها في تشبيه واحد شامل عميق»[١] .

وليس بعد هذا الذي عرضناه من منهج الإسلام في جعل الزواج حلاً طبيعيًا ميسوراً لمشكلة الغريزة ـ شكٌ في أن هذا المنهج لو أحسن الأخذ به لكان فيه سعادة الفرد وحماية المجتمع وطمأنينة الحياة. . ولكن فيه القضاء على نزعات الفوضى التي ما تزال تشقى بها المجتمعات في أنحاء الشرق والغرب. .

فإن الذي يطالع مواقف المجتمعات المادية المعاصرة يذهله ما يراه من مشكلات معقدة حول الغريزة. . فما يزداد الناس انطلاقًا . . إلا ازدادوا شقاء. . فقضية الجنس في هذه المجتمعات تشغل الجميع. . من تلميذات المدارس وتلاميذها. . إلى الكهول. . وذوي الشخصيات اللامعة .

حتى الزواج في المجتمعات المادية التي يشبع فيها نداء الفتنة قويًا ملحًا. . يعجز عن حل مشكلة الغريزة .

وها هي مخازي الغرب المادي ملأ الأنحاء ، وأحدثها نوادي تبادل الزوجات التي شاعت في أمريكا خاصة. . بل تتزايد يومًا بعد يوم [٢] . .

ذلك لأن مجرد إقامة بناء الأسرة لا يكفي في علاج المشكلة الغريزية ، ما لم تكن قائمة على دعائم مثل وأخلق فاضلة، لا نؤمن بالفوضى ، ولا ترى حلاً لمشكلة الغريزة سوى الزواج :

---

(١) الإنسان بين المادية والإسلام للاستاذ محمد قطب ص ٢٥٤ .

(٢) في كتاب الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر. (مشكلات الأسرة والتكافل) ، للدكتور محمد البهي تفاصيل كثيرة عن سلوك الغرب المادي إزاء الغريزة ، استقاها من الصحف والمجلات الأوربية والأمريكية.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧].

قدوات على الطريق:

١ ـ الرسول يسعى في التبكير بتزويج البنين والبنات[١] :

في حديث طويل يأتيه اثنان من أبناء عمه، فينصحهما ويأمر بتزويجهما ، بل ويخطب لهما، ويدبر لهم أمر المهر . .

«. . فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة، فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ثم قال: «**اخرجا، ما تُصَرِّران؟**» ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش، قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم أحدنا فقال: يا رسول الله: أنت أبر الناس وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ، ونصيب كما يصيبون. قال: فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه. قال: وجعلت زينب تلمع علينا من وراء الحجاب ألا تكلماه. قال: ثم قال: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس. ادعوا لي مَحْمِيَة**» وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال: فجاءاه فقال: لمحمِية أنكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن عباس فأنكحه ، وقال لنوفل بن الحارث: أنكح هذا الغلام ابنتك لي فأنكحني . وقال لمحمية: «**أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا..**»[٢] .

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان أسامة جَارِيةً لكسوته وحليته حتى أنفقهُ**»[٣] .

وعن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب ، فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني ، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر لبيان هذا التبويب الجيد للأحاديث (تحرير المرأة في عصر الرسالة)، عبد الحليم محمد أبو شقة (٥ / ١٩ وما بعدها).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧٢ / ١٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦ / ٢٢٢)، وقال الأرناؤوط: «حسن بطرقه». أنفقه: أزوجه. نفق السلعة زوجها، والمقصود هنا أن تحلى البنت في أعين الخطاب.

«أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد فكرهته، ثم قال: انكِحِي أسامة، فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت»[١] .

وقد كان أسامة يوم زوجه الرسول ﷺ فاطمة بنت قيس دون السادسة عشرة.

٢ ـ الصحابة يسعون في التبكير بتزويج البنين والبنات:

فعن عبد الله بن عمرو قال: «أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهدُ كنتهُ[٢] فيسألها عن بعلها».

عن سعيد بن جبير قال: «قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: فتزوج؛ فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء » [٣] .

٣ ـ الصحابة يسعون في تزويج الأرامل :

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة ، فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري ، فلبثت ليالي ثم لقيني ، فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فَصَمَتَ أبو بكر، فلم يَرْجِعْ إليَّ شيئًا، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ ، فأنكحتها إياه [٤] .

٤ ـ الدولة المسلمة تعين على الزواج:

وهذا يعني أن الدولة تدفع مهر الفقراء من بيت مال المسلمين.

فعن المستورد بن شداد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادمًا، فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له مسكن**

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠ / ٣٦) اغتبطت : من الغبطة؛ وهي حسن الحال أو المسرة.

(٢) كنته : الكنة هي زوج الولد.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٢٢) ، تأيمت أي مرت عدة زواجها

فليكتسب مسكنًا»[١] .

وعن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: جاءت امرأة إلى سمرة بن جندب فذكرت أن زوجها لا يصل إليها، فسأل الرجل فأنكر ذلك، وكتب فيه إلى معاوية رضي الله عنه قال: «فكتب أن زوج المرأة من بيت المال لها حظ من جمال ودين»[٢].

٥ ـ الشريعة تبيح التعريض بخطبة المطلقة والأرامل أثناء العدة تمهيداً للزواج :

قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥][٣] .

وفي قصة فاطمة بنت قيس نجد أن النبي ﷺ يعرض لها بأن لها عنده خطيب بعد أن تعتد، وذلك عندما قال لها: «**فإذا انقضت عدتك فآذنيني** »[٤] ، ثم خطب لها أسامة بن زيد[٥] .

٦ ـ الشريعة تيسر الزواج فور انتهاء عدة الطلاق وعدة الوفاة :

تقول فاطمة بنت قيس: فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ[٦] .

وعن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم تمكث إلا ليالي حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها خُطِبت ، فاستأذنت النبي ﷺ في النكاح فأذن لها أن تنكح فنكحت[٧] . وفي رواية : فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب[٨] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٤٥) ، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى) (٧ / ٢٢٨) .

(٣) لا جناح عليكم: لا إثم عليكم ، عرضتم: لوحتم، والمعارض بالشيء عن آخر، أكننتم: أخفيتم.

(٤) آذنيني: أعلمني. وفي هذا تعرض بالرغبة في خطبتها، بعد انتهاء العدة خطبها رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد.

(٥) أخرجه مسلم (١٤٨٠ / ٤٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٤٢ / ١١٩).

(٧) أخرجه أحمد (٤ / ٣٢٧)، وقال الأرناؤوط: «صحيح على شرط الشيخين».

(٨) أخرجه البخاري (٣٩٩١)، ومسلم (١٤٨٤ / ٥٦).

٧ ـ سهولة الزواج للمطلقة والميت عنها زوجها:

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، ذكرنا بعضها فيما سبق ونذكر هنا طرفًا منها:

أ ـ أسماء بنت عميس:

تزوجها جعفر بن أبي طالب، ولما استشهد تزوجها أبو بكر، ولما مات تزوجها على رضي الله عنهم، وكانت في بيت على، وهي عندها ثلاثة أولاد لجعفر ،وولد لأبي بكر، ثم ولدين له.

ب ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب:

مات عنها خنيس بن حذافة السهمي فتزوجها رسول الله ﷺ .

ج ـ فاطمة بنت قيس:

طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص ثلاثًا، فتقدم لخطبتها نفر من الصحابة . . وزوجها النبي ﷺ أسامة بن زيد.

د ـ سبيعة الأسلمية:

ما إن طهرت من نفاسها بعد موت زوجها حتى تقدم من يخطبها.

هـ ـ عاتكة:

تزوجها زيد بن الخطاب، ثم عمر بن الخطاب، ثم عبد الله بن الزبير، ثم الحسين ابن على رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

الفصل الثالث

إقامة التشريع الإسلامي في وجه المنحرف

لا يكفي الوعظ والإرشاد في تقويم الأخلاق ، بل لابد من استعجال سيف القانون، وسلطة التشريع، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فليتعاون رجال الحكم وبيدهم السلطان مع رجال الوعظ وفي قلوبهم القرآن، حتى يتم القضاء على عوامل الفساد والتحلل.

ونرى من خلال تعاليم الإسلام أنه قد حمى المجتمع من الانحراف بسياج آمن على النحو التالي :

الإسلام وحفظ الأمن:

أولاً: نهي الإسلام عن إشاعة الفاحشة :

١ ـ نهى العلماء عن كشف الستر :

حدث محمد بن أبي حرب أنه سئل عن قربة مغطاة ، فقال: لا تكش .

والمعصية إذا أُخفيت لم تضر إلا صاحبها.

أما إذا ظهرت فإنها تضر الآخرين بإغرائهم.

والإسلام قوي ، والمستخفي جبان لا خطر منه، بخلاف المجاهر بالمعصية .

جاء في الأمر بالمعروف كلام قيم عن ضرورة ستر المسلم ، وعدم جواز فضيحته، ولو كان بسبب النهي عن المنكر. يقول: « وأمرنا أن نستر على المذنبين ، ما لم يبد لنا صفحة الخلاف. ليس كما ذُكر عن بني إسرائيل أنهم كانوا إذا أذنب أحدهم ذنبًا أصبح وعلى بابه معصيته مكتوبة.

وكذلك في شأن قرابينهم. فإنهم كانوا إذا قربوها أكلت النار قربان من تقبل الله منه، وتركت غير المقبول . وفي ذلك افتضاح للمذنب ـ الذي لم يتقبل الله منه.

ثم يقول: وللستر حكمة أخرى:

وهي أن فضيحة العاصي تسبب الفرقة والوحشة ، وهذا ما شدد القرآن في النهي عنه. إلا أن تكون البدعة فاحشة جداً كبدعة الخوارج فلا إشكال في جواز إبدائها، وتعيين أهلها»[1] .

---

(١) الأمر بالمعروف للخلال، تعليق : أحمد عبد القادر أحمد عطا، ص ٨١ .

وكم من جرائم كبيرة كالزنا واللواط لم تنتشر إلا بسبب الذين يفضحون من يرتكب هذه الجرائم. مع أن أكثرهم يريد إنكار المنكر فتقع الفضائح.

من الزاني منهما؟

حدثني شاب لا يعصمه دين، ولا يردعه خلق.

حدثني أنه منذ أن عاقبته الشركة التي يعمل بها بالنقل إلى فرعها القاصي لسوء سمعته، من يومها وهو كما يقول الشاعر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

غُربته. ووحدته . ووحشته، همٌ وهمٌ وثالث.

وفي ليلة مظلمة ، ممطرة زاره خادم ضريح الولي لدعوته لحضور حلقة الذكر ، التي تقام بجوار القبر كل أسبوع.

وضاق صدر الضيف.

إنه من أبناء القرية . ويعلم أن صاحبة البيت، الذي يسكن فيه الشاب، والتي تسكن بجواره، أرملة سيئة الخلق. وسرعان ما حذر الشاب منها. وتبرأ من ماضيها.

تبرأ من الزنا. بل ومن كل النساء ـ إلا الصالحات.

وهنا مال الشاب إلى يد خادم الضريح وقبلها.

لقد دله على صيده.

لقد عاش معها عدة أشهر ، وكل باب مغلق على أسراره.

إن شدة القرب تسبب الخفاء.

وكما يقولون: الغريب أعمى ، ولو كان بصيراً.

ما كان للشاب أبداً أن يعرف ساقطته لولا خادم الضريح. واستنكاره للزنا ـ غفر الله له ـ لقد دل الشاب على صيده ، وكان سبباً فيما جرى.

إن سوء استخدام الخير يُسبب البلاء، ويوقع في الشر.

إن أسماء الله الحسنى فيها أمور متقابلة . فهو ـ سبحانه ـ المحي. المميت. القابض الباسط. الضار النافع. الستير. إن ربكم حيي ستير يحب الحياء والستر . ولكن ليس من أسمائه الحسنى «الفضاح» .

وامرأة العزيز ذكرها القرآن قبل حديث النساء عنها كالقط الوادع. غلقت الأبواب بنفسها، واختارت أرقى عبارات المراودة.

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

قطة وادعة.

فما بالها تتحول بعد انتشار الخبر بين النساء إلى نمر متوحش؟

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢].

هكذا تفعل الفضيحة بنساء الكبار من الناس. فلم تراع منصب زوجها، ولا عظيم منزلتها. فليتق الله من يُطلعون الناس على أسرار عباده. وليعلم كل مسلم أن الزنا إن تم عن طريق سر كُشف ـ كما فعل خادم الضريح ـ فهو الزاني في الحقيقة . أو شريك للزاني.

من هنا قال النبي ﷺ للرجل الذي أمر ماعزاً أن يعترف للنبي بالزنا، قال له النبي ﷺ: «**يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خير لك**» (١) .

وقال ﷺ: «**من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**» (٢) .

٢ ـ الستر أولى من الفضيحة :

يثبت الزنا بأحد أمور ثلاثة وهي:

١ ـ البينة.

٢ ـ الإقرار.

٣ ـ الحمل.

١ ـ البينة :

يختص الزنا من بين جميع الجنايات أنه لابد في إثباته من شهود أربعة من الرجال العدول، مع أن القتل وبقية الحدود يكفي فيها شاهدان، ولا تقبل في الشهادة بالزنا شهادة النساء ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢ / ٨٢١)، وأحمد (٥ / ٢١٦) ، وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠ / ٥٨).

شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]. ولما روي أن النبي ﷺ قال لهلال بن أمية حينما جاء إليه بقذف امرأته: «**ائت بأربعة شهداء، وإلا فحد في ظهرك**»[(١)].

شروط في شهود الحدود:

يشترط في الشهود على الزنا شروط عامة فيه وفي غيره وشروط أخرى خاصة به.

فالشروط العامة هي:

١ ـ العقل.

٢ ـ البلوغ، فلا شهادة لمجنون ولا لصبي. لقوله ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة: الصبي حتى يبلغ، والنائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ**»[(٢)].

٣ ـ القدرة على النطق والكلام فلا شهادة لأخرس.

٤ ـ القدرة على حفظ الشهادة وفهم ما يشهد به فلا شهادة لمغفل ولا كثير النسيان والغلط.

٥ ـ أن يكون مبصرًا فلا شهادة لأعمى.

٦ ـ الإسلام فلا شهادة لغير المسلم على المسلم لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦].

٧ ـ العدالة فلا تقبل شهادة الفاسق للآية السابقة.

٨ ـ ألا يكون هناك مانع من موانع قبول الشهادة كالعداوة والقرابة والمحاباة.

أما الشروط الخاصة بالزنى فأهمها:

١ ـ أن يكون عدد الشهود أربعة لقوله تعالى: ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ [النور: ١٣] الآية.

٢ ـ أن يكونوا ذكورًا فلا تقبل فيه شهادة النساء لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

---

(١) النسائي في السنن (٣٤٦٩)، وقال الألباني: «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٤٠٢)، وصححه الألباني.

٣ ـ عدم تقادم الجريمة، فإذا استشهدوا بزنى متقادم فلا تقبل شهادتهم عند الحنفية لأن الشاهد الذي رأى الجريمة مخير بين التستر على الزاني أو الشهادة عليه، وقد رغب الشارع في التستر، فعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله الجنة**»[١] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه بها (أي بعورته) في بيته**»[٢] فالشاهد إذا سكت حتي قدم الحادث فقد اختار جهة الستر، فإذا تقدم بعد ذلك بالشهادة تمكنت الشبهة في شهادته، والحدود تسقط بالشبهات . لقوله ﷺ: «**ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة**» [٣] ولا يحمله على الشهادة إلا الحقد والضغينة.

وقال عمر بن الخطاب : «لئن أعطل الحدود بالشبهات أحبّ إليّ من أن أقيمها بالشبهات» ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه أن معاذا وعبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر قالوا : « إذا اشتبه عليك الحد فادرأه » [٤] .

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «**أيما قوم شهدوا على حد لم يشهدوا عند حضرته فإنما هم شهود ضغن**» .

مدة التقادم: التقادم في شهادة الزنى يسقطها ، ولكنها لا يؤثر في الإقرار بالزنى ولا يسقط الحد ؛ لأن الإنسان لا يعادي نفسه، على وجه يحمله على هتك ستره والتعريض للتلف والهلاك ، وإنما الذي يحمله على الإقرار الندم وإيثار عقوبة الدنيا على عقوبة الآخرة .

ولم يرد في مدة التقادم نص خاص ، بل هي تختلف باختلاف أحوال الناس في البعد عن القاضي والقرب منه ، وباختلاف عادة القاضي في عقد جلساته، وتحديد هذه المدة مفوض إلى رأى القاضي، وحددها بعض الفقهاء بسنة وبعضهم بستة

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤٨٠)، وقال الهيثمي في الزوائد (٦ / ٣٧٢): «رواه الطبراني في الأوسط والصغير بنحوه وإسنادهما ضعيف».
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٦)، وصححه الألباني .
(٣) أخرجه الترمذى (١٤٢٤) ، وضعفه الألبانى .
(٤) انظر هذه الآثار فى مصنف ابن أبى شيبة (٥/ ٥١١) ، مكتبة الرشد .

شهور، وحددها الصاحبان أبو يوسف ومحمد بشهر واحد .

إلا أن التقادم إذا كان يعذر كطول المسافة أو المرض لا يكون سببًا في إسقاط الشهادة ، كذلك لا يقبل في الشهادة بالزنى شهادة المخنث ولا من يفعل كبيرة توجب الحد ولا من يأكل الربا ويقامر ولا مستور الحال.

تحقيق القاضي مع شهود الزنا :

على القاضي أن يسأل شهود الزنى الأربعة الذين تتوافر فيهم هذه الشروط المذكورة عن الزنى : ما هو؟ وكيف هو؟ وأين زنى ؟ ومتى زنى ؟ وبمن زنى ؟ أما السؤال عن حقيقة الزنا فلأن من الناس من يعتقد في كل وطء حرام أنه زنا كمن وطئ امرأة وجدها على فراشه وظن أنها زوجته، فهذا الوطء حرام، ولكنه لا يعتبر زنى موجبًا للحد، وسؤاله عن كيفية الزنى ، فلأن الحد لا يجب إلا بالوطء في الفرج،ألا ترى رسول الله ﷺ سأل ماعزًا حتي فسر كالميل في المكحلة والرشا (الحبل) في البئر، ورغم ذلك قال له: (لعلك قبلتها؟ لعلك مسستها) ؟ والسؤال عن المكان لاحتمال أن تكون الجريمة وقعت في دار الحرب، حيث لم يكن الجاني تحت ولاية الإمام ، والسؤال عن المزني بها فلأن النبي ﷺ سأل ماعزًا بقوله: بمن زنيت؟ لأنه من الجائز أن يكون له نكاح أو شبه نكاح في المفعول بها وذلك غير معلوم للشهود، والسؤال عن الزمان لجواز أن يكون العهد متقادمًا ،وحد الزنى يسقط بتقادم العهد عند الحنفية.

وإذا عجز الشهود عن الإجابة عن هذه الأسئلة أو عن بعضها أو اختلفوا فيها لم يثبت الحد على المشهود عليه، وحينئذ يقيم القاضي حد القذف ثمانين جلدة لكل واحد منهم.

ويتبين من هذا العرض، لشروط قبول الشهادة على الزنى بصفة قاطعة تقرر إثباته عن طريق الشهود مما يجعل هذا الإثبات شبيهًا بالمستحيل؛ لأنه مهما بلغ إنسان من العهر والفجور والاستهتار وفقد الحياء لا تسمح له نفسه باستدعاء أربعة من الرجال العدول عندما يرغب في مسافحة زانية مثله ليروا ميله في مكحلتها ويمكنهم من رؤية ذلك فإن هذه العملية الجنسية مبناها على المبالغة في التخفي واتخاذ أقصى ما في الاستطاعة من التستر والابتعاد عن الأعين حتى في الحلال وبين الزوجين، فما بالك إذا كانت بين لصة ولص وباغ وبغي يخشيان الفضيحة والعقاب والاعتداء عليهما من المشاهدين لهما.

ونذكر في هذا المقام قصة طريفة وقعت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي

الله عنه تؤكد استحالة إثبات الزنا بالشهود ، فقد شهد ثلاثة بالزنا عنده على الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة، وهم: أبو بكرة، ونافع، وشبل بن معبد، أنهم رأوه من نافذة بين دارهم وداره يواقع جارية له ظنوها أجنبية، ثم أتى الشاهد الرابع ويدعى زيادًا ، فقال له عمر: بم تشهد؟ قال زياد: رأيتهما تحت لحاف واحد ينخفضان ويرتفعان ويضطربان اضطراب الخيزران ورأيت رجليها فوق عنقه كأنهما أذنا حمار، ولا أدري ما وراء ذلك ،فصاح عمر: الله أكبر الحمد لله الذي لم يفضح واحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ وأمر بالثلاثة أن يجلدوا للقذف ثمانين جلدة لكل واحد منهما فما الذي يحمل الشهود على تعريض ظهورهم للجلد والفضيحة وهم يعلمون أن الله تعالى أمر بالستر على عباده وذم الذين يحبون أن تشيع الفاحشة وتوعدهم بالعذاب الأليم ، وكذلك رغب رسول الله ﷺ في الستر في أحاديث كثيرة.

ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه أقام حد الزنى بالبينة في عهده، ورجمه لليهودي واليهودية إنما كان يحكم بحكم التوراة، فقد روى أنه دعا بالتوراة وبابن صوريا الأعور وناشده بالله حتي اعترف بأن حكم الزنا في كتابهم الرجم، فرجمهما وقال: «**اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**» [١] .

وعلى ذلك فلم يبق في إثبات الزنى إلا الإقرار والحبل.

ثانيا: عقوبة القذف :

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ④ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤ ـ ٥].

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا الموبقات (المهلكات) السبع، قالوا: يا رسول الله وما هي؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الز-حف، وقذف المؤمنات الغافلات**» [٢] ،فحرم الله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٨ / ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩ / ١٤٥).

القذف والاتهام بالزنا، وجعل عقوبة القاذف اللعن والطرد من رحمته في الدنيا والآخرة، وتوعده بالعذاب العظيم.

أولاً : القذف وشروطه :

القذف هو مطلق الرمي ، والمراد به هنا، الرمي بالزنا أو نفي النسب خاصة، وعبر عنه القرآن الكريم بالرمي، للإشعار بما يصيب الناس من الأذى عند اتهامهم بالزنا، كأن القاذف رمى المقذوف بالحجارة أو أشد من ذلك ـ والمراد بالرمي في الآية، الزنا خاصة دون سائر ألفاظ السب والشتم ـ ولا يختص الرمي بالنساء، وإنما هو للرجال ـ أيضًا ـ لا فرق بين قذف المرأة والرجل، وإنما خص النساء في الآية بالذكر، لأن القذف بالزنا في حقهن أشد فحشًا وأعظم عارًا.

وشروط القذف تسعة اثنان منها في القاذف ، وهما : العقل والبلوغ؛ إذ لا تكليف بدونهما، وشرطان في الشيء المقذوف به، وهما : أن يقذف بوطء يلزم منه الحد وهو الزنا واللواط، أو بنفي النسب في الأب، وخمسة في المقذوف وهي: العقل والبلوغ والإسلام (عند أبي حنيفة) والحرية ، والعفة عند الزنا.

ولا يقام حد القدف على القاذف إلا بناء على مطالبة المقذوف على القاذف به؛ لأنه حق الآدمي، فالقذف وإن كان حدًا من حدود الله ، وحدود الله لا تتوقف على المقذوف ، لأن هذه التهمة تمس شرفه مسًا عنيفًا وتتصل بعرضه وسمعته، فهو أولى بالدفاع عن نفسه، والعمل على تبرئتها من فاحشة الزنا، ولهذا تتوقف العقوبة على طلبه.

وإذا مات المقذوف قبل مطالبته بحد القاذف سقط الحد، وليس لأحد الورثة المطالبة به حينئذ، وإذا مات بعد الطلب وقبل الحكم في دعواه كان للورثة القيام مقامه في الدعوى، ولا تسقط بموته،وإذا وقع موت المقذوف قبل المخاصمة، ولم يعلم بالقذف قبل موته فلورثته حق المطالبة والمخاصمة.

وإذا حدث القذف لميت فلأصوله وفروعه حق المخاصمة والمطالبة بحد القاذف[1].

---

(١) انظر: ما يخشاه المعارضون من الشريعة الإسلامية، الشيخ / إبراهيم الواقفي، ص ٦٢ ، ٦٣، دار الصفوة، ١٤١٥ هـ.

٢ ـ صور القذف المحتملة ثلاث وهي كالآتي:

١ ـ الاتهام بالزنى كذبًا بقصد إلحاق التنقيص والمعرة بالمقذوف.

٢ ـ الرمي بالزنى قد يكون واقعًا فعلاً، ولكن مع عجز القاذف عن إثبات ذلك ببينة شرعية، قال الأستاذ المودودي: «مرتكب القذف بدون شهادة الشهود، فاسق ولو كان صادقًا في ذات نفسه»[(١)] .

٣ ـ ما يقوم مقام الاتهام بالزنى ، مثل نفي نسب ثابت عن شخص، أو إنكار حمل ثابت للمقذوف.

وفي ضوء هذه الصور المحتملة للقذف فإن بعض العلماء قد صاغ تعريف القذف بالآتي:

القذف: «هو الرمي بالزنى في معرض التعبير»[(٢)] أو هو «نسبة آدمي مكلف غيره حرًا عفيفًا مسلمًا بالغًا أو صغيرة تطيق الوطء لزنى، أو قطع نسب مسلم»[(٣)] .

القذف: «نسبة من أحصن إلى الزنى صريحًا أو دلالة»[(٤)] . وهذا أنسب التعاريف لأنه مشتمل على العموم الوارد في الآية.

ب ـ وأما صيغة المقذوف به الموجب للحد فهو كالآتي:

١ ـ الصيغة الصريحة المنجزة: ويقصد بذلك القذف بكلام صريح بالزنى الذي لا يحتمل غيره، كما لو قال شخص لامرأة: أنتِ زانية، أو لرجل أنت زانٍ. وفي ضوء ذلك فإن القذف بالكناية أو بالإشارة، أو بصيغة معلقة لا يعد قذفًا موجبًا للحد، ولكن فيه تعزيز وتأديب[(٥)] .

٢ ـ صيغ التعريض؛ فإن أغلب أهل العلم لا يرون فيها حدًا لأنه كلام محتمل والحدود تدرأ بالشبهات. ولبعض العلماء: إن كانت صيغة التعريض قد جاءت في

---

(١) تفسير سورة النور للمودودي ١٢ .

(٢) ينظر ما يأتي: المغني ٩ / ٧٦، مواهب الجليل من أدلة خليل ٤ / ٣٤٩ ، مغني المحتاج ٤/ ١٥٥ ، ونهاية المحتاج ٧ / ٤٣٥، شرائع الإسلام ٤ / ١٦٢ .

(٣) فقه الإمام سعيد ٤ / ١٢١ ، نقلاً عن شرح الدردير ٢ / ٣٧٤ .

(٤) البناية في شرح الهداية ٥ / ٤٧٩ .

(٥) ينظر ما يأتي: بدائع الصنائع ٧ / ٤٢، المغني ٩ / ٨٠ .

سياق كلامي وظرف زماني ومكاني بحيث لا يحتمل غير القذف فإنه يعد قذفًا ويلزم قائله الحد، واستدل على ذلك بما حكاه القرآن من قصة مريم أم عيسى ـ عليه وعلى رسول الله محمد الصلاة والسلام ـ وسجل ذلك على اليهود، وعده من جملة جرائمهم معاصيهم . قال الله تعالى: ﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥ ـ ١٥٦].

والبهتان العظيم هو ما جاء فيه قول الله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٢٨] أي: أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد[١] .

٣ ـ وبعض الفقهاء قد عد بعض العلاقات الجنسية غير الشرعية زنى ـ ورتب عليها عقوبة الزنى، أو عقوبة القتل ـ وإن كانت في اللغة تحمل اسمًا آخر كفاحشة قوم لوط وإتيان البهائم بجامع علة التشريع ؛ وفي ضوء فهم أولئك الفقهاء، فكل ما يجب بفعله حَدُّ الزنى، يجب حد القذف بالرمي به[٢] .

٤ ـ جاء في شرائع الإسلام، «القذف هو الرمي بالزنى أو اللواط»[٣] ، فلو قذف شخص امرأة بأن أجنبيًا وطئها في دبرها أو قذف رجلاً بوطء امرأة في دبرها فعليه الحد في ضوء فقه هؤلاء الفقهاء[٤] .

بما يثبت القذف؟

يثبت القذف على القاذف بأحد أمور ثلاثة:

١ ـ البينة ويكفي فيها شاهدان فقط، ويشترط فيهما الذكورة ، والعقل، والبلوغ، والعدالة ، وانعدام العداوة.

٢ ـ الإقرار من القاذف أنه قذف المجني عليه بالزنا أو بنفي نسبه عن أبيه.

---

(١) ينظر ما يأتي: تفسير القرطبي ١٢ / ١١٦، المغني ٩ / ٨١ ، المحلي ١١ / ٢٦٨ ـ ٢٧٦، فقه الإمام سعيد بن المسيب ٤ / ١٢٥ .
(٢) المفصل في أحكام المرأة ٥ / ١٨٣ .
(٣) شرائع الإسلام ٤ / ١٦٢ .
(٤) ينظر : المغني ٩ / ٧٢ ، ٩ / ٨٠، والمفصل في أحكام المرأة ٥ / ١٨٣ ـ ١٨٤ .

٣ ـ نكول القاذف عن اليمين إذا استحلفه المقذوف.

صريح القذف وكنايته:

لا يشترط في القذف أن يكون بلغة معينة فيصح أن يكون باللغة العربية وغيرها من اللغات.

وألفاظ القذف قسمان: صريح وكناية، فالصريح: ما لا يحتمل غيره من المعاني الأخرى مثل قوله: يا زاني يا لوطي، لست بابن أبيك، وكناية: ما يحتمل القذف وغيره مثل: زنت يداك أو رجلاك أو بدنك، ومثل قوله: يا مخنث ، يا فاجرة يا خبيثة، أو يقول لزوجة أُخرى: فضحت زوجك، وغطيت رأسه وأفسدت فراشه. وصريح القذف موجب للحد اتفاقًا، والتعريض لا يكون قذفًا إلا إذا أقر القاذف أنه أراد حقيقة الزنا.

هذا كله إذا لم يستطع القاذف إقامة البينة على صدق دعواه، فإذا أتي بأربعة شهود غيره يشهدون بزنا المقذوف فلا حد على القاذف ، وعلى المقذوف حد الزنا.

٤ ـ بما يسقط القذف ؟

يسقط القذف بعد ثبوته بأحد أمور :

١ ـ عفو المقذوف عن القاذف؛ لأن حد القذف حق للمقذوف ، فلا يقام إلا بناء على طلبه، فيسقط بعفوه كالقصاص.

٢ ـ إقرار المقذوف بالزنا وصدق القاذف؛ لأن المعرة تلحقه بإقراره لا بالقذف.

٣ ـ إذا استطاع القاذف إقامة البينة على صدق قذفه.

٤ ـ إذا كان القاذف زوجًا وليس معه شهداء يشهدون على الزوجة وطلب اللعان.

جزاء القذف :

عقوبة القذف شرعها الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ④ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤]. فالآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين أوجبت على القاذف الذي لم يأت بأربعة شهداء يشهدون على صدق دعواه ثلاث عقوبات:

١ ـ الجلد ثمانين جلدة.

٢ ـ رد شهادته.

٣ ـ الفسق، فالعقوبة الأولى: مادية أدبية حتى ينال القاذف الألم الجسدي جزاء افترائه وإيلامه للمقذوف ، والعقوبة الثانية: معنوية وهي رد شهادته وإسقاط اعتباره بين الناس وإهدار أهليته، وهي عقوبة تتعلق باللسان الذي هو مادة وآلة الجريمة، والعقوبة الثالثة: دينية، فالقاذف فاسق خارج عن طاعة الله. هذا إذا لم يحدث القاذف توبة إصلاحًا لحاله.

والأئمة الفقهاء اتفقوا على أن التوبة لا تسقط عقوبة الجلد، تاب أو لم يتب، كما أنهم اتفقوا على أن التوبة تخرجه من الفسق، واتفقوا أيضًا على رد شهادته قبل التوبة، أما بعدها فقد اختلفوا ، فقال بعضهم: تقبل شهادته بالتوبة، وقال آخرون : لا تقبل شهادته بهذه التوبة أيضًا [١] .

إن شريعة الإسلام لا تعتمد على العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة، وإنما اعتمادها على الضمانات الوقائية التي شرعتها في هذا السبيل ، ومعلوم أن هذه الشريعة إذا حرمت شيئًا حرمت معه الأسباب المؤدية إليه، وفي آيات القذف واللعان في سورة النور سدٌ لبعض النوافذ والسبل التي يمكن من خلالها ـ إذا لم تُسد ـ أن تؤدي إلى الزنى أو أن تشجع بعض النفوس إلى ارتكابه وذلك يتضح من الآتي:

١ ـ إن ترك الألسن تلقي التهم على الأعفاء من الرجال وعلى العفيفات من النساء بدون دليل قاطع، يترك المجال فسيحًا لكل نفس مريضة أن تقذف بريئًا أو بريئة بتلك التهمة النكراء ثم يمضي آمنًا! فيصبح المجتمع ويمسي، وإذا بالأعراض مجروحة، وسمعتها ملوثة ، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج شاك في زوجته، وكل رجل شاك في نسبه، وكل بيت مهدد بالانهيار. إنها حالة من الشك ، والقلق والارتياب لا تطاق،لذلك شرعت أحكام القذف واللعان لسد هذه المنافذ والسبل [٢] .

٢ ـ إن اطراد سماع القذف نوع من إشاعة الفاحشة بتلك الألفاظ والكلمات

---

(١) انظر: ماذا يخشاه المعارضون من الشريعة الإسلامية، الشيخ إبراهيم أحمد الواقفي، دار الصفوة ١٤١٥ هـ.

(٢) ينظر: تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودوي ص ٨٨ ، في ظلال القرآن ٢ / ٦٢ ٦٣ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥ / ٣٣٢ ـ ٣٤٠ .

يوحي إلي بعض النفوس المتحرجة من ارتكابها، أن المجتمع ملوثٌ، وأن فعل الزنا فيه شائع، وأن بمقدور هذه النفوس المتحرجة أن تقدم عليه لأنه ميسور بدليل الأخبار والألفاظ الشائعة على الألسن. وحينئذ تصبح هذه الجريمة في حسٍ أولئك غير بشعة، ولا مستنكرة بكثرة ترددها على الأفواه والشفاه ثم شعورها بأن كثيرين يأتونها؛ لذا جاء هذا التشريع ليضع حدًا لمثل هذه الظواهر المؤدية إلى السوء والفاحشة[1] .

٣ ـ إن العقوبة لوحدها لا تنفع في منع الجريمة إذا ترك المجتمع ، يُمسي ويصبح وهو يتنفس في جو ملوث يوحي بارتكاب الفاحشة، لذا جاءت هذه التشريعات لتطهر البيئة من هذا التلوث ولتحصن النفوس والأسماع وتهيئ جوًا طاهرًا عفيفًا في سمعه وإحساسه، كما هو طاهر في عقيدته وسلوكه،وبهذا توصد أبواب نفسية، وسببية، في وجه الفاحشة.

ثانيًا: يجب أن يعلم المسلمون أن فعلة الزنى إذا لم يشهدها أربعة من الرجال العدول تُعد في تشريع الإسلام هذه الجريمة غير واقعة والمتكلمُ فيها مخطئ شرعًا ويجب عليه السكوت، ولا يجوز له أن يتحدث بها، والمجتمع لا تلحقه خسارة في هذا السكوت عن هذه الفعلة غير المتحققة ـ شرعًا ـ مثل خسارته في شيوع الاتهام، والترخُّص فيه وعدم التحرج من الإذاعة به، وتحريض المتحرجين على ارتكاب تلك الفعلة التي كانوا يستقذرونها، ويظنونها ممنوعة أو نادرة ، وفوق ذلك الآلام الفظيعة التي تصيب الشرفاء والشريفات، وفوق ذلك الآثار التي تترتب عليها حياة الناس وطمأنينة البيوت[2] .

وبعبارة أخرى: إن السكوت عن فعلة الزنى غير المتحققة في نظر الإسلام، يعني ترك القذارة ونتنها في مكانها، والسكوت عنها نوع من ردمها في مهدها ، أما إشاعتها وإذاعتها ففيه إيجادٌ لنوعٍ «من الدعارة على صورة غير مرئية بل في صورة مسموعة، فهذا شخص يتلذذ بالأخبار الصحيحة عن غيره، فإذا بمستمعيه يضيفون إليها ما ليس منها من عند أنفسهم ويزيدونها بشاعة، ويحملونها إلى غيرهم ، وهكذا لا يغمر المجتمع موج من العواطف الشهوانية فحسب. بل ويعلم الذين في قلوبهم مرض أن لهم أن يبلغوا سُؤلهم وينالوا بغيتهم في المجتمع ، فلأجل هذا كله تريد

---

(١) المصادر نفسها.

(٢) ينظر: تفسير سورة النور، د . عبد الهادي التازي ٢١ ، في ظلال القرآن ٦ / ٦٣ .

الشريعة أن تضرب على أيدي هؤلاء عند أول خطوة، وتسد في وجوههم الطريق الذي قد يوصل المجتمع إلى هذا الحد الموبق[١] .

ثالثًا: لذلك كله وصيانة للأعراض من التهجم وحماية لأهلها من الآلام الفظيعة التي يسببها القذف، شدد القران الكريم في عقوبة القذف وجعلها قريبة من عقوبة الزنى وهي:

أ ـ العقوبة البدنية: أن يُجلد القاذفُ الكاذب ثمانين جلدة ، وقد شرع الإسلام هذه العقوبة على أساس محاربة البواعث التي تدعو للقذف ،وهي كثيرة: إشاعة الفاحشة ، والحسد، والمنافسة والانتقام، وإيلام المقذوف وتحقيره، إيلامًا نفسيًا ، فكان جزاء القاذف هو الجلد ليؤلم إيلامًا بدنيًا؛ لأن الإيلام البدني هو الذي يقابل الإيلام النفسي، ولأنه أشد منه على النفس والحس معًا إذ إن الإيلام النفسي هو بعض ما ينطوي عليه الإيلام البدني»[٢] .

ب ـ العقوبة الأدبية: وذلك أن القاذف يقصدُ من وراء قذفه إلى تحقير المقذوف، وهذا التحقير فردي لأن مصدره فرد واحد هو القاذف ، فكان جزاؤه أن يحقر من الجماعة كلها وأن يكون هذا التحقيرالعام بعض العقوبة التي تصيبه فتسقط عدالته وسط المجتمع ولا تقبل له شهادة ويهدر قوله[٣] .

ج ـ العقوبة الدينية: وهي أن يوصم بوصمة الفاسقين، فهو شخص منحرف بمنظور الدين[٤] .

وهكذا حاربت الشريعة الإسلامية الدوافع النفسية الداعية لجريمة القذف، بالعوامل النفسية المضادة التي تستطيع وحدها التغلب على الدوافع الداعية للجريمة وصرف الإنسان عنها، فإذا فكر شخص أن يقذف آخر ليؤلم نفسه ويحقر شخصه، وذكرَ العقوبة التي تؤلم النفس والبدن، وذكر التحقير الذي تفرضه عليه الجماعة، صرفَهُ ذلك عن الجريمة ،وإن تغلبت العوامل الداعية إلى القذف مرة على العوامل الصارفة عنه، فارتكبه كان فيما يصيب بدنه ونفسه من ألم العقوبة، وفيما يلحق شخصه من

---

(١) ينظر: تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودوي ص ٨٨ .

(٢) التشريع الجنائي الإسلامي ١ / ٦٤٦ ، وينظر أيضًا: في ظلال القرآن ٦ / ٦٣ .

(٣) المراجع نفسها.

(٤) المراجع نفسها، وينظر أيضًا: تفسير سورة النور، د. عبد الهادي التازي ٢ .

تحقير الجماعة له، ما يصرفه نهائيًا عن التفكير فيه، فضلاً عن العودة لارتكابه ثانية[1].

رابعًا: إن عقوبتي رد الشهادة والتفسيق، تبقيان مسلطتين فوق رأس القاذف إلى أن يتوب، وشرطُ التوبة هذه «أن يعترف على نفسه أنه قال البهتان فيما قذف، ففي هذا إعلان ببراءة المقذوف باعتراف مباشر من القاذف نفسه، وبذلك يمحى آخر أثر للقذف ولا يقال : إنه إنما وقع الحد على القاذف لعدم كفاية الأدلة، ولا يحيك في أي نفس ممن سمعوا الاتهام أنه ربما كان صحيحًا، ولكن القاذف لم يجد بقية الشهود وبذلك يبرأ العرضُ المقذوفُ تمامًا ويردُّ إليه اعتباره من الوجهة الشعورية بعد رده من الوجهة التشريعية فلا يبقى هنالك داع لإهدار القاذف المحدود التائب المعترف بما كان من بهتان[2] ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٥] .

خامسًا: الزوجة الأمينة هي التي تقدر زوجها في غيبته كما تحترمه في حضوره، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤] وهي بعلمها هذا تؤدي واجبًا شرعيًا عظيمًا ، إن الزوجة خلقها الله لتكون أرهف سلاح يقاوم به الزوج عقبات الزمن فيهزمها ، ويواجه صعاب العيش فيهدمها، فما ظنك به يجدها سيئة السلوك؟ هذا وإن الشارع الحكيم الذي يقدر غيرة الزوج، والذي يبنى حكمه الفصل على أساس العدل، وسد الذريعة في آن واحد، لم يجعل شهادة الزوج موجبة للقتل فيفوت النظر لها، بل جعل شهادات كل منهما دائرة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية. لكن يحسن أن يتذكر كل واحد منهما أن الأمر سينجلي، وأن الفضيحة ستكون على ملأ من جميع الخلق[3] قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩ ـ ١٠] .

سادسًا: إن سياق آيات الزنى، والقذف، واللعان، ينبئ ويشير بوضوح تام أن هذه العقوبات والتشريعات، يجب أن تكون هي نظامُ وقانون دولة الإسلام .

فلسفة العقوبة: الملاحظ أن شريعة الإسلام قد وضعت لجريمة القذف عقوبة شديدة على النفس والحس في آن واحد، وفي ظني أنها أشد من عقوبة الزنى نفسه

---

(١) ينظر : التشريع الجنائي الإسلامي ١ / ٦٤٦ .

(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٦٤ .

(٣) سورة النور، د. عبد الهادي التازي المغربي ص ٥٢ .

وما ذلك إلا لأن جريمة القذف لا يقتصر ضررها على المقذوف فقط، بل يتعدى ضررها وشرها إلى كل من:

١ ـ المقذوف فيلحقه العار والتجريح من جراء اتهامه بفعلة الزنى.

٢ ـ المجتمع إذ القذف من أسباب نشر وإشاعة الفاحشة سماعًا وقولاً.

٣ ـ وهي باب من أبواب الكذب الشنيع الذي يسبب آلامًا عظيمة للأنفس وللأعراض ولذلك جاءت عقوبتها في الشريعة الغراء بإزالة آثارها وذلك يتحصل بالآتي:

أ ـ يدفع العار والتجريح عمن اتهم بفعلة الزنى، بجلد قاذفه ثمانين جلدة.

ب ـ وبالمنع من نشر وإشاعة الفاحشة قولاً وسماعًا بإسقاط اعتبار القاذف في المجتمع فلا تقبل له شهادة مستقبلاً لا تحملاً ولا أداءً.

ج ـ وبمعاقبة الكاذب في هذا المجال بهذه العقوبة الخاصة، مع وصمه بصفة الفسق.

وفي ضوء هذه المعاني يتضح جليًا أن حد القذف حق لله تعالى فيه شائبة لحق العباد وهذه الجريمة من حيث آثارها شبيهة بجريمة السرقة.

أ ـ والأصل في عقوبة القذف هي قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور:٤] الآية ، وفي ضوء هذه الآية فإن أغلب أهل العلم متفقون على أن من شهد على زنى شخص، ولم يكتمل عدد الشهود بأن كانوا أقل من أربعة رجال عدول فعليهم جميعا حد القذف وإلى هذا ذهب الحنابلة والشافعي ومالك والحنفية والجعفرية [١] .

وهذا الحكم الفقهي يعني أن حد القذف يقام على هؤلاء ولو كانوا صادقين في نفس الأمر، منعًا من نشر الفاحشة وإشاعتها. قال المودودي : « إن جريمة الزنى إذا لم تثبت بشهادة الشهود يجب أن يقام عليهم حد القذف» [٢] .

---

(١) ينظر: المغني ٩ / ٦٦ ـ ٦٧، قوانين الأحكام الشرعية ص ٣٨٥، النهاية للطوسي ٦٨٩، المفصل في أحكام المرأة ٥ / ١٠٠ .

(٢) تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودودي ص ٦٤ .

ب - ثبت في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ قد عزم على جلد هلال بن أمية عندما رمى زوجته بشريك بن سحماء [١] ، وقال لهلال: «البينة وإلا حد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل اللعان»[٢] .

* * *

(١) شريك بن سحماء: هو شريك بن عبدة بن معتب أو مغيث بن الجلد بن العجلان حليف الأنصار: وسحماء بتقديم السين على الحاء اسم أمه وهي حبشية أو يمانية أو أمة سوداء ، ينظر: أسد الغابة ٢ / ٥٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٧١).

ثالثا : عقوبة الزنى :

أولا: مفاسد الزنى:

لما كان الإسلام يسعى إلى القضاء على الانحراف فإنه حرم الزنى وأمر بغض الأبصار.

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٢].

يقول الأستاذ/ سيد قطب :

« قد توسط النهي عن الزنى بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس.

ذلك أن في الزنى قتلا من نواحي شتى.

أنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها يتبعه غالبًا الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق، أو بعد أن يتخلق قبل مولده أو بعده فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة، أو حياة مهينة.

وهو قتل في صورة أخرى قتل للجماعة التي يفشو فيها فتضيع الأنساب وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها لتنتهي إلي ما يشبه الموت بين الجماعات.

وهو قتل للجماعة من جانب آخر إذ إن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها.

وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال، والقرآن يحذر من مجرد مقاربة الزنى وهو مبالغة في التحرز ؛ لأن الزنى تدفع إليه شهوة عنيفة، فالتحرز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان. ومن ثم يأخذ الإسلام الطريق على أسبابه الدافعة، توقيًا للوقوع فيه فيمنع الاختلاط في غير ضرورة ويحرم الخلوة وينهي عن التبرج بالزينة ، ويحض على الزواج لمن استطاع ، ويوصي بالصوم لمن لا يستطيع ويكره الحواجز التي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور، وينفي الخوف من العيلة والإملاق بسبب الأولاد ، ويحض علي مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم . ويوقع أشد العقوبة على الجريمة حين تقع ، وعلى رمي المحصنات الغافلات دون برهان إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردي والانحلال » [١] .

---

(١) في ظلال القرآن (٤ / ٢٢٢٣ ـ ٢٢٤)، بتصرف.

ويقول الإمام الفخر الرازي:

«اشتمل الزنى على أنواع من المفاسد:

أولها: اختلاط الأنساب واشتباهها فلا يعرف الإنسان أن الولد الذي أتت به الزانية أهو منه أو من غيره فلا يقوم بتربيته، ولا يستمر في تعهده وذلك يوجب ضياع الأولاد، وانقطاع النسل وخراب العالم.

ثانيها: أنه إذا لم يوجد سبب شرعي لأجله يكون هذا الرجل أولى بهذه المرأة من غيره لم يبق في حصول ذلك الاختصاص إلا التواثب والتقاتل ، وذلك يفضي إلى فتح باب الهرج والمرج والمقاتلة، وكم سمعنا وقوع القتل الذريع بسبب إقدام المرأة على الزنا.

ثالثها: إن المرأة إذا باشرت الزنى وتمرست عليه يستقذرها كل طبع سليم، وكل خاطر مستقيم وحينئذ لا تحصل الألفة والمحبة ولا يتم السكن والازدواج ، ولذلك فإن المرأة إذا اشتهرت بالزنى تنفر عن مقارنتها طباع أكثر الخلق.

رابعًا: أنه إذا انفتح باب الزنى فحينئذ لا يبقي لرجل اختصاص بامرأة ، وكل رجل يمكنه التواثب على امرأة شاءت وأرادت، وحينئذ لا يبقي بين نوع الإنسان وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب.

خامسها: أنه ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة بل أن تصير شريكة للرجل في ترتيب المنزل وإعداد مهماته من المطعوم والمشروب والملبوس، وأن تكون ربة البيت وحافظة للباب وأن تكون قائمة بأمور الأولاد، وهذه المهمات لا تتم إلا إذا كانت مقصورة الهمة على هذا الرجل الواحد، منقطعة الطمع عن سائر الرجال، وذلك لا يحصل إلا بتحريم الزنى وسد هذا الباب بالكلية.

سادسها: أن الوطء يوجب الذل الشديد، ولما كان الوطء ذلاً كان السعي في تقليله موافقًا للعقول .

فاقتصار المرأة الواحدة على الرجل الواحد سعي في تقليل ذلك العمل.

وأيضًا ما فيه من الذل يصير مجبوراً بالمنافع الحاصلة في النكاح، أما الزنى فإنه فتح باب لذلك العمل القبيح ولم يصر مجبوراً بشيء من المنافع فوجب بقاؤه على أصل المنع والحجر فثبت بما ذكرنا أن العقول السليمة تحكم على الزنى بالقبح.

وقد وصف الله الزنى بصفات ثلاثة: كونه فاحشة، ومقتًا، وساء سبيلاً أما كونه فاحشة فهو إشارة إلى اشتماله على فساد الأنساب الموجب لخراب العالم وإلى اشتماله على التقاتل والتواثب على الأعراض وهو أيضًا يوجب خراب العالم.

وأما المقت: فإن المرأة تصير ممقوتة مكروهة وهذا يوجب عدم حصول السكن والازدواج وأن لا يعتمد الإنسان عليها في شيء من مهماته ومصالحه.

وأما أنه ساء سبيلاً ، فهو أنه لا يبقى فرق بين الناس وبين البهائم في عدم اختصاص الذكران بالإناث، ويبقى أيضًا ذلك هذا العمل وعيبه وعاره على المرأة من غير أن يصير مجبوراً بشيء من المنافع» (١) .

ثانيًا : التنفير من الزنى :

قال الله تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

يقول الأستاذ/ سيد قطب :

«إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات، ولا تستثار فيه الغرائز، فعمليات الاستثارة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي . والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة والزينة المتبرجة لا تصنع شيئًا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون ، وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة، وهي تكاد أن تكون عملية تعذيب وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليمًا وبقوته الطبيعية، دون استثارة مصطنعة، وتصريفه في موضعه المأمون النظيف ،

(١) التفسير الكبير / مفاتيح الغيب ، الإمام الرازي، ١٠ / ٧٢ ـ ٧٤ ، دار الغد العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ـ ١٤١٣ هـ.

ولقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث المطلق، والاختلاط الميسور، والدعابة المرحة بين الجنسين، والاطلاع علي مواضع الفتنة المخبوءة . شاع أن كل هذا تنفيس وترويح ، وإطلاق للرغبات الحبيسة، وما وراءه من اندفاع غير مأمون شاع هذا على إثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة علي تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرقه عن الحيوان، وفي الآيتين نماذج من تقليل فرص الاستثارة والغواية والفتنة من الجانبين.

وغض البصر من جانب أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام كما أن فيه إغلاقًا للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية، ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم، وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة ويقظة الرقابة ، والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى، ومن ثم يجمع بينهما في آية واحدة، بوصفهما سببًا ونتيجة ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] فهو أطهر لمشاعرهم، وأضمن لعدم تلوثها بالانفعالات الشهوية في غير موضعها المشروع النظيف، وهو أطهر للجماعة وأصون لحرماتها وأعراضها ، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة ، أو الهاتفة المثيرة، تستثير كوامن الفتنة في صدور الرجال ولا يبحن فروجهن إلا في حلال طيب، يلبي دعوة الفطرة في جو نظيف ، لا يخجل الأطفال الذي يجيئون عن طريقة عن مواجهة المجتمع والحياة » (١) .

ويقول الفخر الرازي :

«إنما خص الله المؤمنين بذلك لأن غيرهم لا دين يُلزمُه غض البصر عما لا يحل له، وحفظ الفرج عما لا يحل له؛ لأن هذه الأحكام كالفروع للإسلام والمؤمنون مأمورون بها ابتداء»، ثم يقول: « واعلم أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة الأجنبية . وذكر لذلك بعض القيود ومنها أنه لا يجوز أن يتعمد النظر إلى وجه الأجنبية لغير غرض شرعي وإن وقع بصره عليها بغتة يغض بصره .

لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ولا يجوز أن يكرر النظر إليها.

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) في ظلال القرآن، مرجع سابق ٤ / ٢٥١٢ بتصرف.

ولقوله عليه السلام لعلي: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**» [١] .

ومن القيود التي ذكرها ألا ينظر إليها بشهوة فذاك محظور قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، أدرك ذلك لا محالة فزنى العين النظر ، وزنى اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه**» [٢] «ويحفظوا فروجهم» أي يحفظ الرجال فروجهم ويحفظ النساء فروجهن عما لا يحل فهذا أطهر وأزكى لهم ولهن وبذلك يستحقون الثناء والمدح» [٣] .

الأدلة من السنة :

بلغ التنفيرمن الزنا حد لم يبلغه التنفير من غيره من الآثام حتى عد الزاني مسلوب الإيمان حين زناه.

١ ـ عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن**» [٤] .

٢ ـ وعن أبي أمامة قال: إن فتى من الأنصار أتي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى ، فأقبل القوم عليه فزجروه فقال: « مه مه». وقال: «ادنه» فدنا منه قريبًا قال: اجلس فجلس قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: « **أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداك ، قال: « **ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال:« **أفتحبه لعمتك؟** » قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: « **ولا الناس يحبونه لعماتهم**» قال: « **أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: « **ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال : فوضع يده عليه وقال : «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء**»[٥] .

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وحسنه الألباني.
(٢) أخرجه البخارى (٦٢٤٣) ، ومسلم (٢٦٥٧ / ٢٠) .
(٣) التفسير الكبير، مرجع سابق، (١١ / ٥٣٢ ـ ٥٣٤) بتصرف.
(٤) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧ / ١٠٠).
(٥) سبق تخريجه.

ثالثًا : تقرير عقوبة شديدة على الزناة :

بعد أن وضع الإسلام وسائل الوقاية من الوقع في الزنى وأخذ عليه المسالك كان من وقع في الزنى بعد ذلك إنسانًا شاذًا يستحق أقصى العقوبات.

قال الله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢].

يقول الأستاذ / سيد قطب:

«هذه الآية بيان لحد الزنى ، وتفظيع لهذه الفعلة التي تقطع ما بين فاعليها وبين الأمة الإسلامية من وشائج وارتباطات والقرآن يذكر هنا حد غير المحصن وحده فيشدد في الأخذ به دون تسامح ولا هوادة ويؤكد على الصرامة فيه ، وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمهما وعدم تعطيل الحل أو الترفق في إقامته أو التراخي في دين الله، وحقه وعلى ضرورة إقامة الحد في مشهد عام تحضره طائفة من المؤمنين ليكون أوجع وأوقع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين».

ويقول الفخر الرازي:

«إن الزنى حرام وهو من أكبر الكبائر ويدل عليه أمور:

١ ـ إن الله عز وجل قرنه بالشر وقتل النفس في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨].

٢ ـ إنه تعالى أوجب المائة فيها بكمالها بخلاف حد القذف وشرب الخمر، وشرع فيه الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة فيه وأمر بشهود الطائفة للردع والزجر ، وأوجب كون تلك الطائفة من المؤمنين؛ لأن الفاسق من صلحاء قومه أخجل.

٣ ـ ما روي عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال سألت النبي ﷺ: «**أي الذنب أعظم عند الله ؟**» قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت : ثم أي؟ قال : «**وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**» (١) (٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦ / ١٤١).

(٢) التفسير الكبير ١٢ / ١٣٢ بتصرف.

ويقول الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب:

«هذا التعبير الإلهي يلفت السامع إلى أن حكمًا ما سيقع عليهما أو قولاً سيقال فيهما.. وبهذا تصغى الأسماع وتتطلع النفوس إلى هذا الحكم ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور:٢] ها هما قد أصيبا بهذا الداء الخبيث وإنه لكي تدفعوا عن أنفسك شر هذا الداء ﴿ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

إذ لستم أنتم أرأف بالناس من رب الناس.

﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى أن الجريمة ينبغي أن يكون عقابها علنًا بمحضر من الناس؛ ليكون في ذلك خزي للجاني ، وتحذير لغيره من أن يأتي هذا المنكر، ويقع تحت سياط العذاب وعلى أعين الناس..

وهذه الجريمة ينكرها الناس جميعًا،وتنكرها كذلك الفطر الزاكية، وذلك لما في هذه الجريمة من عدوان على حقوق الأزواج، ومن اختلاط الأنساب ، وحل روابط الأسر، وقطع ما بين الآباء والأبناء من تعاطف وتراحم وإيثار..

فالمؤمن ينبغي أن يكون في حصانة من دينه ، وفي يقظة دائمة من مراقبة ربه، وتوقي العدوان على حدوده، فإذا غلبت المؤمن شهوة في هذه الحال، وأغواه شيطانه فاستغوى، وركب طريق الفاحشة، فإنه ملوم مذموم ولكن شتان في هذا بين المحصن وغير المحصن في موقف الحساب والجزاء على تلك الفعلة المنكرة » (١) .

الأدلة من السنة :

إن الزنى في نظر الإسلام جريمة من أبشع الجرائم ومنكر من أخبث المنكرات ولذلك كانت عقوبته شديدة صارمة؛ لأن في هذه الجريمة إهدار للكرامة الإنسانية وتصديعًا لبنيان المجتمع.

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » (٢) .

---

(١) التفسير القرآني، عبد الكريم الخطيب ١٨ / ١٢٠١ ـ ١٢٠٦، طبعة دار الفكر العربي بتصرف.

(٢) أخرجه البخارى (٦٨٧٨) ، ومسلم (١٦٧٦ / ٢٥) .

٢ ـ وعن أبي هريرة وزيد بن خالد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس فقال: يا رسول الله، اقض بكتاب الله ، فقام خصمه فقال: صدق ، اقض له يا رسول الله بكتاب الله، إن ابني كان عسيفًا أجيرًا ـ على هذا فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم فافتديت بمائة من الغنم ووليدة ، ثم سألت أهل العلم، فزعموا أن ما علي ابني جلد مائة وتغريب عام، فقال : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: أما الغنم والوليدة فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وأما أنت يا أنيس فاغد على امرأة هذا فارجمها ، فغدا عليها أنيس فرجمها »[1] .

الآثار:

إن الزنى من الكبائر التي أعد الله لأصحابها النار إذا هم لم يتوبوا منها، وإن الواجب على المؤمن الحق أن يكون خائفًا من الله عز وجل عندما تحدثه نفسه بارتكاب هذه الكبيرة أو أمثالها من الكبائر ، فإن الخوف من الله هو العاصم من ارتكاب المآثم، وهو المنجي من عقاب الله يوم الدين.

١ ـ عشق بعض العرب امرأة وأنفق عليها أموالاً كثيرة حتى مكنته من نفسها فلما جلس بين شعبتيها وأراد الفعل ألهم التوفيق ففكر ثم أراد القيام عنها فقالت له: ما شأنك؟! فقال: إن من يبيع جنة عرضها السموات والأرض بقدر فتر لقليل الخبرة بالمساحة ثم تركها»[2] .

٢ ـ ووقع لبعض الصالحين أن نفسه حدثته بفاحشة وكان عنده فتيلة فقال لنفسه: يا نفس إني أدخل أصبعي في هذه الفتيلة فإن صبرت على حرها مكنتك مما تريدين. ثم أدخل أصبعه في نار الفتيلة حتى أحست نفسه أن الروح كادت تزهق منه من شدة حرها في قلبه وهو يتجلد على ذلك ويقول لنفسه: هل تعتبرين؟! وإذا لم تصبري على هذه النار اليسيرة التي طفئت بالماء سبعين مرة حتي قدر أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفًا فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٥)، ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨ / ٢٥).

(٢، ٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، للهيثمي ٢ / ١١٦ .

٣ ـ ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي:

«إن الحد الذي شرعه الإسلام للعصاة هو وقاية المسلم العادل المصلح من ضراوة عضو فيه يقابل عدالتها بالظلم، ويقابل إصلاحها بالفساد، وإن الحدود على الجرائم الخلقية لم تشرع إكراهًا على الفضيلة وإلجاء الناس ـ بطريق القسوة ـ إلى اتخاذ المسالك الحسنة.

فالطريقة المثلى لدى الإسلام هي خطاب القلب الإنساني واستشارة أشواقه الكامنة إلى السمو والكمال ، ورجعُهُ إلى الله بارئه الأعلى. بأسلوب من الإقناع والمحبة ، وتعليقه بالفضائل الجليلة على أنها الثمرة الطبيعية لهذا كله.

ويجب التحكم في ظروف البيئة التي تكتنف الإنسان حتى تُعينه على إنضاج المواهب والسجايا المحسنة»[١] .

والنظرة التي بها ينظر الإسلام إلى فعله الزنى هي أنه إذا أطلق عنان الناس لإتيانها متى شاءوا ، فإنها لا تلبث أن تستأصل شأفة نوع الإنسان وتمدنه معًا. فمما يستلزمه الإبقاء على نوع الإنسان وتمدنه، أن تكون هذه العلاقة بين الرجل والمرأة محدودة إلى علاقة قابلة للاعتماد عليها حسب القانون ، ولا يمكن أن تكون هذه العلاقة محدودة ما دام المجال واسعًا معها للعلاقة الحرة، فإن الناس إن كان من الميسور لهم أن يقضوا شهواتهم بدون أن يتحملوا أعباء الحياة العائلية وتبعاتها، لا يمكن أن يرجي منهم بحال أن يرضوا بتحمل هذه الأعباء والتبعات لمجرد قضاء هذه الشهوات نفسها.

عقوبة زاجرة :

من هنا كانت العقوبة التي حددها الإسلام للخطيئة كاشفة عن استقباحه لها على كل حال. . . سواء تعلق بها حق من حقوق الغير أم لم يتعلق . . ولكنه يفرق في تلك العقوبة بين حالة الإحصان وهو سبق الزواج الصحيح لمرتكب الفاحشة وعدم الإحصان . فيجعل العقوبة لغير الحصن: أن يجلد مائة جلدة موجعة وسط جمع من المؤمنين ، ثم ينفي عن البلد الذي ارتكب فيه خطيئته، فيغرب سنة، إبعادًا له عن الجو الذي استولت عليه فيه وساوس الشيطان ، فربما استرد عفافه وعاد إلى الاستقامة والرشاد.

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ١٧، مكتبة نهضة مصر، ٢٠٠٤ م.

يقول الله سبحانه: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ [النور: ٢] .

ونلمس في هذه الآية استثارة شعور الاستقذار والاستنكار لتلك الجريمة الشنيعة، في ربط تنفيذ هذه العقوبة بالإيمان بالله واليوم الآخر: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ .

فالإيمان بالله واليوم الآخر يقتضي استقامة على المنهج الخلقي والاجتماعي الذي ارتضاه الله سبحانه للحياة، والذي جعله كفيلاً بتحقيق الحياة الطيبة التي هي جزاء المؤمنين في الدنيا.

أما اشتراط شهود طائفة من المؤمنين لهذا العذاب الذي ينزل بالخاطئين: فليكون ذلك إقرارًا من المجتمع بأن هذه عقوبة من يغشي ما حرم الله.. وأنه لا استنكار لهذا العذاب ولا رحمة بالخاطئين تحميهم من العقوبة، بل لا رأفة ولاعذر، فقد كانت أمامهم سبل الحلال الطيب لو أرادوا ، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ؛ لأن تطبيق هذه العقوبة رحمة بالمجتمع كله وأمان من تلوثه كله بأوباء الخطايا وما تشيعه من دمار.

أما عقوبة التغريب لغير المحصن فقد وردت في السنة الصحيحة، في قوله ﷺ: «**البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة**»(١) .

بل إن الإسلام ليرى عزل من تدنسوا بالخطيئة من الرجال والنساء عن غيرهم من الأعفاء الطاهرين ، فلا يبيح للرجل العفيف أن يتزوج امرأة هوت إلى حمأة الخطيئة؛ لأن في ذلك التحريم حماية له من فساد الأعراض، فقد كان بالمدينة بغايا مشركات وكانت لهن أموال ، فرغب بعض الفقراء من المهاجرين في نكاحهن ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فلم يأذن لهم وذلك حين نزل قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

وتلك عقوبة أخرى ، تضع هؤلاء الخاطئين بعيداً عن حياة المجتمع العفيف، ليكون ذلك زاجراً آخر عن التدني إلى هذا العمل القبيح.

وقد جعل الإسلام عقوبة المحصن إذا ارتكب تلك الخطيئة : أن يسلب حق

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٠ / ١٢).

الحياة.. فيقتل قتلة مؤلمة له: رجمًا بالحجارة .. وقد وردت تلك العقوبة في السنة، من فعل رسول الله ﷺ ، وفعل أصحابه من بعده كما جاء في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد خلافته وهو على منبر رسول الله ﷺ .

«إن الله قد بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب ـ فكان مما أنزل آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»[1] .

وقد يرى قوم من الذين لا يدركون حكمة الإسلام في تشريعه أن هذه عقوبة قاسية، تقضي على الإنسان بالموت جزاء زلة وقع فيها!

ولكن الله سبحانه الخبير بعباده عليم بشأن هذا الإنسان الذي أبيحت له الطيبات، والذي وجد من الحلال ما يفي بحاجته ، ثم لم يقف عند حد الحلال، بل تعداه إلي الحرام، لن يقف في عدوانه عند حد، ولن يقنع من الخطيئة بشيء مهما نال ، فلا يزال جرثومة داء تنشر في المجتمع كله العوج والاختلال، ولو كان سليم الفطرة لما تجاوز الحلال إلى الحرام، ولما رأى في فوضى الغريزة سبيلاً يتبع ، بعد أن قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٢٢]. .

ومن هنا يحسم الإسلام الأمر بالقضاء على هؤلاء المعتدين الذين لا يقنعهم شيء في أمر الشهوات مهما كان. ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧].

إن هذه الغرائز التي انطلقت من عقال الفضيلة، وتخلت عن مبادئ الإيمان لمن تدع المجتمع حتى تشقيه كله، وتسلب منه العفاف والاستقامة .. أفلا يكون من الرحمة تنقيته منها وحمايته من شرورها؟ ثم أليس في تلك العقوبة الزاجرة ما يذود كل من يسول له هواه الانفلات من ضوابط الإيمان وأخلاقه، وهو يعلم أنه إن فاتته العقوبة في الدنيا، فلن تفوته العقوبة الهائلة يوم القيامة كما جاء في الحديث النبوي الصحيح: **«فمن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه، فهو إلى الله إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه»**[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١ / ١٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٨).

وقد ورد في العذاب الشديد لغير التائبين في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

لقد كان الحسم والزجر في عقوبة الفوضى في سلوك الغريزة، ضرورة اجتماعية نظر فيها إلى حماية الفرد ذاته ، وقد كان على الأمة الإسلامية أن تستمسك بشريعتها وأن تتبع نهج الإسلام في الحفاظ على كيان المجتمع .

رابعًا : حكمة تشديد عقوبة الزنى :

قد يتساءل البعض ويقول: إذا كانت جريمة الزنى يتعذر إثباتها بالشهود وكذا بالحبل ويقتصر إثباتها على الإقرار فقط، ووجوب المقر، يكاد يكون معدومًا وبخاصة في هذه العصور، فما فائدة التشريع بجلد الزاني مائة جلدة إذا كان غير متزوج وبرجمه إن كان متزوجًا، على جريمة متعذرة الإثبات ومستحيلة التطبيق عادة البينة؟ وللإجابة عن ها الاعتراض نقول: إن الله تعالى اقتضت حكمته ورحمته بخلقه أنه يحيط إثبات جريمة الزنى بضمانات قوية لا يتطرق إليها الشك ، ولا ترتفع نحوها الريبة حتى لا يكون فيها مجال للكيد والدس، والتآمر، والأحقاد، والانتقام من الأبرياء، فهي الجريمة التي تصل عقوبتها إلى الرجم، كما تقتل الحيوانات المتوحشة والكلاب المسعورة على ملأ من الناس ، فلو كان إثبات هذه الجريمة هينًا وميسورًا ولم تحط بهذه الضمانات لكان ذلك فوضى في التشريع وتعطشا لسفك الدماء، ولسهل على أي حاقد متآمر أن يغري معه ثلاثة من الشهود يشهدون معه على شخص بريء من الزنى ، فيقام عليه حد الرجم إذا كان متزوجًا، ويتخلص منه بهذه السهولة بدلاً من إقدامه على قتله بنفسه وتعريضه للقصاص والإعدام .

ومن أجل القضاء على هذه الوسائل الكيدية والمؤامرات وضع الشارع الحكيم شروطًا وضمانات تجعل إثبات جريمة الزنى بالبيئة شبيها بالمستحيل أو هو المستحيل بعينه.

ولا يفهم من ذلك رحمة من الشارع بالزناة بإسقاط العقوبة عنهم، فإن الحد إذا سقط بالشبهة نهائيًا وبغير بديل، وإنما تنقلب العقوبة إلى التعزير، وهو عقوبة مفوضة إلى رأي القاضي ليوقع على المجرم ما يراه من العقاب الزاجر الكفيل بردعه وزجره، وقد يصل هذا التعزير إلى القتل حسب ما يراه القاضي.

وأيضًا فإن العقوبة الدنيوية إذا سقطت فإن عقوبة الآخرة أشد نكالاً وإيلامًا . إن الإسلام لا يقيم بناءه على العقوبات فحسب، وإنما يقيمه علي تهذيب النفوس وتطهير الضمائر وعلى مراقبة الله في السر والعلن ، والخشية من سخطه، واجتناب المعاصي بمجرد النهي عنها والتحذير منها في كتاب الله وسنة رسوله ، فالمؤمن الصادق يتجنب هذه الفاحشة بمجرد سماعه لقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٢] ويكفيه التهديد بالعقوبة والتلويح بالزواجر.

إن المؤمن إذا فكر في اقتراف هذه الفاحشة يتخيل أمامه طائفة من الناس في يد كل واحد منهم حجراً يقذفه به حتى يموت موتة الكلاب المسعورة أو يجلده الجلاد مائة جلدة، وتلصق هذه الفضيحة باسمه وتاريخه وتتلطخ بها سمعته وسمعت أسرته، ويشير الناس إليه وإلى أولاده وأحفاده من بعده، مهما تقادمت الأزمنة ويقولون: هؤلاء أولاد المرجوم أو المجلود فلان بن فلان، وتكون هذه السقطة نقطة سوداء في تاريخ الأسرة ويخجل كل منتسب إليها.

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وهو الجريمة الوحيدة التي نهى الله فيها المؤمنين عن الشفقة والرأفة بفاعلها، وجعل العطف عليه ينافي الإيمان بالله واليوم الآخر، كما أنها الجريمة الوحيدة التي أوجب الله أداءها في علانية، أمام طائفة من المؤمنين، لإعلان فضيحة المجرم وتحقيره، وخزيه، وللاعتبار بحالة والزجر والتحذير من مثل فعله، فقال سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وأخبر سبحانه أن الزاني من طبيعته ألا يرغب إلا من كانت زانية مثله أو مشركة، فالطيور على شاكلتها تقع، وكذا الزانية لا يرغبها ولا يتزوجها إلا من كان مثلها، حتى ذهب بعض الفقهاء إلى القول بتحريم وبطلان زواج الزاني بالمرأة العفيفة، أخذًا بظاهر قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

والرسول ﷺ ينفي الإيمان عن الزاني ، حين تلبسه بالزنى، فقد ورد في

الصحيحين البخاري ـ ومسلم ـ وغيرهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزانى حين يزني وهو مؤمن**» (١) .

من أجل ذلك شدد سبحانه العقوبة على الزنى ، فجعلها الرجم للمحصن، والجلد مائة جلدة لغيره؛ ليكون ذلك وسيلة واقية من الوقوع فيه، وصداً لكل من تحدثه نفسه به.

فالزاني المحصن عقابه الرجم بالحجارة وتزهق روحه شيئًا فشيئًا، مع كل حجر يرمي به فكأنه يموت عدة موتات ، فيزداد ألمًا وعذابًا ، وتلحق فضيحته بأولاده وأحفاده من بعده، فإذا رأى الناس أحداً من الأسرة أشاروا إليه وقالوا: هذا حفيد المرجوم فلان، وليست جريمة الزناأقل إجرامًا من بعض القضايا التي تحال على القضاء العسكري، حتى يتطهر المجتمع من هذه الفاحشة .

* * *

(١) سبق تخريجه.



الخاتمة والتوصيات



الخاتمة والتوصيات

عوامل كثيرة أدت إلى فقدان قيم العفاف فى قطاع من المجتمعات الإسلامية ، منها : البعد عن الدين ، الانفتاح الإعلامى ، تقليد الغرب ، انتشار وسائل الإغراء، سهولة الحصول عليها ، والوسائل الحديثة من القنوات الفضائية والإنترنت . . .

ولا نستطيع تحميل المسؤولية لجهة واحدة ، فهذه المسؤولية تبدأ من الأهل والبيت وتنتقل إلى المدرسة والرفقة السيئة ، لتصل إلى الإعلام المضلل وتنتهى بالدولة ، وهؤلاء يشتركون فيما وصل إليه الأمر من فساد ، فالأهل الذين يتهاونون أمام انحراف أولادهم ويعجزون عن مواجهتهم بعد أن أساءوا تربيتهم على قيم الفضيلة فى السابق . يتحملون جزءاً كبيراً من هذا التقصير .

كما أن المدرسة التى اختارها الأهل تساهم فى هذا الفساد عندما تعجز عن فرض قوانين العفة فى صفوف تلاميذها ، وعندما تسمح بالانفلات الأخلاقى بين أسوارها.

أما وسائل الإعلام وما تقدمه من مواد فاسدة للشباب ، وما تروج له عبر مسلسلاتها وإعلاناتها من مفاهيم تدعو إلى الإباحية والخلاعة والمجون ، فتتحمل جزءاً لا يستهان به من هذه المسؤولية .

وأخيراً الدولة فهي تتحمل المسؤولية الأساسية عن هذه التقصير ، ليس فقط لأنها عاجزة عن فرض قوانين العفة ، بل لأنها على العكس من ذلك تعمل على إلغاء بعض قوانين التى كانت تجرِّم مرتكبى الفساد .

ووسائل إحياء قيم العفاف والفضيلة مرة ثانية تكون بتضافر الجهود الفردية والجماعية والعمل على غرس الوازع الدينى فى أوساط الناس ، وإحياء سنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسن القوانين المحلية التى تفرض العقوبات على الإخلال بالآداب ، والتربية الأسرية والمدرسية، والصحبة الصالحة ، وما إلى ذلك من وسائل تفيد فى إحياء قيم العفاف والفضيلة .

ومن أهم الوسائل المساهمة فى إشاعة منهج العفاف : التربية الإيمانية وزرع خشية الله فى النفوس ، وتطبيق آداب الحياء مثل : غض البصر والاستئذان ، والبعد عن المثيرات الجنسية ؛ كالتبرج واللباس الفاضح ، والابتعاد عن أماكن اللهو ، والامتناع

عن مشاهدة الصور الفاضحة ، واستخدام الإنترنت إلا فى الأمور المباحة ، والتشجيع على الزواج المبكر .

وفى الختام : أذكر كل فتاة تعرض جسدها على الطرقات بأن تتقى الله وتخشى عقابه ، ومن الضرورى أن تعرف الفتاة بأنها بتصرفاتها هذه تعرض نفسها للخطر من بعض المنحرفين ، فمعظم مرتكبى جرائم الاغتصاب يدَّعون بأن اللباس الفاحش كان الدافع وراء ارتكابهم للجرائم ، فعلى كل فتاة أن تعرف أن مفتاح العفة بيدها ، وبعفتـها تحمى نفسها بالدرجة الأولى ، ثم تحمى المجتمع من جرائم الإباحية والاغتصاب .

وأذكر الشباب بدورهم الأكبر فى عدم الاستجابة لهذه المغريات التى تعرض أمامهم ، وأكبر نموذج على عفة الشباب ، عفة سيدنا يوسف عليه السلام الذى رفض عرض صاحبة البيت ذات الجمال والسلطان التى حاولت أن تغويه ، وفضل السجن على الاستسلام لهذا الإغواء .

وأذكر القائمين على وسائل الإعلام بمسئوليتهم المباشرة عما يعرض على شاشاتهم وما يكتب فى صفحات مجلاتهم ، فالزنى لا يكون بالفعل فقط ، بل إن للزنى أبوابًا متعددة ، فالمطلوب الامتناع عن إذاعة كل ما يمس الآداب العامة ، والحث على عرض قيم الأخلاق والعفة .

وعلى كل مسؤول أن يدرك أهمية الأخلاق فى بقاء المجتمعات ونهوض الحضارات ، وأن من الأسباب الأساسية لفساد المجتمع فساد الأنظمة والقوانين ، وفساد الحكام القائمين على الرعية ، واحتكامهم لغير أوامر الله ونواهيه ، وعملهم على سن القوانين التى تتناسب مع أهوائهم ومصالحهم الشخصية ، وتجاهلهم مصالح الناس العامة والخاصة .

التوصيات [١]

أولاً : تفعيل الخطاب الدينى المتوازن خاصة فى وسائل الإعلام :

من الملاحظ أن هناك غيابًا للخطاب الدينى المتوازن فى وسائل الإعلام ، أو على الأقل ضيق المساحة الزمنية مقارنة بالبرامج الأخرى ، فى الوقت الذى تبث فيه قنوات تحارب القيم ، وفى ذات الوقت خرجت علينا قنوات أخرى تتحدث عن الدين بصورة غير متوازنة .

وأمام هذا وذاك ، يجب أن توفر أجهزة الإعلام الرسمية وغير الرسمية ، المكتوبة والمسموعة والمرئية مساحة كافية لتناول الخطاب الدينى المعتدل والمتوازن مع التركيز على أن المسلم لا يمكن أن يكون عابداً لله وهو مستهين بالحرمات . ولا تصح عقيدة سليمة لا تثمر خلقًا حسنًا ، ولا تجدى العبادة إذا لم يلتزم المتدين العابد بالمعاملة الطيبة على هدى سيد المرسلين ، وما أجمل قول المصطفى الأمين ﷺ : «**من غشنا فليس منا**» [٢] ، وقوله ﷺ : «**لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له**» [٣] .

والمحافظة على الأعراض داخلة فى هذا كله بل هى إحدى مقاصد التشريع الخمس .

ثانيًا : ضرورة المراجعات الإعلامية :

إن بعض وسائل الإعلام تقوم بإنتاج وبث مواد إعلامية مختلفة ومتعددة ، وباستخدام كافة الفنون الإخراجية والتكنولوجية للاتصال ، تصب فى اتجاه مدمر للقيم . وعلى سبيل المثال : ظهر مذيع فى أحد البرامج على قناة فضائية ودون أدنى حرج يسأل الضيف على الهواء عن أماكن الاستشارة الجنسية لدى المرأة !

كما أن إحدى الكاتبات فى إحدى الصحف ـ وقد ذهب حياؤها ـ أخذت تشرح

---

(١) ينظر فى ذلك : التحرش الجنسى أسبابه وعلاجه ، إعداد / لجنة التأليف بالإدارة العامة لبحوث الدعوة ، وزارة الأوقاف ، مصر ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

(٢) أخرجه مسلم (١٠١ / ١٦٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥) ، وحسنه الأرناؤوط .

طرق الإشباع الجنسى فى العلاقات المثلية وتم نشرها فى مجلة طبعت طباعة فاخرة ووزعت بالمجان فضلاً عن «الكليبات» وما أكثرها . . .

لذلك نأمل من القائمين على أمر الإعلام ـ بوجه عام ـ إعادة النظرة مرة بعد مرة فى كل ما يعرض لمنع ما يتنافى مع قيمنا ، ولا يعد هذا من قبيل المصادرة على الحريات ؛ لأن الحرية تقف حيث يعتدى على الآخرين ، ولا شك أن نشر وبث ما يتنافى والقيم النبيلة فيه اعتداء صارخ على المجتمع بأسره .

ثالثًا : الالتزام بالحجاب الشرعى :

يعتبر الحجاب وسيلة الأمان الاجتماعى ، وحفظ العورات سبيل الأمن والاستقرار، سأل رجل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ قال : « **احفظ عورتك إلا من زوجتك أو مما ملكت يمينك** » ، فقال : الرجل يكون مع الرجل ؟ قال : « **إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل** » ، قال : والرجل يكون خاليا ؛ قال : «**فالله أحق أم يستحيا منه** » (١) .

فعلى المرأة أن تكون محتشمة فى ملابسها التى لا تصف ولا تشف ولا تلفت الأنظار بزينة أو حركة أو كلام أو غير ذلك ، وإذا كان القرآن الكريم يطالب السيدات العجائز بالتعفف وعدم إبداء الزينة ، حفاظًا عليهن وصيانة لهن من نظرة ساقطة ، فالمرأة الشابة والفتاة أولى بهذا .

قال تعالى : ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٠] .

رابعًا : قهر البطالة والسعى على الرزق ونشر ثقافة قبول العمل الحرفى :

إذا كانت البطالة والفراغ سببين لوقوع الإنسان فى المعاصى ومن بينها التحرش ، فإن العمل واستغلال الوقت وملء الفراغ يعدان من أهم الأسباب لعلاج هذه المشكلة.

ويعتبر العمل فى الإسلام أحد عوامل وجود الإنسان وإثبات ذاته . لتحقيق الهدف الذى من أجله أهبط إلى الأرض لعمارتها ، والتنقيب عن أسرارها ، وسبر أغوارها ، والسير بين جوانبها .

إن المسلم مكلف بأن يعمل من أجل توفير الحياة الكريمة لكى لا يكون عالة على

---

(١) أخرجه الترمذى (٤٠١٧) ، وابن ماجه (١٩٢٠) ، وحسنه الألبانى .

أحد ويصبح عضواً نافعًا فى مجتمعه ، قال النبى ﷺ : « **على كل مسلم صدقة**» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: « **فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق**»، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: « **فيعين ذا الحاجة الملهوف**» . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : «**فيأمر بالخير أو قال: بالمعروف** ». قال : فإن لم يفعل ؟ قال : «**فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة**» (١).

وإذا كان العمل رسالة الأحياء فإن العاطلين موتى ، وإذا كانت دنيانا هذه غرسًا لحياة أكبر تعقبها ، فإن الفارغين أحرى الناس أن يحشروا مفلسين ، لا حصاد لهم إلا البوار والخسران ؛ ولذلك فقد نبه النبى ﷺ إلى غفلة الألوف عما وهبوا من نعمة العافية التى لم تستغل فى الطاعة ، والوقت الذى أضاعوه هدراً ، ففى الحديث : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ : «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ** » (٢) .

والوقت قيمة من القيم الحضارية الأساسية التى نبه إليها الدين وحض على الالتزام بها وحسن التصرف فيها ، وقد أقسم الله بالوقت فى العديد من آيات القرآن الكريم ليبين لنا مدى الأهمية البالغة لهذه القيمة فى حياة الإنسان . . . كالقسم بالفجر والضحى والعصر والليل والنهار .

إن عمر الإنسان هو رصيده الذى أمر أن يستغله الاستغلال الأمثل ليعود عليه بالخير فى الدنيا والآخرة بدلاً من أن ينشغل بالباطل ، وما أصدق ما قاله الشافعى : « إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل » .

إن توزيع التكاليف الشرعية فى الإسلام يهدف إلى عدم ترك أى فراغ للنفس ، فالمتحرش المتبطل يملك الوقت الفارغ الطويل ، ويملك النفس المريضة غير السوية ، ويملك فوق ذلك خبث الطوية ، فإذا ما اشتغل وأفاد نفسه وأفاد غيره وجلب الخير لسواه ، وكان مصدراً لإسعاد أهله ومجتمعه ، فإنه بهذا يقطع الطريق على أى داع من دواعى التحرش فى نفسه .

خامسًا : تفعيل دور الأسرة :

تتحمل الأسرة ـ قطعًا ـ مسئولية وجود ابن من أبنائها لا يعرف القيم النبيلة

---

(١) أخرجه البخارى (٦٠٢٢) ، ومسلم (١٠٠٨/ ٥٥) .

(٢) أخرجه البخارى (٦٤١٢) .

ويمارس جريمة التحرش الجنسى ، كما تتحمل الأسرة أيضًا مسئولية الضحية ، ففى بعض الأحيان تغفل الأسرة عن تربية بناتها على العفة والفضيلة ، وتكون البنت هى الداعية للشباب ليقعوا فى حبائلها ومن ناحية أخرى قد يستغلُّ المتحرِّش جهل براءة طفل أو طفلة لم تقم الأسرة بتوعيتهما ، فيقعان فى براثن المجرم تحت خدعة لعبة من الألعاب ، كالتى يمارسها الأطفال مع بعضهم ، فينقاد الطفل فى براءةٍ لما يحدث ، وتكون الكارثة بعد ذلك .

ومن هنا فعلى الأسرة أن تتفهم رسالتها لتؤدى مسئوليتها تجاه أبنائها وفى الوقت المناسب قبل فوات الأوان ، وذلك من خلال مراعاة أمور من أهمها :

مراعاة التفرقة بين الأبناء فى المضاجع :

قال رسول الله ﷺ : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع** » (١) .

وفى مسألة التفريق بين الأطفال فى المضاجع ، إشعار بأهمية صيانتهم ، وإغلاق الطريق التى يمكن أن تفضى بهم إلى الوقوع فى المحرم ، فإن تشارك الأولاد فى فراش واحد يمكن أن يؤدى بطريق غير متعمدة أو برافع الفضول إلى محاذير يجب تجنبها .

كذلك جمع هذا الحديث بين تربية الإيمان والسلوك وإغلاق باب الشر فى وقت واحد ، حيث أمر أن نفرق بينهم فى المضاجع وأن نحثهم على الصلاة ، وذلك لما تتضمنه من وظائف تربوية هامة ، قال تعالى : ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

وتلك من الرعاية والمسئولية المنوط بها أولو الأمر على كافة المستويات، لما رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥) ، وقال الألبانى : «حسن صحيح» .

وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١).

سادسًا : الحض على الزواج وتيسيره ، والتعفف لمن لم يقدر على الزواج:

إن الزواج من شأنه تحصين الفرج ، وغض البصر ، قال تعالى : ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٢] .

وقال ﷺ : «**يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ،فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » (٢) .

والعفة : حصول حالة فى النفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة عليها ، والمتعفف هو: الذى يحاول الاتصاف بالعفة عن طريق الممارسة وقوة الإرادة (٣) . قال تعالى: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور : ٣٣] ، ويعين على ذلك :

أ ـ تبغيض الزنا إلى النفس : جاء فى الحديث الشريف ، عن أبى أمامة قال : إن فتى شابًا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لى بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال : «**ادنه**» فدنا منه قريبًا ، قال: فجلس، قال : «**أتحبه لأمك ؟**» قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك . قال : «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**» قال: «**أفتحبه لا بنتك ؟**» ، قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنا الله فداءك ، قال : «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**» ، قال : «**أفتحبه لأختك ؟**» قال : لا والله ، جعلني الله فداءك. قال : «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم** »، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أتحبه لخالتك؟**» قال : لا والله جعلنى الله فداءك قال : «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال : فوضع يده عليه وقال : «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**» فرجع فلم يكن بعد ذلك

---

(١) أخرجه البخارى (٧١٣٨) ، ومسلم (١٨٢٩/ ٢٠) .

(٢) أخرجه البخارى (٥٠٦٥) ، ومسلم (١٤٠٠/ ١) .

(٣) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ، مادة «عف» .

الفتى يلتفت إلى شىء [١] .

ب ـ **معرفة ما أعده الله تعالى للمتعفف** من الأجر فى الدنيا ، وما ينتظره من مثوبة فى الآخرة : فعن النبى ﷺ قال : « **خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر فدخلوا فى غار فى جبل فانحطت عليهم صخرة ، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتوه ... وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجل النساء فقالت : لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت فيها حتى جمعتها فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين...** » [٢] .

جـ ـ **عدم الخضوع بالقول من قبل النساء** : إن الخضوع بالقول يحمل فى طياته الدعوة والإغراء بها ، ولهذا نهى الله تعالى عنه فقال : ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ،إنه توجيه قرآنى كريم يطالب المرأة بأن تكون جادة فى خطابها مع الرجل حتى لا يحمل خطابها على محمل خاطئ ويظن بها سوء ؛ لأن إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها ، كما قال الزجاج [٣] ، وللأسف هناك كثيرات فى بعض وسائل الإعلام المختلفة لا يلتزمن بهذا الأدب ، وتقلدهن بعض النساء فى الشارع ، وفى مواطن العمل، وفى وسائل المواصلات . . . وهو ما يجعل غرائز بعض أصحاب النفوس الضعيفة تتحرك ، فيقع التحرش بأولاء وغيرهن ، لأن الشهوة إذا تحركت لدى ضعاف النفوس لا يميزن بين من يلتزمن بالآداب والقيم وغيرهن ممن لا يلتزمن بها .

د ـ **اجتناب الخلوة** : نهى الإسلام عن اجتماع الرجل بالمرأة فى مكان ليس فيه أحد معهما ، بحيث يصلح لأن يكون خلوة بينهما ؛ لأن ما ركب فى طبيعة الرجل والمرأة من ميل جنسى للآخر قد يكون باعثًا للوقوع فى الفاحشة . وخلوة الرجل بامرأة أجنبية عنه محرم شرعًا ؛ لقوله ﷺ : « **لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخارى (٢٢١٥) .

(٣) التسهيل فى علوم التنزيل لابن جزى ٢/ ٢٥٨ .

محرم » [١] .

هـ - **تنمية المفاهيم الوقائية لدى الأطفال** : على الأبوين أن يدركا أن المسئولية الكبرى تقع على عاتقهما ، ولذلك يجب أن ينمى من معارف أولاده من أجل وقايتهم وكيفية تعاملهم مع ما يتعرضون له من أحداث ومواقف ، وتتمثل هذه التنمية فى التوعية بمفهوم الاعتداء وصوره ، ويراد بالاعتداء كل أذى متعمد يصل إلى الطفل: حسيا ، أو جنسيا ، أو نفسيا .

سابعًا : تشريع عقوبة ملائمة :

لقد اهتم الإسلام بتشريع العقوبات الملائمة من أجل حماية الفرد والمجتمع إزاء كل مخالفة شرعية أو قانونية ، وكان منهجه فى مقاومة الخارجين على الأعراف العامة والآداب السامية ، على النحو التالى :

١ - الردع القرآنى للمرجفين :

فى مقام الترهيب من إيذاء أزواج النبى ﷺ وبناته ، ونساء المؤمنين ، وقصدهن بأى نوع من الأذى ، قال تعالى : ﴿ **لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : ٦٢].

والمرجفون هم: المخوِّفون، المتحدثون بكثرتهم وقوتهم، بقصد إرجاف المسلمين، وتوهين قواهم ، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة ، وغير ذلك من المعاصى .

قال صاحب المنار : «هذا إنذار للمنافقين وضعفاء الإيمان ومذيعى الأراجيف بإغراء النبى ﷺ بعقابهم وبنفيهم من مدينته إن لم ينتهوا عن جرائمهم وتعرضهم لإيذاء النساء » [٢] ، وقد حدث هذا بالفعل ، ومن يراجع غزوة بنى قينقاع يتأكد لديه أن سبب إجلائهم نقضهم للعهد، وتحرش أحد اليهود بإحدى المسلمات .

ذكر الواقدى فى المغازى : «أن امرأة رجل من الأنصار جاءت إلى سوق بنى قينقاع ، فجلست عند صائغ فى حلى لها ، فجاء رجل من يهود بنى قينقاع فجلس

---

(١) أخرجه البخارى (٥٢٣٣) ، ومسلم (١٣٤١/ ٤٢٤) .

(٢) مجلة المنار ١٨ / ١٨ .

من ورائها وهى لا تشعر ، فخل درعها إلى ظهرها بشوكة ، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها ، فقام إليه رجل من المسلمين فاتبعه فقتله فاجتمعت بنو قينقاع، وتحايشوا فقتلوا الرجل ونبذوا العهد إلى النبى ﷺ وحاربوا ، وتحصنوا فى حصنهم، فسار إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم . . . وأجلاهم» (١) .

٢ ـ الردع القانونى للمستهترين :

للجانب القانونى دور كبير فى تعريف الناس بالعقوبات التى تقع على المتحرش ، خاصة فى ضوء الحكم التاريخى الذى صدر ضد أحد المتحرشين بالسجن ثلاث سنوات ، مما أثلج صدور المصريين وألقى الرعب فى قلوب المتحرشين .

ومن يراجع القانون المصرى فى هذا الشأن يجد أن التعرض لأنثى على نحو يخدش حياءها عقوبته فى المادة (٣٠٦) من قانون العقوبات المصرى . . على النحو التالى :

الحبس من أربع وعشرين ساعة إلى ثلاث سنوات ، ويعد ذلك جنحة.

ثم تدرج المشرع فى تغليظ العقوبة عندما يصل التعرض بالأنثى إلى المساس بجسدها ، وبالتحديد ما يعد عورة منها ، ويسمى فى القانون « هتك العرض بالقوة » وتكون الجريمة جناية ، عقوبتها السجن من ثلاث إلى خمس عشرة سنة .

أما الاغتصاب وهو ما يكون بالإكراه فعقوبته السجن المؤبد .

ونأمل أن يرقى الردع في هذه الجريمة إلى تطبيق حد الحرابة فيها؛ ليتوافق مع الشريعة الإسلامية ، ويسلم المجتمع من بشاعتها.

والله المستعان

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ١٧٦ .

أهـم المراجـع

القرآن الكريم.

١ ـ آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ : عبد الرحمن العلك، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

٢ ـ إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، مكتبة الإيمان ـ المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣ ـ أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق محمد البجاوي، دار الفكر ـ بيروت .

٤ ـ أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والغرب، د/ السيد أحمد فرج، دار الوفاء ، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

٥ ـ استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة، إشراف د/ توفيق الواعي، مكتبة شروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ه ـ ـ ٢٠٠٥م.

٦ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د / محمد حسين ، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

٧ ـ الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء ، دار العالم.

٨ ـ الأسرة ورعاية الذات الإنسانية للأطفال ، ريما كمال الضامن، طبعة دار البشير ـ عمان.

٩ ـ الإسلام والجنس، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة عشرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٠ ـ الإسلام والمشكلة الجنسية، د/ مصطفى عبد الواحد، دار الاعتصام، الطبعة الثالثة، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م.

١١ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، ١٩٨٨م، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

١٢ ـ بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام ، د/ مقداد يالجن ، طبعة دار المريخ ـ الرياض.

١٣ ـ تحرير المرأة في عصر الرسالة ـ عبد الحليم أبو شقة، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٤ ـ تحفة العروس، محمود مهدي استانبولي ، المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.

١٥ ـ تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام ، الطبعة الحادية والعشرون، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦ ـ تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، الشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧ ـ التشريع الجنائي الإسلامي ، عبد القادر عودة.

١٨ ـ تفسير سورة النور، أبو الأعلى المودودي، تعريب محمد عاصم الحداد، مؤسسة الرسالة.

١٩ ـ التفسير القرآني، عبد الكريم الخطيب، طبعة دار الفكر العربي.

٢٠ ـ توأم السلطة والجنس، نوال السعداوي، دار المستقبل العربي، ١٩٩٢م.

٢١ ـ الحجاب لأبي الأعلى المودودي، دار الأنصار، د. ت.

٢٢ ـ حدائق النساء في نقد الأصولية، فريدة النقاش، مركز القاهرة لحقوق الإنسان، ط ٢٠٢م.

٢٣ ـ حديث القرآن عن العواطف الإنسانية، د/ محمد سيد طنطاوي، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، د. ت.

٢٤ ـ الحرية الجنسية المطلقة للمرأة بين الاتفاقيات الدولية ودعاة التحرر والأديان السماوية ، زكي أو غضة، دار الوفاء ، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٨م.

٢٥ ـ حوار حول وليمة لأعشاب البحر، د/ السيد أحمد فرج، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٢٦ ـ الختان والعنف ضد المرأة، د/ خالد منتصر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.

٢٧ ـ خلق المسلم، محمد الغزالي، نهضة مصر، ٢٠٠٤م.

٢٨ ـ دور الأسرة في تربية الأبناء، د/ علي سليمان، سلسلة سفير للأبناء

(١١).

٢٩ ـ دليل البرامج التربوية للعمل الطلابي الثانوي، أحمد صلاح، مكتبة الوفاء، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٠ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، الشركة الجزائرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٣١ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر، للهيتمي ، الطبعة الأولى، حجازي ١٣٥٦هـ.

٣٢ ـ الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ، ودعاة التحرر، زكي أبوغضة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٣ ـ الزواج الإسلامي أمام التحديات ، محمد على ضناوى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٤ ـ الزواج والعلاقات الجنسية في الإسلام ، عادل عبد المنعم أبو العباس، طبعة مكتبة القرآن، القاهرة.

٣٥ ـ سبل العفة وخطورة الانحراف وأسبابه، مريم خميس محمد، دار الوفاء، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

٣٦ ـ السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٣٧ ـ سلم أخلاق النبوة، محمود غريب، د. ت.

٣٨ ـ سنن أبي داود، تحقيق عادل مرشد ، دار الأعلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٩ ـ سنن ابن ماجه، دار الحديث، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٠ ـ سنن الترمذي ، تحقيق عادل مرشد ، دار الأعلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤١ ـ سنن الدارمي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م.

٤٢ ـ سنن النسائي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م.

٤٣ ـ سورة النور، دراسة وتحليل، د/ إسماعيل إبراهيم السامرائي، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٤ ـ صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٥ ـ صحيح مسلم، تحقيق عبد الباقي ، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٦ ـ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، أحمد علي المجدوب، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ١٩٩٩م.

٤٧ ـ العفة ومنهج الاستعفاف، يحيى العقيلي، دار الدعوة ، دار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٨ ـ العقيدة وأثرها في بناء الجيل، د/ عبد الله عزام.

٤٩ ـ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، الشيخ أحمد شاكر، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٠ ـ عمل المرأة في الميزان، د/ محمد علي البار، الدار السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.

٥١ ـ عوامل الانحراف الجنسي، ومنهج الإسلام في الوقاية منها وعلاجها عبد الرحيم صالح عبد الله ، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م.

٥٢ ـ فتح الباري، لابن حجر، دار الريان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٣ ـ فقه الإمام سعيد بن المسيب، هاشم جميل عبد الله ، مطبعة الإرشاد ـ بغداد.

٥٤ ـ الفوائد ، لابن القيم ، الشركة اللبنانية الجزائرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م.

٥٥ ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السادسة والثلاثون، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م.

٥٦ ـ قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة الأسرة ـ ١٩٩٠م.

٥٧ ـ قواعد تكوين البيت المسلم، د/ أكرم رضا، دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م.

٥٨ ـ مؤامرة الصهيونية على العالم ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين.

٥٩ ـ المؤامرة على المرأة المسلمة (تاريخ ووثائق)، د/ السيد أحمد فرج، الطبعة الرابعة، دار الوفاء، ١٩٩٢م.

٦٠ ـ المحلى لابن حزم، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مطابع المكتب التجاري .

٦١ ـ المجموع، للنووي، دار الفكر ـ بيروت.

٦٢ ـ المرأة بين البيت والمجتمع، البهي الخولي، ط دار الفتح ـ بيروت.

٦٣ ـ المرأة بين الفقه والقانون، د/ مصطفى السباعي، دار السلام، ١٩٩٨م.

٦٤ ـ المرأة في التصور الإسلامي، عبد المتعال الجبري، مكتبة وهبة.

٦٥ ـ المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، مكتبة الأسرة.

٦٦ ـ مسؤولية التربية الجنسية من وجهة نظر الإسلام، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٦٧ ـ مساوئ تحرر المرأة في العصر الحديث، زكي أبو غضة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦٨ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شاكر، دار الحديث، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

٦٩ ـ مشروع الشرق الأوسط الكبير (الآليات ـ التداعيات ـ المواجهة) د/ مجدي صلاح طه المهدي، دار الوفاء ٢٠٠٩م.

٧٠ ـ المغني لابن قدامة، دار الفكر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٧١ ـ المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، أ. د/ عبد الكريم زيدان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٢ ـ منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٨م.

٧٣ ـ منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة السادسة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٧٤ ـ مواهب الجليل من أدلة خليل في الفقه المالكي، الشيخ أحمد بن المختار الجنكي، دار إحياء التراث الإسلامي ـ قطر، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٧٥ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٥ م.

* * *



فهرس الموضوعات

الفهرس

* * *

هذا الكتاب

* يوضح ما يُكاد لشبابنا من مكائد،وما يُدبر له من مؤامرات ؛ لصرفه عن أداء رسالته،وإغراقه فى الشهوات،وتجريده من الأخلاق السامية حتى يسهل قهر أمته ، واستعبادها من قبل أعدائها .

* فهو يتحدث عن الغريزة الجنسية باعتبارها وسيلة لتحقيق رسالة الإنسان فى الحياة.

* وتعرض لذكر أبواب الانحراف ، وأهمها غياب المفاهيم الإسلامية الصحيحة .

* كما تعرض للحرب الأخلاقية التي يشنها العدو في الخارج والداخل؛ للتخلص من قيود الدين والأخلاق من خلال القوانين الدولية ، ودعاة التحرر .

* كما ذكر الآثار الحضارية والمرضية والإجرامية للانحراف الجنسي.

* وبعد هذا العرض للانحراف وآثاره كان العلاج من خلال بيان سبل المواجهة القائمة على تقوية الوازع الديني للفرد، وقيام الأسرة بواجبها فى تربية الأبناء،وقيام المجتمع بدوره التشريعي والتنفيذي فى محاربة الانحراف وأسبابه ومواجهة آثاره فى الأمة .

المؤلف



مؤسسة شروق للنشر والتوزيع
المنصورة - ش جيهان أمام مستشفى الطوارئ
تليفون وفاكس 0502252860
shrook.mst@gmail.com